الأمــن النفســـي

(أهميتـه وأسبابه)

في ضــوء آيات القـــرآن الكـــريم

إعـــــداد

د: حشمت مفتي عبدالراضي

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإن من أصعب ما يواجه عالمنا المعاصر من أمراض، القلق والاضطراب النفسي، فأنى اتجهت بناظريك تجد حالة من القلق والاضطراب تنتاب الناس وتستبد بقلوبهم، ليس فقط عند نزول الشدائد وحلول البلاء، أو عند فئة معينة من الناس، بل في كل الأحوال، وعند الغالب الأعم من الناس .

شعور عام بالخوف والقلق والتوتر والاضطراب، تراه باديا واضحا في أعين الناس وكلماتهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم .

لا تجد في الأرواح سكينة، ولا في النفوس طمأنينة، ولا في القلوب رضا، ولا على الوجوه بشاشة، وأصبح الأمن النفسي والطمأنينة القلبية والسكينة الروحية حُلما بعيدًا، وغاية من الصعب أن تدرك !!

وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا مرده إلى ضيق ذات اليد، وضعف الحالة الاقتصادية، والفقر المدقع الذي يجتاح كثيرا من البلدان، لا سيما بلاد الشرق، ولكن هذا ليس بمبرر، فالمتتبع يلحظ أن ذلك الإضطراب النفسي وحالة الخوف والقلق تنتاب شعوب العالم أجمع، بما في ذلك البلدان الأكثر تحضرًا وتقدمًا، والأرفه عيشا، فقد عجزت تلك الدول بكل إمكاناتها عن تحقيق الأمن النفسي لمواطنيها، وكثرت فيهم الأمراض النفسية كالقلق والاكتئاب والاضطراب، بل كثرت فيهم حالات الانتحار بشكل ملحوظ .

يقول ديل كارنيجي[1] في كتابه "دع القلق وابدأ الحياة: تدل الإحصائيات في أمريكا على أنه في كل خمس وثلاثين دقيقة، يقع حادث انتحار، وفي كل مائة وعشرين ثانية، يصاب شخص بالجنون[2] .

وقال أيضاً : لقد أثبتت الإحصائيات أن القلق هو القاتل رقم (١) في

---

(١) دع القلق وابدأ الحياة، ديل كا رنيجي، صـ٢٢٥ .

(٢) مؤلف أمريكي ولد عام ١٨٨٨م وتوفي عام ١٩٥٥م.

أمريكا، ففي خلال سني الحرب العالمية الأخيرة، قتل من أبنائنا نحو ثلث مليون مقاتل، وفي خلال هذه الفترة نفسها، قضى داء القلب على مليوني نسمة، ومن هؤلاء مليون نسمة كان مرضهم ناشئا عن القلق وتوتر الأعصاب...(١)

ولا يجانبنا الصواب إن قلنا:إن السبب الرئيس في حالة القلق والخوف والاضطراب التي يحياها الناس هو بعدهم عن رسالة الحق، ومنهج الله القويم، وتعاليمه المباركة، ثم تأتي بعد ذلك الأسباب الثانوية المتمثلة في مشاكل الحياة المعاصرة وهمومها، وتدني وتردي مستويات المعيشة.. ثم ما تمر به الأمة من أزمات، قطعت أوصالها، ونالت من مقدساتها، مما أثر سلبا على نفس كل محب لدينه وأمته .

كل ذلك وغيره أورث تلك الحالة من القلق والاضطراب النفسي لدى قطاع كبير من أبناء هذه الأمة، التي من المفترض أن يكون أبناؤها أكثر الناس أمنا، وأسكنهم قلبًا، وأشرحهم صدرًا .

وحين نسترجع سيرة النبي(صلى الله عليه وسلم) وما مر به وصحابته الكرام من مواقف عصيبة، نجدهم رغم شدة وصعوبة هذه المواقف، كلهم أمن واطمئنان وهدوء وسكينة..وهنا يكون السؤال : كيف وصل هؤلاء الأطهار إلى هذا الأمن النفسي، وإلى تلك الطمأنينة القلبية، التي لا يقربها جزع، ولا ينقُضها خوف، ولا ينال منها كرب، ولا تزعزعها شدة، ولا يهزها موقف ؟ .

وجواب ذلك أنهم عاشوا في كنف هذا الكتاب المبارك، وتفيؤوا ظلاله، وساروا على نهجه، واهتدوا بهديه، وضبطوا جميع خطواتهم على ميزانه القويم، ورسموا تفاصيل حياتهم وفق تعاليمه الراشدة، فتحققت فيهم كل أسباب الأمن والطمأنينة التي أودعها الله كتابه الكريم وسنة نبيه(صلى الله عليه وسلم)، فلا غرو أن تطمئن قلوبهم، وتنشرح صدورهم، وتفيض السكينة على نفوسهم وأرواحهم .

ونحن اليوم إذا كنا نصبو إلى الخروج من رمضاء القلق النفسي إلى واحة الأمن والسكينة والطمأنينة، فليس أمامنا إلا طريق واحد، هو التزام منهج القرآن الكريم في شتى مناحي حياتنا، والأخذ بأسباب الطمأنينة والأمن النفسي

(١) دع القلق وابدأ الحياة، ديل كا رنيجي، صـ٢٢٥.

التي ضمنها الله هذا الكتاب المبارك .

وفي هذا البحث المتواضع المسمى (الأمن النفسي "أهميته وأسبابه" في ضوء آيات القرآن الكريم) سأعرض لأهم هذه الأسباب، وذلك بعد التعريف بالأمن النفسي ومواضع حديث القرآن الكريم عنه وبيان أهميته في المنظور القرآني.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحث تمهيدي ومبحثين رئيسين وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع .. وذلك على النحو التالى :

-المقدمة : وفيها تمهيد وعرض لفكرة البحث وبيان أهميته وأهدافه وخطته وغير ذلك .

- **المبحث التمهيدي : التعريف بمصطلح (الأمن النفسي) .**
- **المبحث الأول : أهمية الأمن النفسي في ضوء آيات القرآن الكريم .**

- **المطلب الأول: مواضع حديث القرآن عن الأمن النفسي.**
- **المطلب الثاني : أهمية الأمن النفسي في ضوء آيات القرآن الكريم .**

- المبحث الثاني :أسباب تحقيق الأمن النفسي في ضوء آيات القرآن الكريم .

- المطلب الأول: الأسباب المتعلقة بالعقيدة

- **أولا : الإيمان بالله تعالى .**
- **ثانيا : الإيمان باليوم الآخر.**
- **ثالثا : الإيمان بالقضاء والقدر والرضا به .**

- المطلب الثاني: الأسباب المتعلقة بالعبادات

- **أولا : الصلاة .**
- **ثانيا : الزكاة .**
- **ثالثا ذكر الله عز وجل .**
- **رابعا: التوكل على الله .**

- **خامسا : الدعاء .**
- **سادسا " حسن الظن بالله**
- **سابعا : التقوى .**
- **المطلب الثالث: الأسباب المتعلقة بالتشريعات**
- **أولا : تشريع الحدود .**
- **ثانيا : تشريع الزواج. وإباحة التعدد**
- **ثالثا : تشريع العدل والأمر به .**
- **المطلب الرابع : الأسباب المتعلقة بالآداب والأخلاقيات**
- **أولا : الصدق .**
- **ثانيا : الصبر .**
- **ثالثا : الشكر .**
- **رابعا :الصحبة الصالحة .**
- **خامسا :التراحم والتكافل المجتمعي .**
- **سادسا : سلامة الصدر**

- **الخاتمة، وفيها بيان نتائج البحث وتوصياته.**

- **فهرس المصادر والمراجع**

وأخيرا: أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الدراسة، وأن يرزقنا والمسلمين الحياة الطيبة الآمنة في الدنيا والآخرة .

وصلى الله على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم.

أهمية موضوع البحث

- ارتباط البحث بكتاب الله تعالى الذي هو اسمى وأشرف الكتب .
- أنه يقدم علاجاً إسلامياً من خلال كتاب الله تعالى وسنة نبيه لمشكلة القلق والإضطراب النفسي، التي كثرت وانتشرت، سواء في المجتمعات الإسلامية أو غيرها مما يجعل الحاجة إلى ذلك مهمة وملحة.
- التأكيد على أن كتاب الله تعالى قد حوى ما فيه صلاح العباد وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وقدم الحلول الكافية لكل مشكلة تعترض الإنسان وتعرقل مسيرته .
- التأكيد على عناية كتاب الله تعالى بالأمن من كل جوانبه وكافة صوره، وفي مقدمتها الأمن النفسي .
- بيان أسبقية القرآن الكريم في العناية بالجانب النفسي لدى الإنسان، واعتباره ضرورة لا تكتمل سعادة البشر إلا بها .
- الإسهام في فتح آفاق جديدة أمام الباحثين للقيام ببحوث مستقبلية في مجال الأمن بأنواعه في القرآن الكريم
- الرغبة في إثراء المكتبة الإسلامية في جانب التفسير الموضوعي، فمازالت المكتبة الإسلامية القرآنية تتطلع إلى الكثير من الأبحاث والكتب في هذا الجانب .

أهداف البحث:

- التعريف بمفهوم الأمن النفسي وأهميته .
- التوصل إلى أسباب واضحة ومحددة لتحقيق الأمن النفسي للأفراد والمجتمع من خلال كتاب الله وسنة النبي (ﷺ) المبينة له .
- بيان أهمية الأمن النفسي للفرد والمجتمع .
- التأكيد على شمول القرآن لكل ما يصلح الإنسان في دنياه وآخرته .
- إبراز دور الاستقامة على هذا الدين والتزام المنهج الرباني في تعزيز الأمن النفسي للفرد والمجتمع .

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث استخدام المنهج التكاملي المشتمل على عدد من المناهج البحثية، ومن أهم تلك المناهج:

١- المنهج التأصيلي: للتعريف بمفهوم الأمن النفسي، وبيان الألفاظ ذات الصلة في القرآن الكريم.

٢- المنهج الاستقرائي:بتتبع ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف والمعاصرين في موضوع الأمن النفسي .

٣- المنهج الاستنباطي: لاستخراج أسباب الأمن النفسي وآثاره.

حدود البحث.

الآيات القرآنية المتعلقة بجانب الأمن النفسي، مع الاستشهاد بالأحاديث النبوية، وما ورد في ذلك من آثار عن سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، للوقوف على أسباب الأمن النفسي وآثاره على الفرد والمجتمع .

أما الجانب الفني في البحث فجاءعلى النحو التالي:

- كتابة الآيات وفق الرسم العثماني، وأعقبت كل آية بذكر سورتها ورقمها مباشرة، دون الإحالة للحاشية، تخفيفاً لها، وبعداً عن ثقلها.
- تخريج الأحاديث من كتبها المعتمدة .
- توثيق النصوص المنقولة، وذلك بذكر عنوان الكتاب ثم اسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة في الحاشية السفلية، وأحلت ذكر باقى بيانات الكتاب نحو: دار النشر، ورقم الطبعة، وتاريخ النشر إلى فهرس المرجع فى نهاية البحث
- ترجمت لكل الأعلام الواردة بالرسالة ترجمة مختصرة، مستثنياً من ذلك مشاهير الصحابة رضوان الله عليهم .
- ذيلت البحث بفهرس للمراجع، مقسم إلى سبعة أقسام، وقد رتبت كتب كل قسم ترتيباً أبجدياً .

المبحث التمهيدي :

التعريف بـ (الأمن النفسي)

يتألف مصطلح (الأمن النفسي) من جزأين ركبا تركيباً وصفياً، الموصوف هو (الأمن) والصفة هي (النفسي)، وللوقوف على معنى ومفهوم هذا المصطلح نعرِف أولاً بجزأيه، ثم نعرف المصطلح المركب منهما .

أولاً : الأمن لغة واصطلاحا :

الأمن لغة : مصدر الفعل أَمِنَ يأمن أمنا فهو آمن، وهو يأتي في اللغة على معان هي :

*** الطمأنينة:قال الراغب[١]:أصل الأمن:طمأنينة النفس وزوال الخوف[٢]، ورُجل أَمَنَةٌ:يَطمئن إِلَى كُل أحد[٣]، ويُقال:أَمِنَ الرَّجُلُ:اِطْمَأَنَّ وَلَمْ يَخَفْ، وأمِن البلدُ:اطْمَأَنَّ أَهْلُهُ فيه[٤]، ومنه قوله تعالى:(فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ)[التين:٣] أي: فإذا اطمأننتم[٥] .**

*** الثقة:يُقال:أمِنَه على كذا: وثق به، ومنه قوله تعالى:(هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَما أَمِنْتُكُمْ على أَخيهِ مِنْ قَبْلُ)[٦]، ومُؤْتَمَنُ الْقَوْمِ:الَّذِي يثِقون فيه ويتخذونه**

---

(١) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني، المعروف بالراغب:من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي في ٥٠٢ هـ، انظر:[الأعلام للزكلي، جـ٢/٢٥٥ -سير أعلام النبلاء، جـ١٣/٣٤١ –معجم المؤلفين، جـ٤/٥٩]

(٢) المفردات للراغب، صـ٩٠ .

(٣) تهذيب اللغة، جـ١٥/ ٣٦٧

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي، جـ٢/٢٤– المعجم الاشتقاقي الموصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، صـ ٢١٢٥ - معجم الغني الزاهر، جـ١/١٩١٥ .

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي، جـ٢/٢٤– المعجم الاشتقاقي الموصل لألفاظ القرآن الكريم، د / محمد حسن حسن جبل، صـ ٢١٢٥ - معجم الغني الزاهر، جـ١/١٩١٥ .

(٦) معجم ديوان الأدب، جـ٤/١٦٥ – معجم اللغة، ابن فارس، جـ١/١٠٢ – مختار الصحاح، صـ٢٢ – تاج العروس، جـ٢٧/٣٣٧ – الصحاح، جـ٥/٢٠٧١ .

أمينا حافظا[١]، والأمنَةٌ من الناس:الذي يَثِقُ بِكُلِّ أحد[٢]، وقيل:الأمنَةٌ من الناس:الموثوق به أي الذي يأمنه الناس ولا يخافون غائلته[٣]، قال الزمخشري [٤]وآخرون: فلان أمنة:أي يأمن كل أحد ويثق به، ويأمنه الناس ولا يخافون غائلته.. وناقَةٌ أَمونٌ: وَثِيقَةُ الخَلْقِ يُؤْمَنُ فُتورُها وعِثارُها، وما أومن بشيء مما يقول، أي ما أثق، وما أومن أن أجد صحابة- يقوله ناوي السفر- أي ما أثق أن أظفر بمن أرافقه[٥]

*** التصديق:قال ابن فارس[٦]: الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ: أَحَدُهُمَا الْأَمَانَةُ ....، وَالْآخَرُ التَّصْدِيقُ[٧]، وَيُقَال:رَجل أَمنة، بِالْفَتْح، للَّذي يصدِّق بكُل مَا يَسمع وَلَا يكذِّب بِشَيْء[٨]، ومنه قولهم:آمن بالشيء:أي صدق به، وقوله تعالى:(وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ)[التوبة:٦١]أي يسمع لهم مايقولون ويصدقهم لكونهم مؤمنين فهم صادقون عنده، وهو كقوله تعالى:(وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَلَوْ كُنَّا**

(١) لسان العرب، جـ١٣/ ٢٢ – تاج العروس، جـ٣٤/ ١٨٦ .
(٢) المعجم الوسيط، صـ ٢٨ – مقاييس اللغة، جـ١/ ١٣٤ - الصحاح، جـ٥/ ٢٠٧١ .
(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، جـ٥/ ٢٠٧١– الفائق في غريب الحديث والأثر، جـ٣/ ١٠٩– مختار الصحاح، صـ٢٢ – تهذيب اللغة، جـ١٥/ ٣٦٧ - مقاييس اللغة، جـ١/ ١٣٤– المحكم والمحيط، جـ١٠/ ٤٩٢- أساس البلاغة، جـ١/ ٣٥ - لسان العرب، جـ١٣/ ٢١ .
(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمى، الزمخشرى، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد فى زمخشر (من قرى خوارزم) فى ٤٦٧ هـ، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله، وتنقل فى البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) توفي٥٣٨هـ [التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبى، جـ٤٣٧/١ -الأعلام، جـ١٧٨/٧ -معجم تفاسير القرآن، ص٣٥١ - معجم المؤلفين، جـ١٨٦/١٢] .
(٥) المحكم، جـ٤٩٤/١٠- أساس البلاغة، جـ٣٥/١ - لسان العرب، جـ١٣/ ٢١–القاموس المحيط، صـ ١١٧٦– تاج العروس، جـ٣٤/ ١٨٨ .
(٦) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، إمام في اللغة والأدب، أصله من قزوين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري فسكنها، وتوفي فيها سنة٣٩٥هـ[إنباه الرواة، جـ١/ ١٣٠– وفيات الأعيان، جـ١/ ١١٨– تاريخ بغداد، جـ٢١/ ٤٥]
(٧) مقاييس اللغة، جـ١/ ١٣٣ .
(٨) تهذيب اللغة، جـ١٥/ ٣٦٧

صادِقِينَ)[يوسف :١٧]أي وَمَا أَنْت بمصدِّق لنا[١]وَيُقَال:رَجل أَمَنة، بِالْفَتْح، للَّذي يصدِّق بكُل مَا يَسمع وَلَا يكذِّب بِشَيْء[٢]

*** السلامة:ومنه قولهم:أَمِنَ زَيْدٌ الْأَسَدَ، وأَمِنَ مِنْهُ بَعْدَ جُهْدٍ جَهيدٍ:أي سَلِمَ مِنْهُ[٣] وأَمِنَ الشرَّ ومنه: سَلِم[٤].**

*** السكون والاستقرار : قال ابن فارس: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما:الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سكون القلب....[٥]، وقال الفيومي[٦]:أصل الأمن أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي سُكُونِ الْقَلْبِ[٧]، وقال ابن تيمية[٨] وغيره :الأمن هو القرار والطمأنينة [٩].**

<u>أما في الاصطلاح</u>:فلاَ يَخْرُجُ معنى الأمن اصطلاحًا عند الأقدمين عن مَعْنَاه اللُّغَوِيِّ[١٠]، فقد عرفه الجُرجاني[١١]

---

(١) المفردات للراغب صـ٩١ – مقاييس اللغة لابن فارس، جـ١/ ١٣٤ - الزاهر لأبي بكر الأنباري، جـ١/ ١٠٦ - معجم الغني الزاهر، جـ١/١٩١٠ - تهذيب اللغة، جـ١٥/ ١٤، ١٥، ٣٦٩، ٣٧١ - المحكم والمحيط، جـ١٠/٩٧، ٤٩٣ - لسان العرب، جـ١١/١٣، ٢٣، ٢٤ .

(٢) تهذيب اللغة، جـ١٥/٣٦٧ – لسان العرب، جـ٢١/١٣ – مقاييس اللغة، جـ١/ ١٣٤

(٣) المصباح المنير، الفيومي، جـ٢/٢٤ - معجم الغني الزاهر، جـ١/١٩١٥ .

(٤)المعجم الوسيط، صـ ٢٨

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس، جـ١/ ١٣٣ .

(٦)أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) ورحل إلى حماة(بسورية) فقطنها. اشتغل وَمهر وتميز فِي الْعَرَبيَّة، كَانَ فَاضلا عَارِفًا بالفقه واللغة، توفي نحو ٧٧٠ هـ.. انظر : [معجم المؤلفين، جـ٢/١٣٢– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ١/٣٧٢– بغية الوعاة، جـ١/٣٨٩- كشف الظنون، حاجي خليفة، جـ٢/ ١٧١٠]

(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي، جـ٢/٢٤

(٨) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله أبى القاسم الحرانى الدمشقى الحنبلى، أبو العباس تقى الدين ابن تيمية، كان آية فى التفسير والأصول ولد فى حران ٦٦١ هـ، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وجاء إلى مصر وسجن بها مدة، ثم أطلق وسافر إلى دمشق ٧١٢ هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ هـ، وأطلق ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق ٧٢٨ هـ، [فوات الوفيات، جـ١/٧٤ - ٨٠ - معجم الشيوخ للذهبى، جـ١/٥٦– الوافى بالوفيات، جـ٧/١١]

(٩) الصارم المسلول لابن تيمية، صـ٥١٩ - التفسير الوسيط، طنطاوي، جـ١/ ٤٢٣– تفسير الآلوسي، جـ١/ ٤٧٨.

(١٠) الموسوعة الفقهية الكويتية، جـ٦/٢٧٠ .

(١١)علي بن محمد بن علي، الحنفي الشريف الجرجاني، من كبار العلماء بالعربية، ولد في جرجان ٧٤٠هـ، ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فرَّ الجرجاني إلى =

بأنه:عدم توقع مكروه في الزمان الآتي[١]، وكذا قال المناوي[٢]في التوقيف، وزاد: وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف[٣]، وعرفه ابن عاشور[٤]:السَّلَامَةُ مِنْ كُلِّ مَا يُخَافُ مِنْهُ[٥].

وقدعرفه بعض المعاصرين بقولهم:هو الاستعداد والأمان بحفظ الضروريات الخمس من أي عدوان عليها،فكل ما دل على معنى الراحة والسكينة وتوفير السعادة والرقي في شأن من شؤون الحياة فهو أمن[٦]، وعرفه صاحب القاموس الفقهي بأنه:سكون القلب عن توقع الضر[٧]، وعرفه آخر بأنه:حالة من السكون النفسي النّابع من الّراحة والّسلامة، وأساسه الإيمان بالله تعالى، ويتعلق بالشق المادي والمعنوي، كالسكن وتوافر الرزق وزوال ما يهدد الحياة[٨]، وقيل:هو الحالة التي يسود فيها الشعور بالطمأنينة والهدوء والاستقرار والبعد عن القلق والاضطراب[٩].

= سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي سنة ٨١٦هـ .انظر [الأعلام للزركلي، جـ٦/٥، ٧ – معجم المؤلفين، جـ٢١٦/٧ – بغية الوعاة، جـ٢/ ١٩٦] .

(١)انظر: التعريفات للجرجاني، صـ٣٧ .

(٢) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن على بن زين العابدين الحدادى، ثم المناوى القاهرى: من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستمل منه تأليفه، عاش فى القاهرة وتوفى بها .. ولد فى ٩٥٢ هـ، وتوفى فى ١٠٣١ هـ، انظر : [الأعلام للزركلى، جـ٢٠٤/٦] ..

(٣)التوقيف على مهام التعاريف، صـ٦٣ .

(٤) محمد الطاهر بن محمد الشاذلى بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، نقيب إشراف تونس، وكبير علمائها، ولى قضاء تونس ١٢٦٧ ثم الفتيا ١٢٧٧ هـ، فنقابة الإشراف وتوفى بتونس سنة ١٢٨٤ هـ، انظر (الأعلام للزركلى، جـ١٧٣/٦ـ معجم تفاسير القرآن الكريم، صـ١٢٣ـ النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين، جـ٢٨٠/٥ ـ ٢٩٣)

(٥)التحرير والتنوير، جـ٢٥/٢ .

(٦) مقومات الأمن في القرآن. إبراهيم سليمان الهويمل، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض العدد٢٩، ، صـ٩

(٧)القاموس الفقهي، جـ٢٥/١ .

(٨) ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، زين حسين أحمد ياسين ، صـ٣٥١ .

(٩) الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه، أحمد بن علي المجدوب. ص٥٣ .

ثانيا : النفسي لغة واصطلاحاً

النفسي لغة : نسبة إلى النفس، وهي تأتي في اللغة على معان منها :

- الروحُ الذي به حياةُ الجسد: يقال خرجت نفسه، أي روحه، ومنه قوله تعالى:(وَلَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ)[الأنعام:٩٣] وقوله عزوجل :(فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ)[التوبة : ٥٥][(١)].

- الإنسَانُ جَميعُه، رُوحُه وجَسَدُه: ومنه قوله تعالى:(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ)[المائدة:٤٥]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى:(أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتى عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ)[الزمر:٥٦]، وقوله سبحانه:(يُخادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ)[البقرة :٩][(٢)]، ومنه أيضا قولهم : تَجْزِي الْبَدَنَةُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَنْ سَبْعَةٍ أَنْفُسٍ[(٣)].

- القلب:قال أبو زيد[(٤)] وغيره: النفس: الرُّوعُ [(٥)] أي:القلب [(١)] ومنه قوله تعالى:(إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا)[يوسف:٦٨]،

---

(١) تاج العروس، جـ٥٥٩/١٦ - العين، جـ٧/ ٢٧٠ – الصحاح، جـ٩٨٤/٣– المحكم والمحيط، جـ٨/ ٥٢٥– مختار الصحاح، جـ٣١٦/١ – لسان العرب، جـ٢٣٣/٦– القاموس المحيط، صـ ٥٧٧– المعجم الوسيط، جـ٩٤٠/٢– الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري، صـ ١٥٢– تهذيب اللغة، جـ١٣/ ٨- – الفروق اللغوية، صـ ١٠٣.

(٢) الصحاح، جـ/٩٨٤–٩٨٤– تاج العروس، جـ١٦/ ٥٧٠- مختار الصحاح، جـ٣١٦/١ - لسان العرب، جـ٢٣٤/٦، ٢٣٥– العين، جـ٧/ ٢٧٠– المحكم، جـ٨/ ٥٢٥ .

(٣) شرح النووي على مسلم، جـ١٦١/٨ .

(٤) أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى الإمام فى النحو واللغة، وكان ثقة، ثبتًا من أهل البصرة، وقدم بغداد، ولد سنة ١١٩هـ ، وتوفي سنة٢١٥هـ انظر: [الأعلام للزركلي، جـ٩٢/٣ – تاريخ بغداد، جـ٧٨/٩ – معجم الأدباء، جـ١٣٥٩/٣]

(٥) تاج العروس، جـ٨/ ٦٣، جـ٢٣/ ٧٠– لسان العرب، جـ٣/ ١٦٥ - تهذيب اللغة، جـ٧/ ٣٤– فتح الباري، جـ١/ ١٩٧. – عمدة القاري، جـ٤٠/١ – الزاهر في معاني كلمات الناس، جـ٤٢٤/١

قال غير واحد من المفسرين:أَيْ خَاطِرٌ خَطَرَ بِقَلْبِهِ[٢]

- العقل:وعبر عنه اللغويون بقولهم:ما يكون به التمييز والإدراك، وجاءت النفس بهذا المعنى في قوله تعالى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى) [الزمر:٤٢]، فالنفس التي يمسكها الله عز وجل أثناء النوم ثم يرسلها هي التي تعكس معاني التمييز والإدراك، أما النفس التي بمعنى الروح فهى التي تقبض عند الموت، وبهذا المعنى يكون لكل إنسان نفسان:أحداهما نفس العقل التي بها يكون التمييز والإدراك، وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل بها، والأخرى نفس الحياة التي هي الروح، وقد رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنه قَالَ: لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسان:إِحداهما نَفْس العَقْل الَّذِي يَكُونُ بِهِ التَّمْيِيزُ، والأُخرى نَفْس الرُّوح الَّذِي بِهِ الْحَيَاةُ.[٣]، كذلك قال الزجاج[٤]:لكل إنسان نفسان:أحدهما:نفس التمييز: وهي التي تفارقه إذا نام فيزايله عقله، يتوفاها الله تعالى كما قال: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا)[الزمر:٤٢]، والأخرى: نفس الحياة، وهي التي إذا نام الإنسان تنفس بها وتحرك بقوتها[٥].

- البال: قال أبو زيد : من أسماء النفس: الْبَالُ[٦]

---

(١) المعجم الوسيط، صـ٣٨٢ - مختار الصحاح، صـ ١٣١– الكليات، صـ٤٨٠ – تاج العروس، جـ١٣١/٢١– اللطائف في اللغة، صـ١٦٠ – الصحاح، جـ١٢٢٣/٣ – لسان العرب، جـ١٣٧/٨ – القاموس المحيط، صـ٧٢٤ .

(٢) تفسير القرطبي، جـ٢٢٨/٩- تفسير المراغي، جـ١٧/١٣.

(٣) الزاهر للأزهري، جـ٢٣٧/١- لسان العرب، جـ٢٣٤/٦– تهذيب اللغة، جـ٨/١٣ – تاج العروس، جـ١٦/ ٥٦١– معجم لغة الفقهاء، صـ ٤٨٤ - الزاهر للأزهري، صـ ١٥٢ - معجم الفروق اللغوية، صـ ٥٢١- - تفسير الآلوسي، جـ٢٦٣/١٢

(٤)إبراهيم بن السرى بن سهل بن الزجاج، النحوى اللغوى المفسر، ولد ببغداد ٢٤١ هـ، كان فى فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو فعلمه المبرد، وهو أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه، مات ببغداد، سنة ٣١١ هـ . انظر : [شذرات الذهب، جـ٢٥٩/٢، ٢٦٠ - الأعلام، جـ٤٠/١ - وفيات الأعيان، جـ٤٩/١ - معجم المؤلفين، جـ٣٣/١]

(٥)التفسير الوسيط للواحدي، جـ٣/ ٥٨٣– تفسير البغوي، جـ٤/ ٩١– فتح القدير، جـ٤/ ٥٣٤– تهذيب اللغة، جـ١٣/ ٨ - تفسير الإمام الشافعي، جـ٢/ ٧٥٦ .

(٦) تاج العروس، جـ٨/ ٦٣، جـ٢٣/ ٧٠– لسان العرب، جـ٣/ ١٦٥، جـ١١/ ٧٥ - تهذيب اللغة، جـ٧/ ١٢٥، جـ٢٨٢/١٥ - فتح الباري، جـ١/ ١٩٧– القاموس المحيط، صـ ٢٨٠ .

ومن معاني النفس اللُغوية أيضاً:الدم، والعينُ التي تصيب المَعِينَ، والخُلق والجَلَد، والعِنْدُ، والغيب، والعَظَمَةُ والكِبر، والعِزَّة والهِمَّة، والإرادَةُ، والعُقُوبَةُ والأَنَفَة، والفَرَج مِنَ الْكَرْبِ، والماءُ، وعين كل شيء وجوهره وحقيقته، والنَفْسُ: قَدْرُ دَبْغَةٍ مما يُدْبَغُ به الأديمُ من القَرَظِ وغيره[١].

وقد عرضت لهذه المعاني إجمالاً، ولم أعرض لشواهدها وأفصل فيها، لبعدها نوعاً عن صلب الموضوع الذي نحن بصدده .

<u>أما النفس اصطلاحا</u>: فقد اختلفت أقوال علماء المسلمين في تعريف النفس إلى سبعين قولا[٢] بل قال ابن حجر[٣]:إِنَّ الْأَقْوَالَ فِيهَا بلغت مائَة[٤]، والمعول عليه عند المحققين قولان:

- **الأول: – وهو قول الجمهور– أنها جسم لطيف مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، نوراني علوي خفيف حي متحرك، نافذ فِي جَوْهَر الْأَعْضَاء، سار فيها سريان ماء الورد في الورد والنار في الفحم، لا يتطرق إليه تبدل ولا انحلال، بقاؤه في الأعضاء حياة وانفصاله عنها إلى عالم الأرواح موت[٥]**

---

(١) الصحاح، جـ٣/ ٩٨٤ - مختار الصحاح، جـ٣١٦/١ – لسان العرب، جـ٢٣٤/٦، ٢٣٥ - القاموس المحيط، صـ ٥٧٧ - تاج العروس، جـ٥٥٩/١٦ - المعجم الوسيط، جـ٩٤٠/٢ - تاج العروس، جـ١٦/ ٥٦٠ -٥٦٤- العين، جـ٥٧٧/١ -المحكم والمحيط، جـ٥٢٥/٨، ٥٢٦ - الكليات، صـ٨٩٧- تهذيب اللغة، جـ٨/١٣ - الزاهر للأزهري، صـ٢٣٧–القاموس الفقهي، صـ ٣٥٧ - غريب الحديث لابن قتيبة، جـ٢/ ٦٢١– معجم ديوان الأدب، جـ١/ ١١٤.

(٢)عمدة القاري، جـ٢٠١/٢ – شرح البخاري للسفيري، جـ٢١٥/٢ .

(٣) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة الحديث والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ٧٧٣هـ، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت شهرته فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ .. انظر [الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جـ٢/ ٣٦– شذرات الذهب، جـ١/ ٧٤]

(٤) فتح الباري، جـ٤٠٣/٨ .

(٥) انظر في ذلك : الروح لابن القيم، صـ١٧٩ –تفسير الآلوسي، جـ٧/ ٢٨٤–الجامع لأحكام القرآن، جـ٢٤/١٠، جـ١٥/ ٢٦٢– التذكرة للقرطبي، صـ٣٦٨ - فيض القدير، ، جـ١/ ٣٣٠، جـ٣٤٣/٢– مجموع الفتاوى لابن تيمية ، جـ٣٤١/١٧– درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، جـ٥٢/٢ - التحفة المهدية، للدوسري، جـ١١٠/٢– شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي، صـ ٣٨٧ .

- **الثاني: أنَّ النَّفْس جوهر روحاني خالص قَائِم بِنَفسِهِ غير متحيز وَلَا متجسم وَلَا هُوَ منطبع فِي جسم لَا علاقَة بَينه وَبَين الْجِسْم الا بِالْفِعْلِ فِيهِ وَلَا علاقَة بَين الْجِسْم وَبَينه الا بالانفعال عَنهُ[١]، وبهذا قال الغزالي[٢]، والرازي[٣]، وابن سينا[٤] وغيرهم.**

والراجح هو قول الجمهور، وقد أورد ابن القيم[٥] – رحمه الله – أكثر من مائة دليل لتقوية قول الجمهور وترجيحه[٦]، وقال إن هذا القَوْل هُوَ الصَّوَاب فِي الْمَسْأَلَة، وهُوَ الَّذِي لَا يَصح غَيره وكل الْأَقْوَال سواهُ بَاطِلَة، وَعَلِيهِ دلّ الْكتاب وَالسّنة وَإِجْمَاع الصَّحَابَة وأدلة الْعقل والفطرة[٧]، وكذلك

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، جـ٣/٣، ٤ – معارج القدس في معرفة النفس للغزالي، صـ٢٠ - فضائح الباطنية ، أبو حامد الغزالي، صـ٤٩ – الفوز الأصغر لابن مسكويه، صـ٣٣، ٤٥، ٥٣ - التفسير الكبير للرازي، جـ٣٩٢/٢١، جـ٧٣٥/٣٠ - الإشارات والتنبيهات لابن سينا، صـ٤٢٩، – الشفا لابن سينا، صـ٢٩ - الملل والنحل للشهرستاني، جـ٦٦/٣ - الكليات، صـ٨٩٨ .

(٢) محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى الشافعى، حكيم، فقيه، متكلم، أصولى، صوفى، ولد بخراسان ٤٥٠ هـ، لقب بالغزالى نسبة إلى الغزل، فذكروا أن أباه كان يغزل الصوف، مات سنة ٥٠٥ هـ .. انظر [طبقات الشافغية الكبرى للسبكي، جـ٦/ ١٩١– طبقات الشافعيين لابن كثير، صـ ٥٣٣ - سير أعلام النبلاء، جـ١٤/ ٢٦٧ - الأعلام، جـ٢٢/٧] .

(٣)محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ، الإمام المفسر، ابن خطيب الريّ، ولد في الري سنة ٥٤٤هـ، وإليها نسبته، توفي في هراة ٦٠٦هـ، انظر [الأعلام للزركلى، جـ٣١٣/٦ – الوافى بالوفيات، جـ١٧٦/٤]

(٤) أبو علي الحسين بن عبد الله البلخي ثم البخاري، الطبيب الفيلسوف، كان أبوه من دعاة "الإسماعيلية الباطنية، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، واشتغل بالعلوم وحصل الفنون، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، توفي سنة ٤٢٨ هـ ..انظر: [معجم الأدباء، جـ١٠٧١/٣–وفيات الأعيان، جـ١٥٧/٢–الوافي بالوفيات، جـ٢٤٢/١٢]

(٥) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ٦٩١هـ، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، توفي في دمشق ٧٥١ هـ .انظر [الوافي بالوفيات، جـ٢/ ١٩٥– الدرر الكامنة لابن حجر، جـ٥/ ١٣٧– الأعلام للزركلي، جـ٦/ ٥٦] .

(٦)انظر :الروح، صـ ١٧٩– شرح النووي على مسلم، جـ٢٢٣/٦ .

(٧)الروح، صـ ١٧٩– شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، صـ ٣٨٧– لوامع الأنوار البهية، شمس الدين السفاريني، جـ٢٩/٢ .

قال ابن أبي العز الحنفي[١] في كتابه(شرح العقيدة الطحاوية)، ثم ساق جملة من الأدلة على الترجيح، وختم كلامه قائلا:وَعَلَى ذَلِكَ أَجْمَعَ السَّلَفُ وَدَلَّ الْعَقْلُ، وَلَيْسَ مَعَ مَنْ خَالَفَ سِوَى الظُّنُونِ الْكَاذِبَة، وَالشُّبَه الْفَاسِدَة، الَّتِي لَا يُعَارَضُ بِهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ نُصُوصُ الْوَحْي وَالْأَدِلَّة الْعَقْلِيَّة[٢]، وقال إمام الحرمين[٣]عن هذا القول:هو الْأَظْهر عندنَا[٤]، وقَالَ النَّوَوِيّ[٥]:وهذا هو الْأَصَح عِنْد أَصْحَابنَا، وقال السيوطي[٦]:أَكثر الْمُسلمين على أَن الرّوح جسم وَهُوَ الَّذِي دلّ عَلَيْهِ الْكتاب وَالسّنة وَإِجْمَاع الصَّحَابَة [٧]

ثالثاً : التعريف بـمصطلح (الأمن النفسي)

بعد أن عرَّفنا فيما سبق بجزأي مصطلح (الأمن النفسي) في اللغة والاصطلاح، نعرف هنا بمعنى ومفهوم هذا المصطلح، فنعرض أولا لبعض ما وقفنا عليه من تعريفات، ثم نسوق التعريف الذي نراه مناسباً:

---

(١)علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقيّ: فقيه. كان قاضي القضاة، بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق مولده ٧٣١هـ، ووفاته٧٩٢هـ [الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ٣٠١/٤ - الأعلام للزركلي، جـ٣١٣/٤] .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، صـ٣٨٧ .

(٣)عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني الشافعي، أبو المعالي، أحد الأئمة الأعلام وأذكياء العالم واحد أوعية العلم، من بلدة جوين بنيسابور، خرج إلى مكة فجاور بها أربع سنين ينشر العلم، وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس ولهذا قيل له إمام الحرمين.توفي سنة ٤٧٨هـ: [وفيات الأعيان، جـ٣/ ١٦٧ - الأعلام، جـ ١٦٠/٤ – معجم المؤلفين، جـ٦/ ١٨٤]

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام، جـ٢١٤/٢.

(٥) محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حِزَام النووي، نسبة إلى نوى، ، ولد ٦٣١ هـ، شيخ المذاهب وكبير الفقهاء في زمانه، توفى ٦٧٦ هـ ..انظر : [الأعلام، جـ ١٤٩/٨ – فوات الوفيات، جـ٢٦٥/٤ – طبقات الشافعية الكبرى للسبكى، جـ٣٩٧/٨]

(٦) عبد الرحمن أبى بكر بن سابق الدين السيوطى، إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف، ولد ٨٤٩ هـ، بدأ التأليف سنة٨٦٦ هـ، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه، فألف أكثر كتبه، وبقى على ذلك إلى أن توفى سنة ٩١١ هـ .. انظر : [شذرات الذهب، جـ٥١/٨ - معجم تفاسير القرآن الكريم، ص٣٦٩ - التفسير والمفسرون، جـ٢٦١/١]

(٧) شرح الصدور للسيوطي، صـ٣١١ .

- **عرفه أحمد الشرباصي[١]في موسوعة أخلاق القرآن بأنه:عدم الاضطراب والقلق، وسكون فكر الإنسان إلى شيء يعتقده، فلا يرتاب فيه ولا يشك** [٢].

- **وعرفه الأستاذ الدكتور:أحمد محمد عبد الخالق – أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة الإسكندرية – بأنه شعور الفرد بالطمأنينة على نفسه وماله وعرضه وعقله ودينه**[٣]

- **وعُرف أيضا بأنه:طمأنينة النفس وزوال الخوف والقلق عنها** [٤]

- **وقيل:هو الشعور بالاستقرار، وضمان الحصول على الحاجات والرغبات، وعدم توقع الحرمان والأخطار**[٥].

- **وقيل:هو شعور المرء بقيمته الشخصية واطمئنانه إلى وضعه وثقته بنفسه**[٦].

ومن جملة ما سبق يمكن تعريف الأمن النفسي اصطلاحا بأنه: شعور الإنسان بالسكينة والطمأنينة، وسلامته من كل دواعي الخوف والقلق والاضطراب في الحاضر والآتي، وثقته في موانع تلك الدواعي .

(١)رجل دين وخطيب وكاتب ومفكر مصري، ولد سنة ١٩١٨م، تخرج من كلية اللغة العربية، كان أمين لجنة الفتوى بالأزهر، توفي سنة ١٩٨٠م [مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، أنور الجندي، صـ٣٩ - الأزهر في ألف عام، د محمد عبد المنعم خفاجي، د / محمد علي صبح، ج٢٠١/٥]

(٢) انظر: موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، جـ٧٩/١ .

(٣) أصول الصحة النفسية، أحمد عبد الخالق، صـ٣٥ .

(٤) مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد ٨٦، صـ ٢٣

(٥) انظر:الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي، وليم الخولي، صـ٤٠٥ .

(٦) انظر: موسوعة علم النفس، أسعد زروق، صـ٣٩ .

المبحث الأول

أهميـــة الأمـــن النفســـي

في ضـوء آيات القرآن الكريم

يشتمل هذا المبحث على مطلبين، أما الأول فأعرض فيه لمواضع حديث القرآن الكريم عن الأمن النفسي، وأما المطلب الثاني فأتحدث فيه عن أهمية الأمن النفسي في ضوء آيات الكتاب الكريم .

المطلب الأول :

مواضع حديث القرآن الكريم عن (الأمن النفسي) .

لعله من نافلة القول إن مصطلح (الأمن النفسي) لم يرد صراحة في كتاب الله تعالى، وكل الآيات التي تحدث القرآن فيها عن الأمن، جاء لفظ الأمن فيها عاما، غير مقيد بشيء، لا بوصف ولا بإضافة، وقد يكون هذا سببا ودافعا لتوهم البعض أن آيات القرآن الكريم جاءت خلوا من الحديث عن الأمن النفسي، غير أن الأمر خلاف ذلك، ولبيان الأمر وتوضيحه علينا أن نعرض للفظ الأمن – بشكل عام – ومشتقاته في كتاب الله تعالي، ثم نعرض ثانيا لمواضع حديث القرآن عن الأمن النفسي خاصة، وذلك على النحو الآتي :

أولاً : لفظ الأمن ومشتقاته في كتاب الله تعالى .

جاء لفظ الأمن ومشتقاته في (ثمانية وأربعين) موضعا من كتاب الله

تعالى، منها (تسعة وعشرون) موضعا في ثمان سور مكية [١]، و(تسعة عشر) موضعا في ست عشرة سورة مدنية [٢]، بيان ذلك في الجدول التالي :

الكلمة	عدد مرات الورود	الآيات
- الأمن	٣	• (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به)[النساء : ٨٣]. • (فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) [الأنعام : ٨١] . (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[الأنعام : ٨٠٢] .
- أمنا	٢	• (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) [النور : ٥٦] • (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)[البقرة :١٢٥]
- أمنة	٢	- (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة) [آل عمران : ١٥٤]. - (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه) [الأنفال: ١١].
- أمن	٤	- (فإن أمن بعضكم بعضا) [البقرة: ٢٨٣]. - (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون) [الأعراف : ٩٧] . - (أفأمن الذين مكروا السيئات) [النحل: ٤٥] . - (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون) [الأعراف : ٩٨] .

(١) هي : [البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، الأنفال، التوبة، النور، الفتح].
(٢) هي : [الأعراف، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، الإسراء، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، سبأ، فصلت، الدخان، الملك، المعارج، قريش] .

الكلمة	عدد مرات الورود	الآيات
- يأمن	١	- (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون)[الأعراف:٩٩] .
- اؤتمن	١	- (فليؤد الذي اؤتمن أمانته) [البقرة : ٢٨٣].
- أمنوا	٢	- (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية ..} [يوسف: ١٠٧] - أ)فأمنوا مكر الله) [الأعراف : ٩٩]
- أمنتم	٦	- أ)فأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) [الإسراء : ٦٨] - (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى) [الإسراء : ٦٩] - (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) [الملك :١٦] - (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) [الملك : ١٧] . - (فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي) [البقرة :١٩٦]. - (فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم) [البقرة :٢٣٩]
- آمنون	٢	- (وهم في الغرفات آمنون) [سبأ: ٣٧] - (وهم من فزع يومئذ آمنون) [النمل: ٨٩] .
- آمنين		- (أتتركون في ما ههنا آمنين) [الشعراء : ١٤٦]. - (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) [يوسف : ٩٩]

الكلمة	عدد مرات الورود	الآيات
	٧	- (كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) [الحجر : ٨٢] - (ادخلوها بسلام آمنين) [الحجر: ٤٦] . - (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) [الفتح :٢٧]. - (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) [سبأ: ١٨] . - (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) [الدخان : ٥٥] .
- الآمنين	١	- (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين [القصص : ٣١] .
- آمنكم	١	- (قال هل آمنكم عليه) [يوسف :٦٤] .
- أمنتكم	١	- (إلا كما أمنتكم على أخيه) [يوسف :٦٤] .
- تأمنا	١	- (قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا) [يوسف :١١].
- آمنا	٦	- (رب اجعل هذا بلدا آمنا) [البقرة: ١٢٦] . - (رب اجعل هذا البلد آمنا) [ابراهيم : ٣٥] . - (أولم نمكن لهم حرما آمنا) [القصص: ٥٧] - (أم من يأتي آمنا يوم القيامة} [فصلت: ٤٠]. - (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا) [العنكبوت: ٦٧] - (ومن دخله كان آمنا) [آل عمران: ٩٧].
- آمنة	١	- (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة) [النحل: ١١٢]
- مأمون	١	- (إن عذاب ربهم غير مأمون) [المعارج :٢٨].
- آمنهم	١	- (وآمنهم من خوف) [قريش: ٤] .
- تأمنه	٢	- (من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) [آل عمران:

الكلمة	عدد مرات الورود	الآيات
		[٧٥] - (ومنهم من إن تأمنه بدينار) [آل عمران : ٧٥]
- مأمنه	١	- (ثم أبلغه مأمنه) [التوبة : ٦] .
- يأمنوكم	١	- (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم) [النساء :٩١] .
- يأمنوا	١	- (ويأمنوا قومهم) [النساء :٩١] .

ثانيا : مواضع حديث القرآن عن الأمن النفسي .

يمكن تقسيم مواضع حديث القرآن عن الأمن النفسي إلى قسمين :

- **القسم الأول** :الآيات الواردة في الجدول السابق والتي جاء فيها التصريح بلفظ الأمن أو أحد مشتقاته :

فلعلك تلحظ – يا رعاك الله – أن غالبية الآيات السابقة، التي ذكر فيها لفظ الأمن أو أحد مشتقاته إنما تتحدث عن الأمن الذي هو بمعنى الاطمئنان والاستقرار وسكون القلب، والذي هو ضد الخوف والفزع والقلق، وليس الأمن النفسي إلا ذلك، ومن ثم يمكننا القول إن أغلب هذه الآيات وإن جاءت بلفظ الأمن عاما إلا أن السياق يوحي بأن المراد به الأمن النفسي على وجه الخصوص .

وإن قلتَ:إن الأمن هنا جاء عامًا، والمراد به كل أنواع الأمن، ولا يمكن صرفه إلى نوع معين منها .. قلتُ : لا بأس، فلئن كان لفظ الأمن هنا عامًا، والمراد به كل أنواع الأمن، فلا شك أن الأمن النفسي واحد منها، ومن ثم تكون هذه الآيات قد تحدثت عن الأمن النفسي ضمنًا، بوصفه أحد أنواع الأمن الداخلة في هذا العموم، بل إن الأمن النفسي ليدخل في ذلك دخولا أوليا، فهو

أول ما ينصرف إليه الذهن عند قراءة هذه الآيات .

خلاصة القول:إن لم يكن الأمن في غالب هذه الآيات يراد به الأمن النفسي خاصة بوحي السياق، فإنه مذكور ضمنا كأحد انواع الأمن المندرجة تحت عموم اللفظ .

- **القسم الثاني:الآيات التي تحدثت عن الأمن النفسي بألفاظ مرادفة له:**

فقد جاء الحديث عن الأمن النفسي في جملة من آيات القرآن بألفاظ مرادفة له، من تلك الألفاظ :

- **الطمأنينة: وهي تعني في اللغة : الهدوء وسكون النفس وعدم القلق(١)، وفي الاصطلاح عرفها ابن القيم بقوله:الطُّمَأْنِينَةُ سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَى الشَّيْءِ. وَعَدَمُ اضْطِرَابِهِ وَقَلَقِهِ(٢) وعرفها ابن عاشور بأنه: الدَّعَةُ وَهُدُوءُ الْبَالِ(٣)**

وقد سبق أن عرفنا الأمن النفسي بأنه:الطمأنينة والسكون، ومن ثم فإن لفظ الطمأنينة من الألفاظ القرآنية المرادفة لمصطلح الأمن النفسي بوضوح وجلاء، وقد عبر القرآن عن الأمن النفسي بالطمأنينة في أكثر من موضع.

من ذلك قوله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[الرعد :٢٨]، فقوله تعالى:(تطمئن القلوب)أي:تطيب وتسكن وتستقر وتثبت(٤)، وكل هذه المعاني تدور في فلك الأمن النفسي وتؤدي معناه.

(١) المعجم الوسيط، جـ٢/ ٥٦٧ - المخصص، جـ٣/ ٣٢٣ – المغرب في ترتيب المعرب، صـ ٢٩٤ – التوقيف، صـ ٢٢٨ – معجم لغة الفقهاء، صـ٢٩٣ .

(٢) مدارج السالكين، جـ٢/ ٤٧٩ .

(٣) التحرير والتنوير، جـ١٤/٣٠٥ .

(٤) جامع البيان ، جـ١٦/ ٤٣٢ – تفسير السمرقندي، جـ٢/ ٢٢٦ – الهداية، جـ٥/ ٣٧٣٣ – تفسير البغوي، جـ٣/٢٠ – تفسير القرطبي، جـ٩/ ٣١٥ .

ومن ذلك أيضًا قوله سبحانه:(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ..) قال المفسرون (وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ) أي لتسكن به نفوسُكم وتقر به قلوبكم ويزول عنها الخوف والوجل(١)

- **صلاح البال والبال من معاني النفس اللغوية، وقد مر بك قول أبي زيد وغيره، من أسماءالنفس:البال(٢)، والبال أيضا:الفكر والقلب والعقل(٣)، قال العسكري(٤): سمي القلب بَالًا، لأن البال هو عمدة كل شيء فلما كان القلب عمدة البدن سمي بالا (٥)، وقال أبو حيان(٦):وحَقِيقَةُ لَفْظِ الْبَالِ أَنَّهَا بِمَعْنَى الْفِكْرِ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ نَظَرُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ الْقَلْبُ(٧)، وقال ابن فارس:البَالُ بَالُ النفسِ، ويقال ما خطر ببَالِي، أي ما أُلْقِيَ في رُوعِي(٨) .**

وجاء في القرآن قوله تبارك وتعالى:(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ)[محمد:٢]، فالمراد بقوله (أَصْلَحَ بالَهُمْ) أي أراح فكرهم وخاطرهم وجعل قلوبهم في أمن وطمأنينة، قال صاحب التفسير الحديث:أصلح بالهم:سكن

---

(١) جامع البيان، جـ١٣/ ٤١٨ – تفسير أبي السعود، جـ٨/ ٨ - الكشاف، جـ١/٤١٢ - ١٠ – تفسير السمعاني، جـ٢/ ٢٥١ – تفسير البيضاوي، جـ٣/ ٥١ – تفسير النسفي، جـ١/ ٦٣٤ – السراج المنير، جـ١/ ٥٥٩– تفسير المراغي، جـ٩/ ١٧٤ .

(٢) انظر: تعريف النفس لغة في هذا البحث .

(٣) المخصص، جـ٤/٤٩ - مختار الصحاح، صـ٤٢ – الكليات، صـ ٢٤٨ - تهذيب اللغة، جـ٧/١٢٥ - الصحاح، جـ٢/٤٦٩ – مقاييس اللغة، جـ٢/٢٠٨- المحكم، جـ٥/١٣٩.

(٤) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العَسْكَري، عالم لغوي رائد، نسبته الى (عسكر مُكرَم) من كور الأهواز، توفي بعد ٣٩٥ هـ .. انظر : [معجم الأدباء، جـ٢/ ٩١٨ – الوافي الوفيات، جـ١٢/ ٥٠- بغية الوعاة، جـ١/ ٥٠٦ – طبقات المفسرين للسيوطي، صـ٤٣ – الأعلام للزركلي، جـ٢/ ١٩٦ – معجم المؤلفين، جـ٣/٢٤٠

(٥) معجم الفروق اللغوية، صـ٤٣٣ .

(٦) أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان الأندلسي، ولد بمطخشارش من أعمال غرناطة فِي شَوَّال سنة ٦٥٤هـ، إمام عصره فى النحو واللغة والتفسير والقراءات والْحَدِيث وتراجم النَّاس وَمَعْرِفَة طبقاتهم وخصوصاً المغاربة، توفى بالقاهرة بعد أن كف بصره سنة ٧٤٥هـ، انظر: (الوافى بالوفيات، جـ٥/١٧٥ – طبقات الشافعية للسبكى، جـ٩/٢٧٧ – الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، جـ٦/٥٩]

(٧) البحر المحيط، جـ٩/٤٥٩

(٨) مقاييس اللغة، جـ١/ ٣٢١ .

رُوعهم (أي قلبهم)[١]، ويرى الدكتور طنطاوي[٢]:أن صلاح البال يعني:استقرار القلب وطمأنينة النفس والبعد عن القلق والاضطراب في المشاعر والأحوال، يتضح ذلك من قوله في تفسيره:قوله تعالى:(وَأَصْلَحَ بالَهُمْ) نعمة عظمى لا يحس بها إلا من وهبه الله- تعالى- إياها، فإن خزائن الأرض لا تنفع صاحبها إذا كان مشتت القلب، ممزق النفس، مضطرب المشاعر والأحوال. أما الذي ينفعه فهو راحة البال وطمأنينة النفس، ورضا القلب، والشعور بالأمان والسلام[٣]، وقال صاحب نظم الدرر:(أَصْلَحَ بالَهُمْ) أي موضع سرهم وفكرهم بالأمن والتوفيق والسداد وقوة الفهم والرشاد[٤]

*** الحياة الطيبة:كما في قوله تعالى:(مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ)[النحل: ٩٧]، فالحياة الطيبة هنا تعني حياة الطمأنينة والرضا وراحة النفس وأمنها، وقد فسرها غير واحد من المفسرين بنحو هذا، فقال السعدي[٥]:(فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه[٦]، وفسر القاسمي[٧]الحياة الطيبة بأنها:الحياة التي فيها ثلج الصدور**

---

(١) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، جـ٢٩٩/٨ .

(٢) الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي، ولد بمحافظة سوهاج في أكتوبر ١٩٢٨ م. ، عين مدرسا بكلية أصول الدين سنة ١٩٦٨ م ثم عميدا لكلية أصول الدين بأسيوط سنة ١٩٧٦ ثم عميدا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين سنة ١٩٨٥ م ثم مفتيا لجمهورية مصر العربية في ٢٨ أكتوبر ١٩٨٦ م ثم عين شيخا للأزهر في ٨ من ذى القعدة سنة ١٤١٦ هـ الموافق ٢٧ من مارس ١٩٩٦، نقلا عن : [موقع دار الإفتاء المصرية على شبكة الانترنت]

(٣) التفسير الوسيط، جـ٢١٩/١٣ .

(٤) نظم الدرر، جـ١٩٩/١٨ .

(٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، النجدي مفسر، محدث، فقيه، اصولي، متكلم واعظ، ولد في عنيزة القصيم بنجد، وحفظ القرآن، وطلب العلم على علماء نجد، ثم درس ووعظ وافتى وخطب في جامع عنيزة، وتوفي عام ١٣٧٦ هـ، انظر:[معجم المؤلفين، ج، ١٣/ ٣٩٦]

(٦) تفسير السعدي، صـ٤٤٨ .

(٧) محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمى، إمام الشام فى عصره، مولده فى مدينة دمشق ١٢٨٣ هـ، وبها نشأ وتربى وتعلم العلوم الإسلامية على يد عدد كبير من أعلام عصره فى الشام ومصر والحجاز، توفي ١٣٣٢ هـ، انظر:[معجم المؤلفين، جـ١٥٧/٣ ـ معجم تفاسير القرآن، ص٤٧٦ ـ الأعلام للزركلى، جـ١٣٥/٢]

بلذة اليقين وحلاوة الإيمان والرغبة في الموعود والرضا بالقضاء[١]، وقال ابن عطية[٢]:إن طيب الحياة اللازم للصالحين إنما هو بنشاط نفوسهم ونيلها وقوة رجائهم، والرجاء للنفس أمر ملذ فبهذا تطيب حياتهم وأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم، فإن انضاف إلى هذا مال حلال وصحة، أو قناعة فذلك كمال، وإلا فالطيب فيما ذكرناه[٣]، وقال المراغي[٤]:(حَياةً طَيِّبَةً)أي حياة تصحبها القناعة بما قسم الله له، والرضا بما قدّره وقضاه، إذ هو يعلم أن رزقه إنما حصل بتدبيره، والله محسن كريم لا يفعل إلا ما فيه المصلحة، ويعلم أن خيرات الدنيا سريعة الزوال، فلا يقيم لها فى نفسه وزنا، فلا يعظم فرحه بوجدانها، ولا غمه بفقدانها[٥].

***السكينة: وهي في كلام العرب تعني:الطمأنينة والهدوء وسكون النفس وأمنها، وذهاب الخوف والقلق والاضطراب[٦]، قال الخازن[٧]:السكينة:فعيلة من السكون وذلك أن الإنسان إذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا وإذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الأمن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن**

---

(١) تفسير القاسمي، جـ٦/ ٤٠٧ .

(٢) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، ولد (٤٨١ هـ)، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين، وتوفي (٥٤٢هـ) انظر:[الأعلام للزركلى، جـ٢٨٢/٣ - بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي، صـ٣٨٩ – تذكرة الحفاظ للذهبى، جـ٤٥/٤]

(٣) تفسير ابن عطية، جـ٤١٩/٣ .

(٤) أحمد بن مصطفى المراغى، مفسر، مصرى، من أسرة علمية شهيرة بالمراغة من صعيد مصر، تخرج من دار العلوم سنة ١٩٠٩، ثم كان مدرساً للشريعة الإسلامية بها، وولى نظارة بعض المدارس، وعين أستاذ للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، توفى بالقاهرة ١٩٥٢م، انظر :[الأعلام للزركلى، ج٢٥٨/١ ـ معجم تفاسير القرآن، ص٥٧٠ ـ التفسير والمفسرون، ج٦٣٣/٢].

(٥) تفسير المراغي، جـ١٤/ ١٣٨.

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس، جـ٤٢٧/١ - دستور العلماء، جـ٢/ ١٢٨ - تهذيب اللغة، جـ٤٢/١٠ - الفروق اللغوية، صـ٢٠٢ - لسان العرب، جـ١٣/ ٢١٣ - التعريفات للجرجاني، صـ١٢٠ – أيسر التفاسير، جـ٢/ ٣٥٤

(٧) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشيحيّ المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، ولد ببغداد سنة ٦٧٨هـ، ، بحلب سنة ٧٤١هـ . ..انظر [الأعلام للزركلي، جـ٥/٥ – الدررالكامنة لابن حجر، جـ١١٦/٤ – طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، جـ٣/ ٤٢] .

الأمن[١]، ومعناها في الاصطلاح لا يخرج عن المعنى اللغوي، فقد عرفها ابن القيم بأنها:الطُّمَأنِينة والسُّكون وَزَوَالُ القَلَقِ وَالاضْطِرَابِ عِنْدَ هُجُومِ الْمَخَاوِفِ[٢]، وقال صاحب تفسير المنار:السِّكِّينَةُ:اسْمٌ لِلْحَالَةِ وَالْهَيْئَةِ النَّفْسِيَّةِ الْحَاصِلَةِ مِنَ السُّكُونِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَهِيَ ضِدُّ الِاضْطِرَابِ وَالِانْزِعَاجِ[٣]

ومن المواضع التي ذكرت فيها السكينة بمعنى الاطمئنان والأمن النفسي قوله تعالى:(ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا)[التوبة:٢٦]، قال المفسرون:يعني أنزل عليهم الْأَمن وَالطُّمَأْنِينَةَ والقرار بعد القلق[٤]، ومنها أيضاً قوله تعالى:(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ)[الفتح:٤] ومعنى الآية كما قال المفسرون:أنزل الأمن والسكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين ونفوسهم فلا قلق ولا اضطراب، لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مُنْضَمًّا إِلَى إِيمَانِهِمُ الْحَاصِلِ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ[٥].ومنها كذلك قوله تعالى (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)[التوبة : ١٠٣]، أي تسكُن نفوسُهم وتطمئن قلوبُهم بها [٦]

---

(١) تفسير الخازن، جـ٢/ ٣٤٨ .
(٢) انظر : مدارج السالكين جـ٢/٤٧١، ٤٨٢ .
(٣) تفسير المنار، جـ١٠/ ٢٢٠
(٤) جامع البيان، جـ١٤/ ١٨٩ - تفسير الثعلبي، جـ٥/ ٢٦ - التفسير الوسيط، جـ٢/ ٤٨٧ - زاد المسير، جـ٢/ ٢٤٧ – تفسير الماوردي، جـ٢/ ٣٤٩ – تفسير البغوي، جـ٤/ ٣١ – فسير الخازن، جـ٢/ ٣٤٨ – - تفسير أبي السعود، جـ٤/ ٥٦ –التفسير الوسيط للدكتور طنطاوي، جـ٦/٢٤٢- البحر المحيط، جـ٣/٣٩٤ .
(٥) جامع البيان، جـ٢٢/ ٢٠٣ – تفسير البيضاوي، جـ٥/ ١٢٦ - البحر المحيط، جـ٩/ ٤٨٤ - زاد المسير، جـ٤/ ١٢٨ ٣١١ – الهداية، جـ١١/ ٦٩٣٩ – تفسير القرطبي، جـ١٦/ ٢٦٤ - –فتح القدير، جـ٥/٥٤ – تفسير النسفي، جـ٣/ ١٢٦ - تفسير السعدي، صـ ٧٩١ . التحرير والتنوير، جـ٢٩/ ١٤٩ – أيسر التفاسير، جـ٥/ ٩٣ – التفسير الواضح، صـ ٨٧٢ - التفسير المنير، وهبة الزحيلي، جـ١٠/١٦٠ – تفسير ابن عطية، جـ٥/ ١٢٦ – تفسير الخازن، جـ٤/ ١٥٤ – تفسير ابن كثير، جـ٧/ ٣٢٨ .
(٦) تفسير أبي السعود، جـ٤/٩٩ - تفسير ابن جزي، جـ١/٣٤٧ – تفسير الثعالبي، جـ٣/٢١١ – جامع البيان، جـ١٤/٤٥٤ – تفسير السمرقندي، جـ٢/٨٦ – الهداية لمكي، جـ٤/٣١٤٤ – تفسير البيضاوي، جـ٣/٩٦ – تفسير الخازن، جـ٢/٤٠٤ – نظم الدرر، جـ٢/١٢ .

وأخيرًا يقول الشيخ محمد الغزالي[1]:وكلمة السكينة تكررت في مواضع كثيرة، وهي حيثما وُجدت تشير إلى ما يبثه الإيمان في النفوس من طمأنينة مرجعها الأنس بالله والركون إلى قضائه، والاستظهار بعونه كلما راب أمرٌ،أو أظلم أفق[2]، ويقول صاحب الظلال:والسكينة حين ينزلها الله في قلب، تكون طمأنينة وراحة، ويقينا وثقة، ووقارا وثباتا، واستسلاما ورضى[3].

(١) محمد الغزالى أحمد السقا مرسى، مفكر إسلامي معاصر، ولد بمحافظة البحيرة بمصر فى ١٩١٧م، تخرج من كلية أصول الدين بالقاهرة، فعين إماماً وخطيباً بوزارة الأوقاف، سنة ١٩٤٣ وظل يتدرج ويتنقل في العمل الدعوي إلى أن وافته المنية أثناء حضوره مهرجان ثقافى دينى بالسعودية، في ٩ مارس سنة ١٩٩٦م، عن عمر قارب الثمانين عاماً .. ودفن بالبقيع انظر:[النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين، د/ محمد رجب البيومى، جـ٣/٤٠٠-٤٢١ - الشيخ محمد الغزالى حياته وعصره، وأبرز من تأثر بهم، د/ رمضان خميس -- موقف الداعية الكبير محمد الغزالى من السنة النبوية، عرض ونقد، للباحث الدكتور / محمد سيد أحمد شحاتة، رسالة دكتوراه بقسم الحديث، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بأسيوط، ص ٨-٣٢].

(٢) جدد حياتك، صـ٤٧ .

(٣) الظلال، جـ٦/ ٣٣١٨ .

المطلب الثاني

أهمية الأمن النفسي

في ضوء آيات القرآن الكريم

لا يكاد الناس يُجمعون على طلب شيء والسعي لتحصيله، كما يجمعون على طلب الأمن والحرص عليه، فهو مطلب فطري، وحاجة إنسانية ملحة، وأصل من أصول الحياة البشرية، وركيزة من ركائزها الرئيسة، لا تستقيم إلا به، ولا تستقر إلا في ظله .

إن الحياة بلا أمن، حياة شديدة قاسية، لا يقبلها إلا مجبر، ولا يرضاها إلا مضطر، ذلك أنه إذا غاب الأمن، اضطربت النفوس، وسيطر الخوف والقلق على القلوب، وتعطلت المصالح، وضاقت الأرزاق، وتوقفت – غالبا – سائر أوجه النشاط والعمل، وانقبض الناس عن السعي والكسب، وانشغل كل فرد بتوفير الحماية لنفسه وأهله .

أما في ظلال الأمن فتطمئن القلوب، وتسكن النفوس، ويتآلف الناس، ويأنس الجميع، وتزدهر الحياة، وتقام الشعائر، وتؤدى العبادات، وتتسع الأرزاق، وتكثر التجارات، وتحقن الدماء، وتحفظ الأموال، ويعظم العمران، ويسعى الناس بهمة وعزم إلى مصالحهم وأعمالهم .

وعليه فلا صلاح للدنيا ولا انتظام لأمرها إلا بالأمن، لذا كان أول مطلب طلبه إبراهيم عليه السلام من ربه لمكة هو الأمن فقال – كما حكى القرآن – :(رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) [إبراهيم: ٣٥]، وجعل الإمام الماوردي[١] – رحمه الله – الأمن القاعدة الرابعة من القواعد اللازمة لصلاح الدنيا وانتظام أمرها فقال :... وأما القاعدة الرابعة: فَهِيَ أَمْنٌ عَامٌّ تَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ

(١) أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى، أقضى قضاة عصره، م أصحاب التصانيف الكبيرة النافعة، ولد فى البصرة سنة ٣٦٤ هـ .. وانتقل إلى بغداد ولى القضاء فى بلدان كثيرة، ثم جعل أقضى القضاه فى أيام القائم بأمر الله العباس، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، توفى فى بغداد سنة ٤٥٠ هـ . أنظر :[شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج٢٨٥/٣، ٢٨٦ ـ الأعلام، ، ج ٣٢٧/٤].

النُّفُوسُ وَتَنْتَشِرُ فِيهِ الْهِمَمُ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ الْبَرِيءُ، وَيَأْنِسُ بِهِ الضَّعِيفُ. فَلَيْسَ لِخَائِفٍ رَاحَةٌ، وَلَا لِحَاذِرٍ طُمَأْنِينَةٌ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ، الْأَمْنُ أَهْنَأُ عَيْشٍ، وَالْعَدْلُ أَقْوَى جَيْشٍ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ يَقْبِضُ النَّاسَ عَنْ مَصَالِحِهِمْ، وَيَحْجِزُهُمْ عَنْ تَصَرُّفِهِمْ(١)

ورُغم حاجة الإنسان الماسة إلى الأمن بكل أنواعه، إلا أن حاجته إلى الأمن النفسي أعظم وأشد، ففي ظلال الأمن النفسي يستطيع كل فرد أن يؤدي واجبه على أحسن وجه، وتؤدي كل جماعة واجبها بأحسن صور الأداء، وفي ظله تنطلق الكلمة المعبرة، والفكر المبدع، والعمل المتقن، ويحيا الناس فرحين مستبشرين، يؤدون واجباتهم في سعادة وهناء(٢).

وإذا كان عالم النفس الأمريكي إبراهام ماسلو(٣)**حين صنف الاحتياجات الإنسانية جعل الأمن النفسي في المرتبة الثانية بعد الاحتياجات الفسيولوجية، مدللا بذلك على أهميته في حياة البشر واحتياجاتهم**(٤)**، فإن القرآن الكريم قد ذهب في بيان أهمية الأمن عامة والأمن النفسي خاصة إلى ما هو أبعد وأعمق .. وبيان ذلك فيما يلي:**

<u>أولاً</u>: وضع القرآن الأمن في مرتبة متقدمة تلي حصول الفرد على حاجاته الفسيولوجية، سابقا بذلك ماسلو فيما قرره بمئات السنين، فخاطب مريم حين ولادتها المعجزة لعيسى عليه السلام:(فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً)[مريم:٢٦]، أي فَكُلِي من الرطب، وَاشْرَبِي من النهر، وَقَرِّي عَيْناً يعني:طيبي نفساً واطمئني قلبا(٥)**، فجعل سبحانه قرار النفس وأمنها وسكينتها بعد الأكل والشرب مباشرة، وفي سورة**

(١) أدب الدنيا والدين، صـ ١٤٢.
(٢) الأمن في الإسلام، أحمد هاشم، صـ٤٥ .
(٣) ولد في بروكلين سنة١٩٠٨م نيويورك .أبواه مهاجران يهوديان من روسيا اشتهر بنظريته تدرج الحاجات توفي ١٩٨٠م .. نقلا عن [موسوعة ويكيبيديا من على شبكة الانترنت http://ar.wikipedia.org] .
(٤)انظر في ذلك : دراسات في الصحة النفسية، محمد السيد عبد الرحمن، جـ٤٣٦/١ .
(٥) تفسير ابن كثير، جـ٥/ ٢٢٥ - تفسير السمرقندي، جـ٢/ ٣٧٢ –تفسير الثعلبي، جـ٢١/٦ - حاشية الشهاب على البيضاوي، جـ١٥٣/٦ -تفسير الظلال، جـ٤/ ٢٣٠٧.

قريش امتن الله على أهل مكة بإشباع حاجاتهم الأساسية من مأكل ومشرب ثم بالأمن والطمأنينة في حلهم وترحالهم، فقال سبحانه:(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ*إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ*فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ*الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ).

ثانيا : تحدث القرآن الكريم عن الأمن بوصفه نعمة كبرى، ومنة عظمى تستوجب توحيد الباري سبحانه، وإفراده بالعبودية، ففي سورة قريش – السابقة الذكر– يلفت القرآن الكريم أنظار أهل مكة إلى نعمة الأمن، منبهاً إلى أن تلك النعمة ينبغي أن تكون داعية لهم إلى شكر المنعم جل وعلا، وذلك بتوحيده والانقياد له وعدم الشرك به، ونحو ذلك قوله سبحانه في سورة العنكبوت:(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) [العنكبوت : ٦٧]، أي:أولم يعلم هؤلاء المشركون من قريش، ما خصصناهم به النعم، إذ جعلنا لهم بلدا آمنًا، ألقى الله في قلوب العرب جميعا توقيره، وتوقير ساكنيه، فعاشوا في ظل هذا البلد الحرام، آمنين مطمئنين، لا ينالهم احد بسوء، وصاروا في سلامة وعافية، على حين عاش العرب من حولهم في خوف وفزع، فكيف بعد ذلك يؤمنون بالأصنام، ويكفرون بالله – عز وجل – الذي أنعم عليهم بهذه النعمة .. كان اللائق بهم إخلاص العبادة لله، وعدم الإشراك به شكرا لهذه النعمة وغيرها[1]، قال صاحب الكشاف وغيره : كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا، ويتغاورون، ويتناهبون، وأهل مكة قارّون آمنون فيها، لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب، فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم، ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه، ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم[2] .

ثالثا: ربَطَ القرآن الكريم بين حصول الأمن وبين السعي لتحصيل المنافع وقضاء المصالح، ففي معرض حديث القرآن عن نعم الله سبحانه على سبأ، كان من بينها

(١) الهداية لمكي، جـ٩/٥٦٤٩– معاني القرآن للزجاج، جـ٥/٣٦٦- تفسير ابن كثير، جـ٦/٢٩٥
(٢) الكشاف، جـ٣/٤٦٥ – تفسير القاسمي، جـ٧/٥٦٥ .

تلك الطرق الآمنة العامرة، التى جعلها الله بينهم وبين قرى الشام وحواضرها[1]، التي يتجرون معها، مما ييسر لهم السعي لقضاءالمصالح، وتحصيل المنافع، وتسيير القوافل، فقال سبحانه:(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ)[سبأ:١٨]، أي وجعلنا بينهم وبين قرى الشام، التي كانوا يتجرون معها(قُرىً ظاهِرَةً) أي متصلة، لا يكادون يخرجون مِنْ قريةٍ إلا ظَهَرَتْ لَهم الْأُخْرَى (وَقَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ) أي جعلنا السير بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل إلى منزل، ومن قرية إلى قرية، لا ينزلون إلّا في قرية، ولا يغدون إلّا في قرية، فمن سار من قرية صباحا وصل إلى أخرى وقت الظهيرة والقيلولة ومن سار بعد الظهر وصل إلى أخرى عند الغروب فلا يحتاج لحمل زاد ولا مبيت في أرض خالية، (سِيرُوا فِيها) سيروا في تلك الطرق في أيٍّ وقت شئتم من ليل أو نهار، (آمنين)مطمئنين في السير لا تخافون عدوًّا، ولا جوعًا ولا عطشًا[2]، قال صاحب التفسير القرآني للقرآن: قوله (ليالي وأياماً آمنين) إشارة إلى نعمة الأمن التي يجدها القوم على طريق تجارتهم إلى الشام، حيث يسيرون ليالى وأياما، فى أمن وسلام، لا يخافون عدواً ولا جوعاً ولا عطشاً وإن تطاولت مدة سفرهم وامتدت أياماً وليالي[3]

رابعا: يؤكد أهمية الأمن النفسي في الرؤية القرآنية، ما جاء في سور النور بشأن وعد الله تبارك تعالى لعباده المؤمنين بالنصر والاستخلاف والتمكين، فقد ضم إلى ذلك، الوعد بالأمن وذهاب الخوف، تنبيهًا على أن الأمن والطمأنينة من لوازم النصر والتمكين، وأنه من علاماته ودلالاته، فقال تعالى:(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً) [النور:

(١) الإسلام والأمن الاجتماعي. محمد عمارة. صـ ١٠.
(٢) تفسير القرطبي، جـ١٤/ ٢٨٩ – تفسير النسفي، جـ٣/٦٠ - تفسير الثعلبي، جـ٨/٨٤ - تفسير الخازن ن جـ٣/٤٦ – البحر المحيط، جـ٥/ ٥٣٨ – حاشية الشهاب، جـ٧/ ١٩٧ –فتح القدير، جـ٤/ ٣٦٩ –تفسير السعدي، صـ ٦٧٧ .
(٣) التفسير القرآني للقرآن، جـ١١/ ٨٠٠ .

٥٥]، قال صاحب الظلال : ذلك وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد(صلى الله عليه وسلم) أن يستخلفهم في الأرض، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم. وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا[١]وقال الدكتو:طنطاوي:وعدهم الله- تعالى- بالاستخلاف في الأرض، وبتمكين دينهم. وبأن يجعل لهم بدلا من الخوف، أمنا واطمئنانا، وراحة في البال، وهدوءا في الحال[٢] .

وجاء تأكيد ذلك في السنة المطهرة حيث جعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأمن والاطمئنان مؤشرا ودليلا على نصر الله تعالى دينه وإعلاء كلمته، فقال(صلى الله عليه وسلم):وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ [٣]

<u>خامسًا</u> :في آية النور كذلك يربط القرآن بين الأمن والعبادة، مؤكدا أن الأمن خير معين على تحقيق العبادة الخالصة لله تعالى، وأدائها على الوجه الأمثل، وأن المؤمن في ظلال الأمن يستطيع أن يعبُد ربَّه بطمأنينة وصفاء، وراحة فكر وصلاح بال، فقال سبحانه مبشرًا عباده المؤمنين:(... وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) [النور: ٥٥]، قال السمعاني[٤]: يعبدونني آمنين[٥] وقال السمرقندي[٦]معناه:لكي يعبدونني لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً [٧]، فرتب تحقيق

---

(١) الظلال، جـ٤/ ٢٥٢٨ .
(٢) التفسير الوسيط، جـ١٠/١٤٧ .
(٣) صحيح البخاري، بَابُ مَنِ اخْتَارَ الضَّرْبَ وَالقَتْلَ وَالهَوَانَ عَلَى الكُفْرِ، جـ٩/٢٠ح ٦٩٤٣ - سنن أبي داود، باب الأسير يكره على الكفر، جـ٣/٤٧ح٢٦٤٩ –مسند أحمد، جـ٣٤/٥٥٢ح٢١٠٧٤ .
(٤) منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي، السمعاني، أبو المظفر: مفسر، من العلماء بالحديث. من أهل مرو، بها ولد سنة ٤٢٦هـ، وبها توفي سنة ٤٨٩ هـ، كان مفتي خراسان، أخذ الناس عنه كلّ هذه العلوم، وسادوا بالأخذ عنه..انظر : [إنباة الرواة – تذكرة الحفاظ، جـ٤/ ٤٤ – سير أعلام النبلاء، جـ١٣/ ١٥٥ – طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، جـ٥/ ٣٣٥ – طبقات الشافعيين لابن كثير، صـ ٤٨٩- الأعلام للزركلي، جـ٧/ ٣٠٣] .
(٥) تفسير السمعاني، جـ٣/٥٤٥ .
(٦) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى، أبو الليثى، الملقب بإمام الهدى، علامة من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين، توفى فى ٣٧٣ هـ .... انظر (سير أعلام النبلاء، ٣٢٢/١٦ - معجم المؤلفين، ٩١/١٣ - الجواهر المضية، ٥٤٤/٣)
(٧) تفسير السمرقندي، جـ٢/ ٥٢١ .

العبادة التامة لله عز وجل على حصول الأمن، وهذا أمر مشهود، ففُقدان الأمن يمنع العبد عن أداء العبادات على الوجه المطلوب .

وقد ربط الله بين الأمن والعبادة في مواضع أخرى من كتابه الكريم، من ذلك قوله سبحانه:(فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ)[البقرة : ٢٣٨]، وقوله تعالى:(فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا)[النساء:١٠٢-١٠٣]

هذا .. وقد أشار القرآن الكريم إلى أثر الخوف وفقدان الأمن في بعد الناس عن عبادة الله تعالى، وإعراضهم عن منهجه، ففي سورة يونس تحدث القرآن الكريم عن قلة عدد الذين آمنوا بموسى عليه السلام، مبينًا أن سبب ذلك هو حالة الخوف التي كان يعيشها بنو إسرائيل، بسبب تسلط فرعون عليهم بالأذى والظلم والاضطهاد، فكان ذلك مانعًا للناس عن الهدى والإيمان، فلم يؤمن بدعوة موسى عليه السلام إلا ذرية من قومه[1]، قال تعالى:(فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ)[يونس:٨٣].

<u>سادسا</u>:بيانا لأهمية الأمن ربطت آيات القرآن الكريم بينه وبين والعمران والحضارة والتنيمة، موضحة أن الأمن أمر لابد منه للتنمية والبناء والتشييد والعمران، وأن توافر الأجواء الآمنة والبيئة المطمئنة خير معين للناس على التنمية والبناء وصنع الحضارات.

فقد حدثتنا آيات الكتاب الكريم عن ثمود وما أحدثوه على الأرض من العمران، فقد شيدوا القصور الفارهة، والبيوت العظيمة، وزينوا الأرض بأصناف

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري، جـ٢/٣٦٣ – المحرر الوجيز، جـ٣/١٣٦ – تفسير الرازي، جـ١٧/ ٢٨٩ – تفسير البيضاوي، جـ٣/ ١٢١ – تفسير النسفي، جـ٢/ ٣٦ – تفسيرابن جزي، صـ٣٦١ – تفسير النيسابوري، جـ٣/٦٠٥ الفواتح الإلهية، الشيخ علوان، صـ٣٤١ – السراج المنير، جـ٢/٣٣ – تفسير أبي السعود، جـ٤/١٧٠

الزروع والأشجار وتوزيع المياه، وكانت حياتهم الآمنة المطمئنة التي من الله عليهم بها، من أهم الأسباب التي أعانتهم على بناء تلك الحضارة، وتحقيق ذلك المستوى الفريد من من التحضر وتعمير الأرض، وتشييد القصور والبيوت من الجبال والصخور، فقال تبارك وتعالى:(وآتَيْناهُمْ آياتِنا فَكانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ*وَكانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً آمِنِينَ)[الحجر:٨٠-٨١]، قال ابن كثير:أَيْ: مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ[١]، وحكى القرآن قول صالح عليه السلام لقومه:(أَتُتْرَكُونَ فِي ما هاهُنا آمِنِينَ*فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ*وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ)[الشعراء:١٤٦- ١٤٩][٢]، قال الزمخشري:وهذا تذكير لهم بالنعمة في تخلية الله إياهم وما يتنعمون فيه من الجنات والعيون، مع الأمن والدّعة[٣]

سابعا:الأمن في الرؤية القرآنية سبيل مهم لتدفق الخيرات والبركات، كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله عز وجل:(أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا)[القصص:٥٧]، فجعل أمن البلد الحرام – الذي من الله عليهم به – سببا لتدفق وجلب الثمرات إليهم، في إشارة إلى وطادة العلاقة بين الأمن والرزق، فأينما وجد الأمن والاطمئنان ازدهرت التجارات وكثرت الاستثمارات وراجت الصناعات.

لذا حين دعا إبراهيم عليه السلام لهذا البلد الحرام قدم طلب الأمن على طلب الرزق– كما أشرت سابقا – فقال:(رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)[البقرة:١٢٦]، لأنه إذا تحقق الأمن جاء الرزق وتدفقت الخيرات، وإذا فقد الأمن وانتشر الخوف والفزع لا يمكن تحصيل الرزق أو السعي إليه، كما أن الرزق بلا أمن لا قيمة له ولا طائل منه، فما عسى أن يفعل الخائف الفزع برزق قَلَّ أو كَثُرَ.

(١) تفسير ابن كثير، جـ٤/٥٤٥ .
(٢) الإسلام والأمن الاجتماعي، محمد عمارة، صـ١٠ .
(٣) الكشاف، جـ٣/٣٢٧.

كذلك قدم الله نعمة الأمن على الرزق في معرض امتنانه على المؤمنين في سورة الأنفال فقال سبحانه:(واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)[الأنفال:٢٦]، ونحو هذا ما جاء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله:(من أصبح آمنا في سربه[١]، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت[٢] له الدنيا)[٣] ، فقدَّم النبي(صلى الله عليه وسلم) نعمة الأمن على ما سواها من النعم لعظيم ثمرتها وجليل أثرها، وأن حاجة الناس إلى تلك النعمة إن لم تكن تعدل حاجتهم إلى الرزق والطعام والشراب فهي تسبقها وتتقدم عليها .

<u>ثامنًا</u>: يؤكد أهمية الأمن وعلو شأنه في الرؤية القرآنية، وكونه نعمة من أعظم النعم، أن الله تعالى جعل سلبه من أعظم العقوبات التي يعاقب الله بها من كذب رسله، وأعرض عن منهجه، فقال تعالى:(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) قال الثعلبي[٤]، وغيره: (كَانَتْ آمِنَةً) أي لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم، (مطمئنة) أي لا يزعجها خوف ولا ضيق[٥]، وقال ابن عاشور: وَقَدَّمَ

---

(١) فِي سِرْبه: بكسر السين وسكون الراء، أي: في نفسه، و قِيلَ: السِّرْبُ الْجَمَاعَةُ، فَالْمَعْنَى فِي أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَقِيلَ بِفَتْحِ السِّينِ وسكون الراء أَيْ: فِي مَسْلَكِهِ وَطَرِيقِهِ، وَقِيلَ بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ: فِي بَيْتِهِ ..انظر: [شرح سنن ابن ماجة للسيوطي، صـ٣٠٥ – مرقاة المفاتيح، جـ٨/٣٢٥٠ - التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي، جـ٢/٣٩٩ – تحفة الأحوذي، جـ٩/٧ -النهاية في غريب الحديث، جـ٢/ ٣٥٦] .

(٢) أي: جمعت واعطيت انظر: [شرح سنن ابن ماجة للسيوطي، صـ٣٠٥ - حاشية السندي على سنن ابن ماجة، جـ٥٣٥/٢ - مرقاة المفاتيح، جـ٨/٣٢٥٠]

(٣) جامع الترمذي: جـ٤/٥٧٤ح ٢٣٤٦ - سنن ابن ماجه، باب القناعة، جـ١٣٨٧/٢ح ٤١٤١ - صحيح ابن حبان، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّنْ طَيَّبَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَيْشَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، جـ٢/ ٤٤٦ح٦٧١ - صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ٤٠٨/٥ح ٢٣١٧ .

(٤) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، النيسابوري، المفسّر المشهور، كان أوحد زمانه في علم التفسير، وكان حافظا عالما بارعا في العربية موثّقا، مفسر، مقرئ، واعظ، = =اديب، وله اشتغال بالتأريخ، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة (وفيات الأعيان، جـ٨٠/١ – الأعلام للزركلى، جـ٢١٢/١ – معجم الأدباء، جـ١٦٦٣/٤ – معجم المؤلفين، جـ٦٠/٢)

(٥) تفسير الثعلبي، جـ٦/ ٤٨- رموز الكنوز، جـ٩٩/٤، ١٠٠ .

الْأَمْنَ عَلَى الطُّمَأْنِينَةِ إِذْ لَا تَحْصُلُ الطُّمَأْنِينَةُ بِدُونِهِ، كَمَا أَن الْخَوْف يسبّب الِانْزِعَاجِ وَالْقَلَقِ(١).

وكان أصحاب الحجر في أمن وارف، وطمأنينة سابغة، ونعمة وافرة وحضارة باسقة، فلما كذّبوا الرسل، واستكبروا عن قبول الحق، وعتوا عن أمر ربهم، حلّت عليهم نقمة الله، وسلبهم الله ما كانوا فيه من أمن وطمأنينة ورغد ورخاء، قال تعالى:(وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ *وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ* وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ *فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ *فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[سورة الحجر: ٨٠-٨٤].

وبنحو ذلك عاقب الله تعالى أهل سبأ، فقال سبحانه:(لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ *فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ*ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إِلاَّ الْكَفُورَ)[البقرة:١٥-١٧].

كما أن سلب نعمة الأمن والطمأنينة أحد الابتلاءات التي يبتلي الله بها عباده المؤمنين – بين آونة وأخرى – ليميز الخبيث من الطيب، وأهل الصبر والثبات من أهل الجزع والخور، كما قال عزَّ وجل:(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)[البقرة:١٥٥]، وانظر كيف قدم فقدان الأمن (الخوف)على ما تلاه من ابتلاءات ؟ وذلك لأن الحياة بلا أمن، وفي ظل أجواء من الخوف والقلق هي حقا أعظم الابتلاءات .

<u>تاسعا:</u> يوضح القرآن أن مواقف ومواطن الفرح والسعادة في حياة الإنسان لا تكتمل إلا إذا توافر الأمن وحلت السكينة، فرُغم أن شوق المؤمنين إلى بيت الله الحرام بعد هجرتهم كان قويا شديدا، وكان وعد الله لهم بدخولهم للمسجد الحرام كافيا

(١) التحرير والتنوير، جـ١٤/٣٠٥

لإدخال السعادة إلى قلوبهم، إلا أن الله قرن هذا الوعد بأمر لا تكتمل السعادة إلا به، هذا الأ مر هو الأمن ..الأمن الذي به تسكن أرواحهم، وتطمئن قلوبهم، ويذهب رَوعهم، فيطوفون ويؤدون مناسكهم بنفوس مطمئنة، وأفئدة ساكنة، كما قال تعالى:(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ)[الفتح :٢٨].

وحين قدم يعقوب عليه السلام وبنوه إلى مصر، والتقوا بيوسف الصديق عليه السلام، واجتمع شملهم بعد سنوات من الفرقة والعناء، وحلت السعادة في قلوبهم، نجد يوسف عليه السلام – حرصا منه على تمام فرحتهم، وكمال سعادتهم – يبشرهم بالمقام الآمن والعيش المطمئن في مصر، قال تعالى (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)[يوسف :٩٩]، وفي ذلك إشارة إلى أهمية الأمن، وأنه مما لا تكتمل الفرحة إلا به، ولا تتم السعادة إلا في رحابه، ولا يطيب المقام إلا في ظله .

<u>عاشرًا</u> :من المؤشرات والدلالات على أهمية الامن النفسي للمجتمع المسلم وأفراده تحذير المولى عز وجل للمنافقين وغيرهم الذين يبثون الإشاعات المخيفة والمقلقة في المجتمع المسلم، بقتال النبي (صلى الله عليه وسلم)والمسلمين لهم وإجلائهم عن المدينة، وذلك في قوله تعالى (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) [الأحزاب :٦٠]، والمعنى كما قال أهل التفسير:(لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ المنافقون) عمَّا هُم عليهِ من النِّفاقِ وأحكامِه الموجبةِ للإيذاءِ (والذين فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) عمَّا هُم عليهِ من النزلزل وما يستتبعُه ممَّا لا خيرَ فيهِ(والمرجفون فِى المدينة) من الفريقينِ، الذين يشيعون الأخبار المخيفة لأهل الإسلام والموهنة لقلوبهم (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) لنأمرنَّك بقتالِهم وإجلائِهم أو بما يضطرهم إلى الجلاءِ ولنحرضنَّك على ذلكَ[1]

(١) تفسير أبي السعود، جـ٧/ ١١٥- نظم الدرر، جـ١٥/ ٤١٣ – تفسير البيضاوي، جـ٤/ ٢٣٨ – تفسير ابن جزي، جـ٢/ ١٥٩ –تفسير السعدي، صـ ٦٧١

ليس هذا فحسب بل إن الله تبارك وتعالى شرع عظيم العقاب لأولئك الذين يشيعون الفزع والخوف في المجتمع، فالذي يخفيف الطريق، ويروع الآمنين يقام عليه حد الحرابة، كما قال سبحانه:(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا) [المائدة:٣٣]، فما شرع الله تعالى هذا الحكم في دينه إلا لحفظ الأمن وإلاء لقدره ومنزلته وأهميته .

حادي عشر: يدلك – حفظك الله – على أهمية الأمن النفسي وعلو شأنه في المنظور القرآني، أن الله جعله على رأس النعم الإلهية والعطاءات الربانية لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، أما عن أمنهم في الدنيا فقال سبحانه:(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ وُلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[الأنعام :٨٢].

واما عن أمنهم في الآخرة، فقال عز وجل :(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ)[النمل: ٨٩]، وقال سبحانه:(أَفَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ)[فصلت:٤٠]، وقال تعالى:(ادخلوها بسلام آمنين)[الحج :٤٦]، وقال عز وجل:(إلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ)[سَبَأٍ: ٣٧]، وقال عز وجل:(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ)[الدخان : ٥١] .

هذا التكرار في ذكر أمن المؤمن في الدنيا، ويوم القيامة، وبعد دخوله الجنة، من أقوى الأدلة على أهمية الأمن والطمأنينة للنفس البشرية، وأنه من أعلى ما تطلب، وأعزما ترغب .

و أخيرًا:فإن الأمن بكل أنواعه – ومن بينها الأمن النفسي – يعتبر مقصداً من مقاصد الشريعة حيث حصر علماء الشريعة المقاصد الضرورية في خمسة هي : حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ المال، وحفظ العقل، ولا يتأتى حفظُ هذه الضروريات وحمايتها إلا في ظل الأمن،ولو زال الأمنُ في أي مجتمع لأصبحَ حفظُ هذه الضروريات مستحيلاً .

وفي واقعنا المعاصر- حيث كَثْرَة ضغوط الحياة وسرعة أحداثها وهمومها - ازدادت أهمية الأمن النفسي، وازدادت الحاجة إليه، وغدا تحقيق الأمن النفسي للأفراد والمجتمع مطلبا لكل الدول والحكومات، والكثير من مراكز الأبحاث والدراسات، وتعقد له الندوات والمؤتمرات، وتصرف في سبيل تحقيقه أموال طائلة وجهود هائلة، ولم يزدهم كل ذلك إلا خورا في النفوس وقلقا واضطرابا في القلوب، ذلك أنهم لم يستمدوا أسباب تحصيله من المنهج الرباني والدستور الإلهي، القرآن الكريم [1] .

(١) الأمن النفسي، محمد موسى الشريف، صـ١٠ .

المبحث الثاني

أسباب تحقيق الأمن النفسي

في ضوء آيات القرآن الكريم

أنزل الله تعالى كتابه الكريم على نبيه(صلى الله عليه وسلم) من أجل هداية البشر وتحقيق سعادتهم في الدارين، قال تعالى:(طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى*إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى)[١-٣]، قال السعدي :أي ليس المقصود بالوحي، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين، وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان(١)

فهذا الكتاب المبارك بمنهجه القويم، وآدابه السامية، وأحكامه العادلة، وتشريعاته الحكيمة يضمن السعادة والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، لكل من تمسك به، واهتدى بهديه، وسار على نهجه.

ولما كانت السعادة المنشودة لا تتحقق ولا تكتمل إلا إذا كان الإنسان آمِنَ النفسِ، مطمئنَ القلبِ، منشرحَ الصدرِ، فقد أودع الله سبحانه كتابه الكريم - من الأسباب - كل ما يضمن للإنسان الأمن والطمأنينة والإنشراح والسكينة.

وتنوعت هذه الأسباب عبر آيات القرآن الكريم والسنة النبيوة المطهرة، فمنها ما يتعلق بجانب العقيدة، ومنها ما يتعلق بجانب العبادات، ومنها ما يتعلق بالجانب التشريعي، وأخيرا ما يتعلق بجانب الآداب والأخلاق .. وسوف نعرض لكل هذه الأسباب تفصيلًا في المطالب الأتية :-

(١) تفسير السعدي، صـ٥٠١ .

المطلب الأول

الأسباب المتعلقة بالعقيدة

أولا :الإيمان بالله تعالى : يأتي الإيمان بالله تعالى في مقدمة أسباب تحصيل الطمأنينة والأمن النفسي، ذلك أن الإيمان بالله تعالى يزكي النفس ويطهرها من أدران الشرك ومتعلقاته، تلك الأدران التي تمرض الروح وتوهن النفس وتجعلها عرضة لكل أنواع الاضطرابات النفسية(١)، من هنا كان الإيمان بالله تعالى هو السبيل الرئيس للخروج من صحراء القلق والتوتر والاضطراب إلى وديان الهدوء والسكينة والاستقرار، ومن رمضاء الخوف والجزع والحزن والغم إلى واحة الأمن واالطمانينة والسعادة وراحة الفكر والبال .

إن الإيمان انشراح ويسر وطمأنينة، به ينتقل الإنسان من ظلمة الروح وموت القلب وتيه الفكر وحيرة الخاطر إلى استنارة الروح، حياة القلب، ورشد الفكر، وطمأنينة الخاطر، وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله تعالى:(أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ، وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ، كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها)[الأنعام: ١٢٢].

فما أن يسري نور الإيمان في القلوب حتى يجد الإنسان الوضاءة في خواطره ومشاعره وملامحه! ويجد الراحة في باله وحاله ومآله! ويجد الطمأنينة والسكينة في نفسه وقلبه وروحه(٢)

ولقد وعد الله تعالى في كتابه الكريم أهل الإيمان بالطمأنينة والأمن النفسي، وقرن بين الإيمان وحصول الطمانينة والسكينة في أكثر من موضع في كتابه الكريم، من ذلك :

١- قوله عز وجل:(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[الأنعام : ٨٢]، جاءت تلك الآية المباركة في معرض حوار إبراهيم

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، جـ٣/ ٥١ .
(٢) انظر: في ظلال القرآن، جـ٣/ ١٢٠١ (بتصرف)

عليه السلام مع قومه، وذلك حين حآجوه وحذروه من غضب آلهتهم، وخوفوه أن تمسَّه بمكروه لذكره إياها بسوء، فقال لهم : (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[الأنعام :٨١]، أي:وكيف أخاف أصنامكم التي لا قدرة لها على النفع والضر، وأنتم لا تخافون أنكم أشركتم بمن خلقكم ورزقكم، وهو قادر على ضركم ونفعكم، أشركتم به ما ليس معكم في عبادته حجة ولا برهان، والِاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ التَّعَجُّبِيِّ مِنْ تَخْوِيفِهِمْ إِيَّاهُ مَا لَا يُخِيفُ، فِي حَالِ كَوْنِهِمْ لَا يَخَافُونَ أَخْوَفَ مَا يُخَافُ، ثم قال (فَأَيُّ الفريقين أَحَقُّ بالأمن) والمعنى: أي الحزبين أو الطائفتين أحق وأولى بالأمن والطمأنينة، الموحد الَّذِي يعبد مَنْ بِيَدِهِ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ؟ أم المشرك الذي يعبد ما لا يضر ولا ينفع ؟ (إن كنتم تعلمون} أي: إن كنتم تعلمون من أحقُّ بذلك فأخبروني.. ثم يأتي الجواب الفصل :(الذين ءامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إيمانهم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) أي :الذين آمنوا بالله تعالى ولم يخلطوا إيمانهم بشرك هم – دون غيرهم – الأحق والأولى بالأمن والطمأنينة والهداية في الدنيا والآخرة [١] .

فتوحيد الباري جل شأنه هو الباب الأكبر والسبب الأعظم لحصول الأمن والسكينة وإنشراح الصدر، وفي ذلك يقول ابن القيم – رحمه الله – : فَأَعْظَمُ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: التَّوْحِيدُ، وَعَلَى حَسَبِ كَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ انْشِرَاحُ صَدْرِ صَاحِبِه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) [الزمر:٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى:(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)[الأنعام:١٢٥]،

(١) جامع البيان، جـ١١/ ٤٩٠ – تفسير ابن كثير، جـ٣/ ٢٩٤ - تفسير المنار، جـ٤٨١/٧ - السراج المنير، جـ١/ ٤٣٣ - تفسير الرازي، جـ٤٩/١٣ - تفسير الثعلبي، جـ٤/ ١٦٦ – الهداية لمكي، جـ٣/ ٢٠٨٨ –الوسيط للواحدي، جـ٢/ ٢٩٢ – تفسير البغوي، جـ٢/ ١٤٠ – زاد المسير، جـ٤٩/٢ – نظم الدرر، جـ٧/ ١٦٧ – تفسير أبي السعود، جـ٣/ ١٥٦

فَالْهُدَى وَالتَّوْحِيدُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ شَرْحِ الصّدْرِ، وَالشِّرْكُ وَالضَّلَالُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضِيقِ الصَّدْرِ وَانْحِرَاجِهِ(١).

٢- قوله تعالى:(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)[النور :٥٥] أي:وَعَدَ اللَّه الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ أَنْ يورثهم الأرض فَيَجْعَلَهُمُ الْخُلَفَاءَ والملوك والساسة المتصرفين في تدبيرها، كَمَا اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا مَنْ قَبْلَهُمْ فِي زَمَنِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَغَيْرَهُمَا، وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ لَهُمْ دِينَهُمْ وَتَمْكِينُهُ ذَلِكَ هُوَ أَنْ يُؤَيِّدَهُمْ بِالنُّصْرَةِ وَالْإِعْزَازِ (وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً) وليغيرنّ حالهم من الخوف إلى الأمن، أي يَجْعَلُ لَهُمْ مَكَانَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْخَوْفِ مِنَ الْأَعْدَاءِ أَمْنًا وطمأنينة وَبَسْطًا فِي الْأَرْضِ.، وَيُذْهِبُ عَنْهُمْ كل أَسْبَابَ الْخَوْفِ (٢)

٣- قوله تعالى:(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ)[محمد:٢]، ففي هذه الآية الكريمة يؤكد الله تعالى هذه الحقيقة العظيمة، وهي أن صلاح البال والأمن والسكينة واطمئنان الفكر في الدنيا والآخرة، إنما هي للذين آمنوا بالله تعالى والتزموا عمل الصاحات، والمعنى كما يقول المفسرون:(وَالَّذِينَ آمَنُوا) بما أنزل الله على رسله عموما، وعلى محمد(صلى الله عليه وسلم) خصوصا، (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله، وحقوق العباد الواجبة والمستحبة، (كَفَّرَ) الله (عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) صغارها وكبارها، وإذا كفرت سيئاتهم، نجوا من عذاب الدنيا والآخرة (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) أي: وأصلح فكرهم بالأمن والتوفيق والسداد وقوة الفهم والرشاد، ومن عليهم بالطمأنينة والراحة والثقة والرضى والسلام (٣)

---

(١) زاد المعاد، جـ٢/٢٣ .

(٢) تفسير الرازي، جـ٢٤/٤١٢ – فتح القدير، جـ٤/ ٥٦ –تفسير القاسمي، جـ٧/ ٤٠٣ -تفسير المراغي، جـ٨/ ١٢٦ – تفسير االسعدي، صـ ٥٧٣ - جامع البيان، جـ١٩/٢٠٨ -تفسير الوسيط للواحدي، جـ٢/٣٢٦ – تفسير البغوي، جـ٢/٤٢٥ – تفسير النسفي، جـ٢/٥١٦

(٣) تفسير السعدي، صـ ٧٨٤ - نظم الدرر، جـ١٨/- الظلال، جـ٦/ ٣٢٨١ .

وإصلاح البال نعمة كبرى تلي نعمة الإيمان في القدر والقيمة والأثر، والتعبير يلقي ظلال الطمأنينة والراحة والثقة والرضى والسلام، ومتى صلح البال، استقام الشعور والتفكير، واطمأن القلب والضمير، وارتاحت المشاعر والأعصاب، ورضيت النفس واستمتعت بالأمن والسلام [١]، وقال عبد الكريم الخطيب[٢]:قوله تعالى(كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ) أي أن الذين آمنوا هذا الإيمان، وعملوا الصالحات، كفّر الله عنهم ما كان منهم من سيئات ... وَأَصْلَحَ بالَهُمْ» – إشارة إلى ما يثمره الإيمان بدين الإسلام إذ يجمع قلوب المؤمنين به، ويقيم مشاعرهم على أمر واحد.. وبهذا الإيمان يستريح بال المؤمن، ويطمئن قلبه [٣]، وقال الطاهر ابن عاشور: وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ" [محمد:٢]، إصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه، فالتوحيد أصل صلاح بال المؤمن، ومنه تنبعث القوى المقاومة للأخطاء والأوهام التي تلبس بها أهل الشرك، وحكاها عنهم القرآن في مواضع كثيرة، والمعنى: أقام أنظارهم وعقولهم فلا يفكرون إلا صالحا ولا يتدبرون إلا ناجحا"[٤].

٤–قوله تعالى :(مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: ٩٧]، فهذا وعد منه تعالى لمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح، من ذكر أو أنثى، بأن يحييهم حياة طيبة في الدنيا، ويجزيهم أجرهم (بأحسن ما كانوا يعملون) في البرزخ والآخرة [٥]، وقد مر بك آنفا تفسير الحياة الطيبة بأنها : طمأنينة قلوبهم، وسكون نفوسهم،

(١) الظلال، جـ٦/٣٢٨١ .
(٢) عبد الكريم محمود يونس الخطيب، مفكر إسلامي معاصر، ومفسر كبير، وباحث معروف، ولد سنة ١٩١٠م بمركز طهطا، بمحافظة سوهاج، تخرج من مدرسة دار العلوم ١٩٣٧م، وتدرج في الوظائف حتى أصبح مديرا لمكتب وزير ألوقاف، احيل للمعاش بقرار جمهوري سنة ١٩٥٩م، فتفرغ للبحث والتأليف، حتى وافته المنية سنة ١٩٨٥م ..انظر [إتمام الأعلام، د نزار أباظه، محمد رياض المالح، صـ١٦٤]
(٣) التفسير القرآني للقرآن، جـ٣٠٦/١٣، ٣٠٧ .
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ٢٦/ ٧٦
(٥) الهداية، جـ٦/ ٤٠٨٣ - تفسير السعدي، صـ ٤٤٨ . تفسير القاسمي، جـ٤٠٧/٦ – الوابل الصيب، ابن القيم صـ ٤٧ .

وزوال همومهم عنهم، وثلج الصدور بلذة اليقين [١]، قال ابن القيم : فَضَمِنَ الله لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْجَزَاءَ فِي الدُّنْيَا بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَالْحُسْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَهُمْ أَطْيَبُ الْحَيَاتَيْنِ، فَهُمْ أَحْيَاءٌ فِي الدَّارَيْنِ[٢] .

وقال أيضا: وَقَدْ فُسِّرَتِ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ بِالْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا، وَالرِّزْقِ الْحَسَنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالصَّوَابُ: أَنَّهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ وَنَعِيمُهُ، وَبَهْجَتُهُ وَسُرُورُهُ بِالْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَحَبَّتُهُ، وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا حَيَاةَ أَطْيَبُ مِنْ حَيَاةِ صَاحِبِهَا، وَلَا نَعِيمَ فَوْقَ نَعِيمِهِ إِلَّا نَعِيمَ الْجَنَّةِ، كَمَا كَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يَقُولُ: إِنَّهُ لَتَمُرُّ بِي أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيهَا إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ[٣]

يقول الزمخشري وغيره : فالمؤمن مع العمل الصالح – موسراً كان أو معسراً – يعيش عيشاً طيباً، فإنه إن كان موسراً فظاهر وإن كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة[٤]، وقال الدكتور طنطاوي: من عمل عملا صالحا، بأن يكون خالصا لوجه الله– تعالى– وموافقا لما جاء به النبي(صلى الله عليه وسلم) سواء أكان هذا العامل المؤمن ذكرا أم أنثى، فلنحيينه حياة طيبة، يظفر معها بصلاح البال، وسعادة الحال[٥]

٥–قوله تعالى:(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ)[الزمر:١٠]: أي للذين أحسنوا بعبادة ربهم حسنة معجّلة في الدنيا، وهي الصحة والعافية، والحياة الطيبة، والرزق واسع، والنفس مطمئنة، والقلب

(١) انظر : تفسير القاسمي، جـ١٥٩/٧ - تفسير ابن عطية، جـ٤١٩/٣ – تفسير السعدي، صـ ٤٤٨ .
(٢) الجواب الكافي، صـ ١٢٠ .
(٣) مدارج السالكين، جـ٢٤٣/٣ .
(٤) الكشاف، جـ٢/ ٦٣٣ – تفسير البيضاوي، جـ٢٣٩/٣
(٥) التفسير الوسيط، د . محمد سيد طنطاوي، جـ٨/ ٢٣٠ .

منشرح[١]، قال ابن عاشور: وَحَسَنَةُ الدُّنْيَا هِيَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَمَا فَتَحَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَعَ نِعْمَةِ الْإِيمَانِ[٢] .

٦-قوله تعالى:(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) [الفتح :٤]، قال السعدي:يخبر تعالى عن منته على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التي تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف النفوس، فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبته ويربط على قلبه، وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه[٣]، وقال مكي[٤]:أيجعل السكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين إلى الإيمان بالله ورسوله(صلى الله عليه وسلم) ليزدادوا إيماناً وتصديقاً مع تصديقهم[٥]، وقال غيره:أي جعل الطمأنينة والوقار لله ورسوله في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم بما يرد عليهم[٦]

فالسكينة إذن ثمرة من ثمار دوحة الإيمان وشجرة التوحيد الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها [٧]

وإذا كان الحق تبارك وتعالى في الآيات السابقة – وغيرها- قد أكد على أن الإيمان بالله تعالى هو أعظم وأول أسباب الأمن والطمأنينة، ووعد أهله بالأمن

---

(١) البحر المديد، جـ٥/٥٩ – تفسير السعدي، صـ ٧٢٠ – السراج المنير، جـ٢/ ٢٢٨ .
(٢) التحرير والتنوير، جـ١٤/ ١٤٢ .
(٣) تفسير السعدي، صـ٧٩١
(٤) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد: مقرئ، عالم بالتفسير والعربية. من أهل القيروان. سكن قرطبة، وَسمع بِمَكَّة ومصر، وَهُوَ من أهل التبحر فِي عُلُوم القراءات، ، ولد سنة ٣٥٥، وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها، وتوفي فيها سنة ٤٣٧هـ .. انظر :[الأعلام للزركلى، جـ٧/٢٨٦- بغية الوعاة، جـ٢/٢٩٨- سيرأعلام النبلاء، جـ١٣/٢٣٢] .
(٥) الهداية، جـ١١/ ٦٩٣٩
(٦) الوسيط للواحدي، جـ٤/١٣٥ – تفسير الرازي، جـ٢٨/٦٧
(٧) الإيمان والحياة، د .القرضاوي، صـ٩٤ .

والسكينة، فقد بين سبحانه في أكثر من موضع في كتابه الكريم أن الشرك هو أعظم أسباب زوال الأمن وحصول الخوف والقلق والاضطراب، كما في قوله تعالى :(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) [آل عمران:١٥١]، وقوله عز وجل: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) [النحل : ١١٢]، وقوله سبحانه : (لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إِلاَّ الْكَفُورَ) [النحل : ١١٥ –١١٧]، وكذلك قوله تعالى:(وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)

ذلك أن الموحد الذي أيقن بأن له ربا واحدا، هو الذي خلق وقدر، وبيده وحده النفع والضر، وبيده وحده العطاء والمنع، يعيش في أمن وسكينة، أما المشرك فإنه تائه حائر، متشتت بين أربابه، معذب النفس والقلب والروح، وصدق الله تعالى إذ يقول:(فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)[الشعراء:٢١٣] أي لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ تعالى إلهاً آخَرَ:(فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) في الدارين، عذاب تعديد الوجهة، واضطراب الفكر، وضعف الشبهة، وتوهين العقل في الدنيا. ولعذاب الآخرة أشد وأبقى(١).

وشبه القرآن الكريم حالة الصراع والقلق والحيرة والضياع التي تصيب الإنسان الذي يفقد إيمانه بالله بالحالة التي يشعر بها الإنسان الذي يخر من االسماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق فقال تعالى (وَمَنْ

(١) تفسير القاسمي، جـ٧/ ٤٧٧ .

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ)[الحج :٣١] (١)

وجاء التعليل القرآني لاختلاف حال المؤمن وحال الكافر من حيث الطمأنينة والقلق في قول الحق سبحانه:(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [الزمر: ٢٩]، ففي هذه الآية يضرب الله المثل للعبد الموحد والعبد المشرك برجلين أحدهما يملكه (شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) أي متنازعون غير متفقين على أمر من الأمور، يخاصم بعضهم بعضا فيه، هذا له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره، وهو حائر بينهم لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه! والآخر (سَلَمًا لِرَجُلٍ) يملكه سيد واحد، وهو يعلم ما يطلبه منه، ويكلفه به، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح، (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) إنهما لا يستويان، فالذي يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة والمعرفة واليقين، وتجمع الطاقة ووحدة الاتجاه، ووضوح الطريق، والذي يخضع لسادة متشاكسين معذب مقلقل لا يستقر على حال ولا يُرضي واحدًا منهم، فضلاً على أن يُرضي الجميع، كذلك المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا، فتراه لا يستقر له قرار، ولا يطمئن قلبه في موضع، والموحد مخلص لربه، قد خلصه اللّه من الشركة لغيره، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة(٢) .

فالنفس التي لا إيمان فيها هي نفس مضطربة، قلقة، تائهة خائفة، لأنها تتلقى عن كثيرين – غير الله تعالى– مناهجها وعقائدها فتضطرب مرجعيتها، ويختلف سبيلها، وتتناقض مسيرتها، وأما النفس المؤمنة الموحدة، فقد اتحد مصدر ورودها، وصدورها في كل أمر، فهي تتلقى من الله وعن الله، وهي

(١) القرآن وعلم النفس، نجاتي، صـ٢٧٨ .
(٢) تفسير الظلال، جـ٥/ ٣٠٤٩ - تفسير السعدي، صـ ٧٢٣ .

تسير إلى الله [١]، فَلَا صَلَاحَ لِلْقُلُوبِ حَتَّى يَكُونَ إِلَهُهَا الَّذِي تَأْلَهُهُ وَتَعْرِفُهُ وَتُحِبُّهُ وَتَخْشَاهُ هُوَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ[٢]

وسبب آخر يجعل الإشراك بالله سبباً في الإضطراب والقلق وفقدان الأمن والطمأنينة وهو:أن الإشراك بالله يبعد الإنسان عن منهج الله تعالى، المحقق للأمن على مستوى الفرد والأمة، ومتى ابتعد الإنسان عن منهج الله، تردى في مسالك الظلم والفساد والضلال والهوى، فلا يطمئن له قلب، ولا تأمن له نفس، ولا يصلح له بال، ولا تطيب له حياة.

وأخيرًا: فقد أكد كثير من العلماء والأطباء النفسيين أهمية الإيمان ودوره في تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي وصرف القلق والاضطراب عن قلب الإنسان وفكره، يقول محمد عثمان نجاتي[٣] في كتابه (القرآن وعلم النفس): وقد بدأت تظهر حديثًا اتجاهات بيت علماء النفس تنادي بأهمية الدين في الصحة النفسية وفي علاج الأمراض النفسية، وترى أن الإيمان بالله قوة خارقة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة، وتجنبه القلق الذي يتعرض له كثير من الناس الذين يعيشون في هذا العصر الحديث، يقول وليم جيمس[٤] الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي: إن أعظم علاج للقلق النفسي هو الإيمان[٥]، وقال كذلك:إن أمواج المحيط المتلقبة لا تعكر قط هدوء القاع العميق، ولا تقلق آمنه، وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله خليق ألا

(١) طريق الهداية، محمد يسري، صـ١٨٥ .
(٢) جامع العلوم والحكم، جـ٢١١/١ .
(٣) أستاذ علم النفس بكلية الآداب، جامعة القاهرة ولد بالخرطوم سنة ١٩١٤م، وتوفي بالقاهرة عام ٢٠٠٠م .
(٤) فيلسوف أمريكي ومن رواد علم النفس الحديث، ولد بمدينة نيويورك سنة ١٨٤٢م، وتوفي سنة١٩١٠م.. نقلا عن:[http://ar.wikipedia.org موسوعة ويكيبيديا من على شبكة الانترنت] .
(٥) القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، صـ٢٧٠

تعكر طمأنينته التقلبات السطحية المؤقتة[١]، يقول آخر:استشارني خلال الأعوام الثلاثين الماضية أشخاص من مختلف شعوب العالم المتحضر، وعالجت مئات المرضى، فلم أر مشكلة من تلك المشكلات لا تعود في أصلها إلى افتقارهم للإيمان[٢]

ثانيا: الإيمان باليوم الآخر: يعد الإيمان باليوم الآخر سببا قويا من أسباب تحقيق الأمن النفسي، فهو يُفيض السلام والسكينة على روح المؤمن وشعوره، ويخفف عنه ما يواجهه من مشاق الدنيا وهمومها، كما أن فيه تسليةٌ للمظلومين والمضطهدين والمستضعفين بأن هناك يومًا للحساب والجزاء، فلا يقنط ولا يتسخط، ذلك أن الإيمان باليوم الآخر يعنى الإيمان بأن الحساب الختامي ليس في هذه الدنيا، بل هناك في الحياة الأخرى حيث العدالة المطلقة مضمونة بين يدي الله، فلا ندم إذن في قلب المؤمن، ولا قلق ولا قنوط بسبب ما يقع للإنسان في الحياة الدنيا، فالعدل والجزاء واقع لاشك فيه، كما قال تعالى:(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)[الأنبياء:٤٧] فمن يشغل نفسه باليوم الآخر ويجعل همه ذلك اليوم تصغر في عينيه الدنيا بكل ما فيها من حلو ومر، وفرح وحزن، وتعب وراحة، وهم وانشراح، وغنى وفقر ..ألخ .

إن الإيمان باليوم الآخر يخرج العبد من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة أمَّا سعة الآخرةِ فهذا مما لا يحتاج إلى بيان، وأما سعة الدنيا فهي تلك الطمأنينة النفسية، وذلك الإنشراح القلبي، الذي يجعله ينظر دائما إلى الدنيا ويقبل عليها ببشر وتفاؤل في الشدة والرخاء على حد سواء .

ففي الشدة يصبر ويرضى ابتغاء الآجر والثواب، الذي وعد الله عباده الصابرين في اليوم الآخر، وفي الرخاءً يشكر ولا يبطر، ويتواضع ولا يتكبر،

(١) دع القلق وأبدأ الحياة، صـ٢٣٢ .
(٢) المرجع السابق، صـ٢٢٦.

وينظر إلى ما في يده على أنها تفضلٌ من الله عليه، فينظرُ إليها نظرةً واقعيةً فينفقها في طاعةِ الله تبارك وتعالى، لينالَ أجرها عند الله سبحانه وتعالى، ولذا فإنَّ سعةَ الصدرِ إنَّما تكونُ للمؤمن باليوم الآخر.

وقد أخبر الله تعالى في كتابه عن أثر الإيمان باليوم الآخر في صرف الهم والحزن عن الإنسان فقال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالنَّصارى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)[البقرة : ٦٢]، ففى هذه الآية نفى الله سبحانه الخوف والحزن عمن آمن بالله واليوم الآخر، وقد سبق القول إن نفيهما يعنى ثبوت ضدهما، وهو الأمن والسعادة، فمن آمن بالله تعالى وباليوم الآخر وعمل صالحا حصل له الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة [١] قال الشعراوي[٢] – رحمه الله – :من اتصف بالوصف المذكور رزقه الله الأمن في الدنيا وذلك بصرف الخوف عنه، ورزقه الله الفرح والسرور في الآخرة بصرف الحزن عنه[٣]

وقال ابن عاشور:قوله (وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) مُقَابِلَ (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ) [الْبَقَرَة: ٦١] لِأَنَّ الذِّلَّةَ ضِدُّ الْعِزَّةِ فَالذَّلِيلُ خَائِفٌ لِأَنَّهُ يَخْشَى الْعُدْوَانَ وَالْقَتْلَ وَالْغَزْوَ، وَأَمَّا الْعَزِيزُ فَهُوَ شُجَاعٌ لِأَنَّهُ لَا يَخْشَى ضُرًّا وَيَعْلَمُ أَنَّ مَا قَدَّرَهُ لَهُ فَهُوَ كَائِنٌ قَالَ تَعَالَى(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)[الْمُنَافِقُونَ: ٨] وَقَوْلُهُ: (وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) مُقَابِلَ قَوْلِهِ: (وَالْمَسْكَنَةُ) لِأَنَّ الْمَسْكَنَةَ تَقْضِي عَلَى صَاحِبِهَا بِالْحُزْنِ وَتَمَنِّي حُسْنِ الْعَيْشِ قَالَ تَعَالَى:(مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ

---

(١) تفسير السعدي، صـ، ٥٠، ٥٤.(بتصرف)

(٢) محمد متولي الشعراوي، الملقب بإمام الدعاة، وُلد بمحافظ الدقهلية ١٩١١م، تخرج من كلية اللغة العربية عام ١٩٤٠م، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م، عمل بالتدريس في جامعات سعودية وجزائرية، تولى وزارة الأوقاف المصرية لمدة سنتين ثم استقال منه وتفرغ للدعوة، انخرط الشيخ في محاولة لتفسير القرآن، وأوقف حياته على هذه المهمة، إلى أن أتمه بعون الله، انتقل الشيخ الشعراوي إلى جوار ربه في يونيو ١٩٩٨م..نقلاً عن [الموسوعة الحرة من على شبكة الانترنت http://ar.wikipedia.org/wiki/]

(٣) تفسير الشعراوي، جـ١/ ٣٧٣

مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً)[النَّحْل: ٩٧] فَالْخَوْفُ الْمَنْفِيُّ هُوَ الْخَوْفُ النَّاشِئُ عَنِ الذِّلَّةِ وَالْحُزْنُ الْمَنْفِيُّ هُوَ النَّاشِئُ عَن المسكنة.(١)

وجاءت السنة النبوية لتؤكد دور الإيمان باليوم الآخر والانشغال به في تحقيق أمن المؤمن وطمأنينته، فقد صح عن النبي (ﷺ) قوله:مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ (٢)**، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): مَنْ جَعَلَ الْهَمَّ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْهُ الْهُمُومُ لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا هَلَكَ»**(٣)

كذلك فإن المجتمع القائم على الإيمان بالله واليوم الآخر ينعم بالأمن والطمأنينة لالتزامه بأوامر الله واجتنابه نواهيه، وأما المجتمع الذي لا يؤمن باليوم الآخر أو هو عن ذلك اليوم غافل فتكثر فيه المعاصي والتعدي على حقوق الله والعباد، ومن ثم يعيش أفراده بمنأى عن الأمن والطمأنينة والاستقرار والسكينة.

ثالثا:الإيمان بالقضاء والقدر والرضا به:الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان ولا يكمل إيمان العبد إلا به لقوله (صلى الله عليه وسلم):لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه (٤)

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، جـ١/ ٥٤١

(٢) جامع الترمذي، جـ٤/٦٤٢ح ٢٤٦٥ – صححه الألباني في السلسة الصحيحة، جـ٢/٦٣٣ح ٩٤٩ .

(٣) الآداب للبيهقي، بَابُ مَنْ جَعَلَ الْهَمَّ هَمًّا وَاحِدًا، صـ٣٢٥ح ٨٠٤ – شعب الإيمان، باب الزهد وقصر الأمل، جـ١٢/٥٤١ح ٩٨٥٧ .

(٤) سنن الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِيمَانِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، جـ٤/٤٥١ح ٢١٤٤ - مسند أحمد، جـ١١/٣٠٥ح ٦٧٠٣ – صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ٥/٥٦٦ح ٢٤٣٩ .

وللإيمان بالقضاء والقدر أثر كبير في تحقيق وتحصيل الأمن النفسي، فهو يورث القلب ثقة وطمأنينة، ويملأ النفس راحة وأمنا، ويفيض على الروح سكينة وانشراحًا.

فمتى أيقن العبد أن كل ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، إنما هو بقدر الله تعالى ومشيئته اطمأن قلبه وسكنت روحه، وذهب همه، وما عرفت نفسه إلى القلق والاضطراب سبيلا، لعلمه أن خوفه وقلقه واضطرابه لن يغير من قدر الله شيئا، وقد مر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بابن مسعود فرآه فَقَالَ: لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ، مَا يُقَدَّرْ يَكُنْ، وَمَا تُرْزَقْ يَأْتِكَ(١)

فمهما تقلبت الأحداث واضطربت الأحوال فلن تبت فيها إلا المشيئة العليا، كما أخبر سبحانه بذلك فقال:(واللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[يوسف:٢١]، وقوله جل وعلا :(إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ)[هود :٧].

يقول ابن عثيمين(٢)رحمه الله:وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها: ....الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة (٣)

ولقد حرصت آيات القرآن الكريم على ترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في قلب المؤمن، من ذلك قوله تعالى:(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي، التوكل بالله والتسليم بأمره، جـ٤٠٨/٢ح١١٤٤ – الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم، جـ٢٨٠/٥ح٢٨٠٦-ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، جـ٣٣٣/١٠ح٤٧٩٢ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن العثيمين الوهيبي التميمي.، ولد عام ١٣٤٧هـ، في مدينة عنيزة - إحدى مدن القصيم- بالمملكة العربية السعودية، حفظ القرآن صغيرا، ثم درس التوحيد والفقه والنحو والتفسير والحديث على يد الشيخ السعدي والشيخ عبد الرازق عفيفي وغيرهما، وتنقل في طلب العلم حتى أصبح قامة في الفقه والتوحيد التفسير واللغة، توفي سنة١٤٢١هـ، نقلا عن: [موقع الشيخ محمد صالح ابن عثيمين على شبكة الانترنت] .

(٣) شرح ثلاثة الأصول، ابن عثيمين، صـ ١١٦ .

الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِير *لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور) [الحديد: ٢٢-٢٣] ثم بين القرآن ما يترتب على رسوخ تلك العقيدة في قلب المؤمن ورضاه بقدر الله ومشيئته من أمن نفسي واطمئنان قلبي فقال سبحانه:(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[التغابن:١١]، أي من يؤمن بأن كل ما يصيبه إنما هو بإذن الله تعالى، وَيَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ حَادِثَةٍ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ومشيئته، يمن الله عليه بالرضا والتسليم، والطمأنينة والهدوء، والراحة والسكينة(١) .

وثمة قراءة أخرى تزيد هذا المعنى وضوحًا وتؤكد ما نود بيانه – وهو أن الرضا بالقضاء والقدر يورث الأمن والهدوء والطمأنينة والسكينة – فقد قُرِئت (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدَ قلبُه) وقرئت كذلك (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدَأْ قَلْبُهُ) وهو في القراءتين من الهدوء أي يسكن ويطمئن، غير أنه في الأولى على طرح الهمزة، فيكون في الرفع يَهْدَا قلبه – غير مهموز – وفي الجزم: مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدَ قَلْبُهُ، بطرح الألف للجزم، أما في الثانية فواضح بَيِّن، والتأويل في القراءتين : إذا سَلَّمَ لأمر اللَّه سَكَنَ قَلْبُه واطمئن(٢)

(١) جامع البيان، جـ٢٣/ ٤٢١ – الكشاف، جـ٤/ ٥٤٩ – البحر المديد، جـ٧/ ٦١ - الظلال، جـ٦/ ٣٥٨٨ - تفسير المراغي، جـ٢٨/ ١٢٧ - تفسير ابن عطية، جـ٦/ ١١٦ – تفسير ابن جزي، جـ٢/ ٣٨١ – تفسير البحر المحيط، جـ١٠/ ١٩١ – تفسير الثعالبي، جـ٥/٤٤٠ – فتح القدير، جـ٥/ ٢٨٣

(٢) معاني القرآن للزجاج، جـ٥/ ١٨١ - تفسير الثعلبي، جـ٩/ ٣٢٩ – تفسير القرطبي، جـ١٨/ ١٤٠ – تفسير أبي السعود، جـ٨/ ٢٥٨ – زاد المسير، جـ٤/ ٢٩٣ – تفسير الرازي، جـ٣٠/ ٥٥٥ – تفسير البيضاوي، جـ٥/ ٢١٨ – تفسير اللباب، جـ١٩/ ١٣٤

ونبه النبي(صلى الله عليه وسلم) كذلك إلى ذلك الأثر الطيب المترتب على الإيمان والرضا بالقضاء والقدر فقال(صلى الله عليه وسلم): مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ(١)

وفي ذكر فوائد الإيمان بالقدر يقول الشوكاني(٢): ومن فوائد رسوخ الإيمان بهذه الخصلة، أنه يعلم أن ما وصل إليه من الخير على أي صفة كان، وبيد من اتفق، فهو منه عزَّ وجل، فيحصل له بذلك من الحبور والسرور ما لا يقدر قدره، ولِمَا له سبحانه من العصمة التي تضيق أذهان العباد عن تصورها، وتقصر عقولهم عن إدراك منازلها، وما أحسن ما قاله الحربي(٣) رحمه الله: من لم يُؤمن بالقدر لم يتهنَّ بعيشه(٤)، ويقول ابن القيم: إَنَّ مَنْ مَلَأَ قَلْبَهُ مِنَ الرِّضَا بِالْقَدَرِ: مَلَأَ اللَّهُ صَدْرَهُ غِنًى وَأَمْنًا وَقَنَاعَةً. وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ... (٥)، ويقول ابن عثيمين: من ثمرات الإيمان بالقدر:الاعتماد على الله في كل شيء، وراحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس، واطمأن القلب، ورضي بقضاء الرب، فليس أحد أطيب عيشًا، وأريح

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في الرضا بالقضاء، جـ٤/٤٥٥ح ٢١٥١ – مسند أحمد، جـ٣/٥٤ ح ١٤٤٤ – ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، جـ٤/٣٧٧ح ١٩٠٦ .

(٢) محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن على بن عبد الله الشوكانى، ثم الصنعانى، مفسر، محدث، فقيه، أصولى، مؤرخ، أديب، ولد ببلدة (هجرة شوكان) باليمن سنة ١١٧٣ هـ، ونشأ بصنعاء، تعمق فى الدراسات الدينية واللغوية حتى تولى قضاء صنعاء، ومات وهو فى هذا المنصب سنة ١٢٥٠ هـ .. انظر :[معجم تفاسير القرآن الكريم، ص٣٩٠ ـ معجم المؤلفين، ص٥٣ ـ الأعلام للزركلى، جـ٦/٢٩٨].

(٣)أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، إِمَامٌ مُصَنِّفٌ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ بَارِعٌ فِي كُلِّ عِلْمٍ، صَدُوقٌ، كَانَ يُقَاسُ بأحمد بن حنبل في زهده وورعه وعلمه، ولد سنة ١٩٨هـ، وتوفي ببغداد سنة ٢٨٥هـ [صفة الصفوة، جـ١/٥١٢ – البداية والنهاية، جـ١١/٩٠]

(٤) انظر: قطر الولي على حديث الولي ص٤١٤.

(٥) انظر: مدارج السالكين ٢/٢٠٢.

نفسًا، وأقوى طمأنينةً؛ ممن آمن بالقدر[١]، وقال عبد الواحد بن زيد[٢]:الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين[٣] .

ويقرر الدكتور الصلابي[٤]:أن من ثمرات الإيمان بالقدر سكون القلب وطمأنينة النفس، وراحة البال، وهي مطلبٌ مُلِحٌ، وهدف منشود فكل من في الأرض يبتغيها، ويبحث عنها، ويسعى لها سعيها، وإنك لتجد عند خواصِّ المسلمين من العلماء العاملين، والعباد القانتين المتبعين من سكون القلب وطمأنينة النفس ما لا يخطر ببال، ولا يدور حول ما يشبهه خيال؛ فلهم في ذلك الشأن القِدْحُ المعلى، والنصيب الأوفى، فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز – رحمه الله–: يقول:أصبحت وما لي سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر[٥]، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: يقول:إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة[٦]، بل إنك تجد عند عوام المسلمين مِن سكون القلب، وراحة البال، وبرد اليقين ما لا تجده عند كبار المفكرين والكتاب والأطباء من غير المسلم [٧].

---

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين، صـ٣٣-٣٤.

(٢)عبد الْوَاحِد بْن زيد العابد الواعظ كنيته أَبُو عُبَيْدَة من أهل الْبَصْرَة، وأحد تلامذة الحسن البصري لَهُ حكايات كَثِيرَة فِي الزّهْد وَالرَّقَائِق، ولد سنة .. انظر [الثقات لابن حبان، جـ١٢٤/٧ – سير أعلام النبلاء، جـ٥٨٧/٦ – ميزان الاعتدال، جـ٦٧٢/٢ – الوافي بالوفيات، جـ١٧١/١٩]

(٣) حلية الأولياء، جـ٦/ ١٥٦ .

(٤) الدكتور: على محمد محمد الصلابي، فقيه، وكاتب، ومؤرخ، ومحلل سياسي ليبي معاصر، من مواليد بنغازي، ١٩٦٣ م، حاصل على درجة الدكتوراه بمؤلفه فقه التمكين في القرآن الكريم. جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام ١٩٩٩م نقلا عن [موقع الدكتور علي بن محمد الصلابي من على شبكة الانترنت].

(٥) الوابل الصيب لابن القيم، صـ٤٨ .

(٦) مدارج السالكين، صـ ٤٥٢ .

(٧) الوسطية في القرآن الكريم، الصلابي، صـ٣٦٩ .

ويقول السعدي:إن المؤمن إذا ابتلي بمرض أو فقر، أو نحوه من الأعراض التي كل أحد عرضة لها، فإنه – بإيمانه وبما عنده من القناعة والرضى بما قسم الله له – يكون قرير العين، لا يتطلب بقلبه أمراً لم يقدر له، ينظر إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، وربما زادت بهجته وسروره وراحته على من هو متحصل على جميع المطالب الدنيوية، إذا لم يؤت القناعة(١).

وإلى جانب ذلك فإن الإيمان بالقضاء والقدر إيمانا صادقا ينقي القلب من رذيلة الحسد التي توغر الصدور، وتورث النفس القلق والاضطراب، بل وتشعلها نارًا.

فالمؤمن باليوم الآخر يعلم أن حسد الناس على ما آتاهم الله من فضله سخط على المقدور، فيسلك إلى السعادة سبيلها المشروع، فيقوم بعمله آمنا مطمئنا، مستعينا بالله تعالى، فإن وصل إلى بغيته حمد الله تعالى وشكره أن هيأ له أسباب النجاح، وإن كانت الأخرى لم يجزع ولم تهن عزيمته، ولم يستسلم للأحزان أو يحقد على الناس، بل يرضي ما قدر ربه، ويتوجه إليه يسأله اللطف في قضائه، والصبر على بلائه(٢)

ونظرا لما للإيمان بالقضاء والقدر من أهمية سواء من حيث تحقق الإيمان وكماله، أو من حيث أثره في سكينة قلب المؤمن وطمأنينة نفسه، حرص النبي(صلى الله عليه وسلم)على ترسيخ هذا الأصل العظيم في نفوس الصحابة، ممَّا كان له أبلغ الأثر في حياتهم وسلوكهم، فقد روى أبو هريرة عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ(٣)

(١) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، صـ١٥ .
(٢) الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر، احمد البيانوني، صـ١٥١ .
(٣) صحيح مسلم، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، جـ٣٠٥٢/٤ح ٢٦٦٤ .

وعن أبي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : .... لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ(١) .

ويقول(ﷺ) لابن عباس رضي الله عنهما:(يا غلام إني إني أُعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سالت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف)(٢) .

ولقد أدهش جانب الرضا بالقضاء والقدر – من حيث أثره البالغ في طمأنينة نفس المسلم وهدوء قلبه وسكون روحه واستقباله لصعوبات الحياة بعزيمة قوية وإرادة لاتجزع – الكثيرين من غير المسلمين.

من هؤلاء رونالد بودلي(٣)**الذي عاش سبع سنوات مع أهل الجزيرة العربية فقال عن تجربته:لقد تعلمت من عرب الصحراء التغلب على القلق، فهم بوصفهم مسلمين، يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان وأخذ الحياة مأخذاً سهلاً ليناً، فهم لا يلقون أنفسهم بين براثن الهم والقلق إنهم يؤمنون بأن ما قدر يكون، ولا يصيب الواحد منهم إلا ما كتب الله تعالى، وليس معنى ذلك أنهم يتواكلون أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفو الأيدي كلا....." وبعد أن استعرض (بودلي) تجربته مع عرب الصحراء علق بقوله :" وخلاصة القول إنني بعد إنقضاء سبعة عشر عامًا على مغادرتي**

---

(١) سنن أبي داود، باب في القدر، جـ٤/٢٢٥ح ٤٦٩٩ –صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ٥/ ٥٦٧ح

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، جـ٤/٦٦٧ح ٢٥١٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح – صححه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي، جـ٦/١٦ح ٢٥١٦ .

(٣) كولونيل رونالد فيكتور كورتيناي بودلي، كاتب صحفي مستشرق، كان ضابطا في صفوف الجيش البريطاني، ولد سنة ١٨٩٢م، وتوفي سنة ١٩٧٠م .نقلا عن [الموسوعة الحرة من على شبكة الانترنت http://ar.wikipedia.org/wiki/]

الصحراء، مازلت اتخذ موقف العرب حيال قضاء الله، فأقابل الحوادث التي لاحيلة لي فيها بالهدوء، والامتثال، والسكينة، ولقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير(١) .

وأخيرا أقول على المسلم الذي يريد الأمن والطمأنينة أن يجعل نصب عينيه دائما قول الله تعالى:(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)[التوبة :٥١]، إن ذلك سيورثه جرأة على مواجهة اليوم والغد، بنفس آمنة وروح باسمة وقلب مطمئن، فتراه يتلقى السراء بالشكر لله، ويتلقى الضراء بالصبر واحتساب الأجر من الله والإنابة إليه، كما أخبر ذلك من لا ينطق عن الهوى (صلى الله عليه وسلم) فقال عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ (٢)**، قال ابن عثيمن:لان المؤمن يؤمن بان كل شئ بقضاء الله، فيكون دائما في سرور، ودائما في انشراح، لأنه يعلم إن ما أصابه فانه من الله:إن كان ضراء صبر وانتظر الفرج من الله ولجا إلى الله تعالى في كشف هذه الضراء، وان كان سراء شكر وحمد الله وعلم إن ذلك لم يكن بحوله ولا قوته لكن بفضل من الله ورحمة**(٣).

(١) دع القلق وأبدأ الحياة، ديل كارنيجي، صـ٣٠٣.
(٢) صحيح مسلم، بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، جـ٤/٢٢٩٥ح ٢٩٩٩ .
(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، جـ١/٤٧٧ .

المطلب الثاني

الأسباب المتعلقة بالعبادات

رغم أن جميع العبادات لها دور في تحقيق الطمانينة والأمن النفسي إلا أن هنالك عبادات بعينها ربط القرآن بشكل مباشر بينها وبين الأمن النفسي، وذكر صراحة أثر تلك العبادات في تحقيق الطمأنينة وتحقيق الأمن النفسي . من تلك العبادات :

أولاً :الصـــلاة :يشير اسم الصلاة إلى أن فيها صلة بين الإنسان وربه، ولهذه الصلة على وجه الخصوص أثرها في تحصيل الطمأنينة والسكينة والأمن النفسي، وعلاج الإنسان من الهم والجزع والقلق، فوقوف الإنسان في الصلاة أمام ربه في خشوع واستسلام، وفي تجرد كامل عن مشاغل الحياة ومشكلاتها، إنما يبعث في نفس الإنسان الهدوء والسكينة والاطمئنان، ويقضي على القلق وتوتر الأعصاب، الذي أحدثته ضغوط الحياة ومشكلاتها ، ويمده بطاقة روحية تبعث في نفسه الأمل، وتقوي فيه العزم، وتُعلي فيه الهمة ..

وللصلاة تأثير قوي في علاج الشعور بالذنب الذي يسبب القلق، والذي يعتبر الأصل الذي ينشأ عنه المرض النفسي ..

وعلى الجملة فإن للصلاة فوائد عظيمة كثيرة، فهي تبعث في النفس الهدوء والطمأنينة، تخلص الإنسان من الشعور بالذنب، وتقضي على الخوف والقلق والتوتر، وتمد الإنسان بطاقة روحية هائلة، تساعد على شفائه من أمراضه البدنية، والنفسية(١)

إن المصلي يبدأ صلاته بالتكبير فيحس بأن الله أكبر من كل ما يَرُوعه ومن يروعه في هذه الدنيا، ويقرأ فاتحة الكتاب فيجد فيها تغذية للشعور بنعمة

(١) القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، صـ ٢٨٥- الحديث النبوي، وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، صـ ٣١٥ - الشخصية السوية بين الإسلام وعلم النفس، أحمد رمضان، صـ ١٨ - معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، سميح الزين، جـ٢/٢٩٩ .

الله (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وتغذية للشعور بعظمة الله وعدله (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، وتغذية للشعور بالحاجة إلى الصلة بالله وإلى عونه سبحانه (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وتغذية للشعور بالحاجة إلى هداية الله (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ*صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ)، فلا عجب أن تمد الصلاة المؤمن بحيوية هائلة. وقوة نفسية فياضة(١) .

إن الصلاة صلة ولقاء بين العبد والرب. صلة يستمد منها القلب قوة، وتحس فيها الروح صلة وتجد فيها النفس زاداً أنفس من أعراض الحياة الدنيا(٢)، إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني والقوة الباقية، إنها الموعد المختار لالتقاء القطرة المنعزلة بالنبع الذي لا يغيض، إنها مفتاح الكنز الذي يغني ويقني ويفيض. إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكوني الكبير. إنها الروح والندى والظلال في الهاجرة، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود..... إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان (٣) .

يقول ابن القيم رحمه الله:الصلاة قرة عيون المحبين فِي هَذِه الدُّنْيَا، وسرور أرواحهم، ولذة قلوبهم، وبهجة نفوسهم، وذلك لما فِيهَا من مُنَاجَاة من لَا تقر الْعُيُون وَلَا تطمئِن الْقُلُوب وَلَا تسكن النُّفُوس إِلَّا إِلَيْهِ والتنعم بِذكرِهِ والتذلل والخضوع لَهُ والقرب مِنْهُ وَلَا سِيمَا فِي حَال السُّجُود وَتلك الْحَال أقرب مَا يكون العَبْد من ربه فِيهَا(٤)

(١) العبادة في الإسلام د، د يوسف القرضاوي، ص٢٣٠، ٢٣١.
(٢) في ظلال القرآن، جـ١/ ٦٩ .
(٣) السابق، جـ١/ ١٤٢.
(٤) طريق الهجرتين، ٣٠٧ - رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، صـ٣٣ .

وطمأنينة النفس بالصلاة وتحصيلها للأمن والسكينة بأدائها، إنما تكون على قدر خشوع الإنسان وخضوعه فيها، فمتى أقام العبد الصلاة على الوجه المأمور بها شرعًا، وأقبل عليها بقلبه، سيجد الأنس والسعادة، والسكينة والطمأنينة، ويذهب عنه الخوف والقلق .

ولقد جاءت الآيات والأحاديث تترى في بيان أثر الصلاة في تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي، من ذلك قوله تعالى في سورة المعارج:(إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً *إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً) [المعارج:١٩-٢١]، ففي هذه الآيات بين الحق سبحانه بعض صفات الإنسان التي جُبل عليها فقال:(إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً[١])[المعارج :١٩]، ومعنى (هَلُوعاً) كما قال غير واحد من المفسرين:ضَيْق القلب، قليل الصبر، سريع الاضطراب والفزع عندَ المخاوفِ وعندَ المطامع [٢]، وقال ابن عاشور:الْهَلَعَ قِلَّةُ إِمْسَاكِ النَّفْسِ عِنْدَ اعْتِرَاءِ مَا يُحْزِنُهَا أَوْ مَا يَسُرُّهَا أَوْ عِنْدَ تَوَقُّعِ ذَلِكَ وَالْإِشْفَاقِ مِنْهُ[٣]، وقوله عز وجل:(إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً*وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً)] أي:أَنَّهُ إِذَا صَارَ فَقِيرًا أَوْ مَرِيضًا أَخَذَ فِي الْجَزَعِ وَالشِّكَايَةِ، وَإِذَا صَارَ غَنِيًّا أَوْ صَحِيحًا أَخَذَ فِي مَنْعِ الْمَعْرُوفِ وَشَحَّ بِمَالِهِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى النَّاسِ[٤] ثم اسْتَثْنَى

---

(١) قال ابن عاشور : ومعنى (خُلِقَ هَلُوعاً) : أن الْهَلَعَ طَبِيعَةٌ كَامِنَةٌ فِي الإنسان، فَهُوَ مِنْ طِبَاعِهِ الْمَخْلُوقَةِ كَغَيْرِهَا مِنْ طِبَاعِهِ الْبَشَرِيَّةِ، وإذا كان الله قد أودع في تركيب النفس البشرية ذلك، فقد أودع فيها من القوى الإيجابية ما يعينه على مناهضة تلك النقائص، ومن ثم على الإنسان أَنْ يَرُوضَ نَفْسَهُ عَلَى مُقَاوَمَةِ النَّقَائِصِ وَإِزَالَتِهَا عَنْهُ، بما جَعَلَه الله له من عقل وحكمة - إِنْ هُوَ أحسن استعمالهما نَخَلَتْ صِفَاتِهِ، وَتَثَقَّفَتْ مِنْ قَنَاتِهِ، وبما ساقه الله إليه من دُعَاةٍ إِلَى الْخَيْرِ يَصِفُونَ لَهُ كَيْفَ يَرِيضُ جَامِحَ نَفْسِهِ، وَكَيْفَ يُوَفِّقُ بَيْنَ إِدْرَاكِهِ وَحِسِّهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْحُكَمَاءُ (التحرير والتنوير، جـ٢٩ : ١٦٨، ١٦٩) (بتصرف).

(٢) تفسير البغوي، جـ٥/ ١٥٣ – اللباب لابن عادل، جـ١٩/ ٣٦٧ - تفسير النيسابوري، جـ٦/ ٣٥٨ – تفسير الثعالبي، جـ٥/ ٤٨٥ - تفسير الثعلبي، جـ١٠/ ٣٩ – تفسير الخازن، جـ٤/ ٣٤١ .

(٣) التحرير والتنوير، جـ٢٩/ ١٦٧ .

(٤) تفسير الرازي، جـ٣٠/ ٦٤٤ – تفسير المراغي، جـ٢٩/ ٧٠ .

مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ الْمَذْكُورَةِ أهل الإيمان الذين اتصفوا بجملة من الخصال المحمودة، استطاعوا بها الفكاك من السلاسل التي تقيدهم بها غرائزهم التي فطروا عليها، وعاداتهم التي ألفوها وركنوا إليها، وأول صفة لأولئك الذين استثناهم سبحانه وتعالى من الهلع – تلك السمة العامة للإنسان – يفصلها السياق هنا ويحددها بقول الحق تبارك وتعالى :(إِلَّا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ)[المعارج:٢٢-٢٣](١) .

قال صاحب تفسير المنار:إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ قَدْ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، فَقَدِ اسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْحُكْمِ الْكُلِّيِّ الْمُصَلِّينَ، إِذَا كَانُوا عَلَى الصَّلَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ مُحَافِظِينَ(٢).

يقول المراغي:وليست الصلاة التي عناها الكتاب الكريم هى مجرد القيام والركوع والسجود، والتلاوة باللسان خاصة، والتي نشاهد من معتاديها الإصرار على الفواحش والمنكرات واجتراح السيئات، إذ لا أثر لها مما وصفه الله بقوله:(إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ)، وقوله(إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلَّا الْمُصَلِّينَ) ومن ثمّ نرى الذين يصلون هذه الصلاة أضعف الناس قلوبا وأشدهم اضطرابا إذا عرض لهم شىء على غير ما يرومون، وما كان للمصلى أن يكون ضعيف القلب عادم الثقة بالله، والله يبرئه من ذلك ويقول: «إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٣).

ومن الآيات كذلك قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[البقرة:٢٧٧]، فقد نفى الله الخوف والحزن عن المؤمنين بالله تعالى الذين التزموا الأعمال الصالحة، وفي مقدمتها إقامة الصلاة ..

---

(١) تفسير الرازي، جـ٣٠/ ٦٤٤ - تفسير الظلال، جـ٦/ ٣٦٩٩ .
(٢) المنار، جـ٢/٣٤٥ .
(٣) تفسير المراغي، جـ٢/٢٢

ولعظم شأن الصلاة في إصلاح شأن العبد، وبث الطمأنينة والسكينة في نفسه وقلبه بما يعينه على مواجهة الشدائد والتحديات، أمر الله تعالى بالاستعانة بها فقال سبحانه:(يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين)[البقرة:١٥٣]، قال أبوحيان:أُمِرُوا بِالِاسْتِعَانَةِ بِالصَّلَاةِ، لِأَنَّهُ يُتْلَى فِيهَا مَا يُرَغِّبُ فِي الْآخِرَةِ وَيُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا، أَوْ لِمَا فِيهَا مِنْ تَمْحِيصِ الذُّنُوبِ وَتَرْقِيقِ الْقُلُوبِ، أَوْ لِمَا فِيهَا مِنْ إِزَالَةِ الْهُمُومِ[١]، وقال صاحب الظلال: يقرن الصلاة إلى الصبر فهي المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد. المعين الذي يجدد الطاقة، والزاد الذي يزود القلب فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع. ثم يضيف إلى الصبر، الرضى والبشاشة، والطمأنينة، والثقة، واليقين[٢]

وأمر المسلم أن يأمر أهله بها وأن يصطبر عليها فقال تَعَالَى: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسْئَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى)[طه: ١٣٢]

كذلك وعد ربنا في كتابه أهل الصلاة، الخاشعين فيها، بالفلاح في الدنيا والآخرة فقال تعالى:(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ) [المؤمنون: ١، ٢].

وليس أدل على أثر الصلاة في مد الإنسان بالطمأنينة والسكون النفسي من فزع النبي (صلى الله عليه وسلم) إليها كلما حزبه أمر، فعنْ حُذَيْفَةَ قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى [٣]، وفي الصلاة كانت قرة عين النبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، فقد صح عنه قوله:

---

(١) البحر المحيط، جـ٢٩٨/١ .

(٢) الظلال، جـ١/ ١٤٢

(٣) سنن أبي داود، بَابُ وَقْتِ قِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ، جـ٣٥/٢ح١٣١٩ – مسند أحمد، جـ٢٨٦/٣

وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ [1]، وبها كانت راحته، فقد جاء في الصحيح أنه قال لبلال: يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا[2]، أَيْ أَرِحْنَا بِأَدَائِهَا مِنْ شُغْلِ الْقَلْبِ، وَقِيلَ:إنما كَانَ اشْتِغَالُهُ بِالصَّلَاةِ رَاحَةً لَهُ لأنه كَانَ يَعُدُّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ تَعَبًا، وَكَانَ يَسْتَرِيحُ بِالصَّلَاةِ لِمَا فِيهَا مِنَ مُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِهَذَا قَالَ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ وَمَا أَقْرَبُ الرَّاحَةِ مِنْ قُرَّةِ الْعَيْنِ[3]، وجاء عنه (ﷺ) أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه:(قمْ فَصَلِّ، فَإِنَّ فِي الصلاةِ شِفَاءً)[4]، وقد ذكر ذلك المناوي في فيض القدير عند شرحه لهذا الحديث ما نصه:إن في الصلاة شفاء من الأمراض القلبية والبدنية، والهموم والغموم، لذلك أمر الله تعالى بالاستعانة بها مع الصبر، فقال سبحانه::يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)[البقرة: ١٥٣] [5]

ويقول آخر:إن حالة الطمأنينة النفسية والسكينة الروحية، والشعور بالأمن والاستقرار التي تضفيها الصلاة على قلوب المصلين، تجعل الأمراض النفسية، والشعور بالخوف والقلق، والغضب والحزن والوحدة القاتلة، والأمراض العقلية، كالخرف وغيره، نادرة الحدوث في مجتمع المصلين[6]

ويقول ابن القيم:وَأَمَّا الصَّلَاةُ، فَشَأْنُهَا فِي تَفْرِيحِ الْقَلْبِ وَتَقْوِيتِهِ، وَشَرْحِهِ وَابْتِهَاجِهِ وَلَذَّتِهِ أَكْبَرُ شَأْنٍ، وَفِيهَا مِنَ اتِّصَالِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ بِاللَّهِ، وَقُرْبِهِ وَالتَّنَعُّمِ

---

(١) السنن الصغرى للنسائي، باب حب النساء جـ٧/٦١ ح ٣٩٤٠ – مسند أحمد، جـ٢١/ ٤٣٣ – المعجم الأوسط للطبراني، جـ٥/٢٤١ح ٥٢٠٣ – صححه الحاكم في المستدرك، كتاب النكاح، جـ٢/١٧٤ح ٢٦٧٦ .

(٢) سنن أبي داوود، باب في بَابٌ فِي صَلَاةِ الْعَتَمَةِ، جـ٤/٢٩٦ح٤٩٨٥-المعجم الكبير للطبراني، جـ٦/٢٧٧ح٦٢١٥ - صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢/١٣٠٧ح٧٨٩٠ .

(٣) انظر: مرعاة المفاتيح، جـ٣/٩٣٩ – عون المعبود، جـ١٣/٢٢٥.

(٤) سنن أبي ماجة، باب الصلاة شفاء، جـ٢/١١٤٤ح ٣٤٥٨ –مسند أحمد، جـ١٥/ ٢٩ – مسند البزار، جـ١٦/ ٢١٩ ح٩٣٧١-ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، جـ٥/٤٦٨ح٢٤٥٢ .

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير، جـ٢/١٩٩ .

(٦) فارس علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية،

بِذِكْرِهِ، وَالِابْتِهَاجِ بِمُنَاجَاتِهِ، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتِعْمَالِ جَمِيعِ الْبَدَنِ وَقُوَاهُ وَآلَاتِهِ فِي عُبُودِيَّتِهِ، وَانْجِذَابِ قُوَى قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ إِلَى رَبِّهِ وَفَاطِرِهِ، وَرَاحَتِهِ مِنْ عَدُوِّهِ حَالَةَ الصَّلَاةِ مَا صَارَتْ بِهِ مِنْ أَكْبَرِ الْأَدْوِيَةِ وَالْمُفَرِّحَاتِ (١)

ويقول أيضا:الصَّلَاةُ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى تَحْصِيلِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَدَفْعِ مَفَاسِدِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهِيَ مَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَدَافِعَةٌ لِأَدْوَاءِ الْقُلُوبِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ، وَمُنَوِّرَةٌ لِلْقَلْبِ ومقوية له، وَمُبَيِّضَةٌ لِلْوَجْهِ، وَمُنَشِّطَةٌ لِلْجَوَارِحِ، ومُفْرِحَةٌ لِلنَّفْسِ، ودَافِعَةٌ لِلْأَذَى، ومُذْهِبَةٌ لِلْكَسَلِ، وَجَالِبَةٌ لِلرِّزْقِ، وشَارِحَةٌ لِلصَّدْرِ، ومُغَذِّيَةٌ لِلرُّوحِ، ومُبْعِدَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ مُقَرِّبَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ وَدَافِعَةٌ لِلظُّلْمِ، وَنَاصِرَةٌ لِلْمَظْلُومِ، وَقَامِعَةٌ لِأَخْلَاطِ الشَّهَوَاتِ، وَحَافِظَةٌ لِلنِّعْمَةِ، وَدَافِعَةٌ لِلنِّقْمَةِ، وَمُنْزِلَةٌ لِلرَّحْمَةِ، وَكَاشِفَةٌ لِلْغُمَّةِ، وَنَافِعَةٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَوْجَاعِ الْبَطْنِ .. وَبِالْجُمْلَةِ: فَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ، وَقُوَاهُمَا، وَدَفْعِ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ عَنْهُمَا، وَمَا ابْتُلِيَ رَجُلَانِ بِعَاهَةٍ أَوْ دَاءٍ أَوْ مِحْنَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ إِلَّا كَانَ حَظُّ الْمُصَلِّي مِنْهُمَا أَقَلَّ، وَعَاقِبَتُهُ أَسْلَمَ .. وَمَا اسْتُدْفِعَتْ شُرُورُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُهُمَا بِمِثْلِ الصَّلَاةِ، وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ صِلَةٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى قَدْرِ صِلَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ تُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَبْوَابُهَا، وَتُقْطَعُ عَنْهُ مِنَ الشُّرُورِ أَسْبَابُهَا، وَتُفِيضُ عَلَيْهِ مَوَادُّ التَّوْفِيقِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَافِيَةُ وَالصِّحَّةُ، وَالْغَنِيمَةُ وَالْغِنَى، وَالرَّاحَةُ وَالنَّعِيمُ، وَالْأَفْرَاحُ وَالْمَسَرَّاتُ، كُلُّهَا مُحْضَرَةٌ لَدَيْهِ، وَمُسَارِعَةٌ إِلَيْهِ(٢)

ويقول ابن عاشور:إِنَّ فِي الصَّلَاة سرا إِلٰهيا لَعَلَّه ناشىء عَنْ تَجَلِّي الرِّضْوَانِ الرَّبَّانِيِّ عَلَى الْمُصَلِّي فَلِذَلِكَ نَجِدُ لِلصَّلَاةِ سِرًّا عَظِيمًا فِي تَجْلِيَةِ الْأَحْزَانِ وَكَشْفِ غَمِّ النَّفْسِ(٣)

(١) زاد المعاد، جـ٤/ ١٩٢.
(٢) الطب النبوي، صـ١٥٥ – زاد المعاد، جـ٤/ ١٩٢، ٣٠٤
(٣) التحرير والتنوير، جـ١/ ٤٧٩ .

وقد أكد كثير علماء النفس دور الصلاة في تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي، يقول أحدهم:إن الصلاة هي أهم وسيلة عرفها الإنسان تبث الطمأنينة في نفسه، والهدوء في أعصابه[١]، ويقول الدكتو: إليكسيس كارليل[٢] الحائز على جائزة نوبل في الطب: لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت إلى يومنا هذا، وقد رأيت كثيرا من المرضى الذين أخفقت العقاقير في علاجهم كيف تدخلت الصلاة فأبرأتهم تماما من عللهم، إن الصلاة كمعدن الراديوم مصدر للإشعاع ومولد ذاتي للنشاط، [٣]

ثانيا:الزكـــاة :من بين الصفات المذكورة في سورة المعارج للذين استثناهم الله من الهلع والجزع أنهم للزكاة فاعلون، ففيها يقول ربنا:(إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً *إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً*وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ*وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)[المعارج:١٩-٢٥] .

وعليه فإن الزكاة وسيلة مهمة لانتفاء الهلع والجزع والقلق ولاضطراب عن نفس المسلم الذي يخرج حق الله في ماله، ذلك أن الزكاة عطاء وبذل ومواساة ومعاونة، والنفس بطبيعتها تهتز للكرم وتفرح بالجود، وتجد الراحة والطمأنيينة في مواساة الغير وإدخال السرور عليه، وهذا هو السبب في أن بعض الناس يقومون بمساعدة المحتاجين ومعاونة المعوزين دون رغبة في ثواب او رهبة من عقاب، فكما أن الآخذ يفرح ويغتبط، فإن المُعطِي لا يقل عنه فرحا واغتباطا[٤]

---

(١) نقلا عن كتاب الوقاية من كل داء، ابن مصدق العبدلي، صـ٣٦.

(٢) طبيب جراح فرنسي، ولد ولد في مدينة ليون ١٨٧٣م، حصل على جائزة نوبل في الطب ١٩١٢م، توفي عام ١٩٤٤م، نقلاً عن[الموسوعة الحرة من على شبكة الانترنت http://ar.wikipedia.org/wiki/] .

(٣) دع القلق وأبدأ الحياة، صـ٢٣١ .

(٤) اسلامنا، سيد سابق ، صـ١٢٠ (بتصرف يسير)

كذلك فإن الزكاة تقوي في الإنسان الشعور بالانتماء الاجتماعي، وبدوره الفعال في مجتمعه، مما يجعله يستشعر الرضا عن نفسه، وهذا أمر له أهمية كبيرة في الصحة النفسية للإنسان(١)

ويقف صاحب تفسير الظلال عند قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون)[البقرة:٢٧٧] مبينا أثر الزكاة في تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي في المجتمع فيقول:والعنصر البارز في هذه الصفحة هو عنصر«الزكاة» عنصر البذل بلا عوض ولا رد، والسياق يعرض بهذا صفة المؤمنين وقاعدة المجتمع المؤمن، ثم يعرض صورة الأمن والطمأنينة والرضى الإلهي المسبغ على هذا المجتمع المؤمن.

وقد بهتت صورة «الزكاة» في حسنا وحس الأجيال التعيسة من الأمة الإسلامية التي لم تشهد نظام الإسلام مطبقاً في عالم الواقع، ولم تشهد هذا النظام يقوم على أساس التصور الإيماني والتربية الإيمانية والأخلاق الإيمانية، فيصوغ النفس البشرية صياغة خاصة، ثم يقيم لها النظام الذي تتنفس فيه تصوراتها الصحيحة وأخلاقها النظيفة وفضائلها العالية.

بهتت صورة الزكاة حتى أصبحت هذه الأجيال تحسبها إحساناً فردياً هزيلاً، لا ينهض على أساسه نظام عصري! ولكن كم تكون ضخامة حصيلة الزكاة، وهي تتناول اثنين ونصفاً في المائة من أصل رؤوس الأموال الأهلية مع ربحها؟ يؤديها الناس الذين يصنعهم الإسلام صناعة خاصة، ويربيهم تربية خاصة، بالتوجيهات والتشريعات، وبنظام الحياة الخاص الذي يرتفع تصوره على ضمائر الذين لم يعيشوا فيه! وتحصلها الدولة المسلمة، حقاً مفروضاً، لا إحساناً فردياً. وتكفل بها كل من تقصر به وسائله الخاصة من الجماعة المسلمة حيث يشعر كل فرد أن حياته وحياة أولاده مكفولة في كل حالة وحيث

(١) القرآن وعلم النفس، عثمان نجاتي ، صـ٢٥٩ .

يقضي عن الغارم المدين دينه سواء كان ديناً تجارياً أو غير تجاري، من حصيلة الزكاة.

إن الله- سبحانه- يعد الذين يقيمون حياتهم على الإيمان والصلاح والعبادة والتعاون، أن يحتفظ لهم بأجرهم عنده، ويعدهم بالأمن فلا يخافون. وبالسعادة فلا يحزنون، في الوقت الذي يوعد أكلة الربا والمجتمع الربوي بالمحق والسحق، وبالتخبط والضلال، وبالقلق والخوف(١)

كذلك وعد الله الذين يخرجون زكاة أموالهم بالفلاح فقال تعالى:(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ)[المؤمنون :١-٤]

ويبين محمد عثمان نجاتي العلاقة بين الزكاة وتحقيق الأمن النفسي فيقول:إن الزكاة تدريب للمسلم على العطف على المحتاجين من الناس، ومد يد العون إليهم، إنها تقوي في المسلم الشعور بالمشاركة الوجدانية مع الفقراء والمساكين، وتبث فيه الشعور بالمسئولية نحوهم، إنها تعلم المسلم حب الآخرين وتخلصه من الأنانية وحب الذات والبخل والطمع، وتقوي فيه الشعوربالنتماء الاجتماعي، ولذلك كله بالغ الأثر في شعور الإنسان بالرضا عن نفسه، وهو أمر له أهمية كبيرة في صحة الإنسان النفسية (٢)

كما أن الزكاة باب من أوسع أبواب الإحسان، والإحسان إلى الغير يشرح الصدر يقول الدكتور عائض القرني(٣):إن أول المستفيدين من إسعاد الناس هم المتفضلون بهذا الاسعاد، يجنون ثمرته عاجلا في نفوسهم،

---

(١) الظلال، جـ١/٣٢٨، ٣٢٩ .

(٢) القرآن وعلم النفس، صـ٢٩٦ .

(٣) عائض بن عبد الله بن عائض آل مجدوع القرني، مفكر و أديب و شاعر معاصر ، ولد سنة ١٣٧٩هـ ببلاد القرن، جنوب المملكة الرعبية السعودية، حصل على الدكتوراه في الحديق النبوي من جامعة الأمام ١٤٠٨ه . [مصارع العشاق لعائض القرني، صـ٥]

وأخلاقهم ,وضمائرهم، فيجدون الانشراح، والانبساط، والهدوء والسكينه[1]، ومن جرب أن يحسن إلى فقير أو يتصدق على محتاج وحده الذي يعرف مقدار الأنس والسكينة والطمأنينة التي يجدها في نفسه، ويستشعرها قلبه، بعد تلك الطاعة المباركة.

إن الإحسان إلى الناس لا يفعله إلا الكمل من البشر ولذا فإنهم أسعد الناس نفوساً ، وأشرحهم أفئدة ، وأكثرهم سكينة واطمئنانا .

ثالثا:ذكر الله عز وجل: من أعظم الأسباب وأجلها في تحصيل الأمن النفسي:ذكر الله عز وجل، ففي ذكره تعالى سكينة النفس، وطمأنينة القلب، وراحة البال، وقرار الخاطر، وجلاء الهم، وذهاب الحزن، وتفريج الكرب .

إن ذكر الله عز وجل له تأثير عجيب في حصول الأمن، وذهاب الخوف، فليس للخائف الذي اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا[2].

وقد نص القرآن الكريم على أثر الذكر في تحقيق الأمن والطمأنينة، فقال تعالى في محكم التنزيل :(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[الرعد:٢٨]، أَيْ: تَطِيبُ وَتَرْكَنُ إِلَى جَانِبِ اللَّهِ، وتسكن بذكره سبحانه بعد القلق والاضطراب، وَتَرْضَى بِهِ مَوْلًى وَنَصِيرًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: {أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} أَيْ:هُوَ حَقِيقٌ بِذَلِكَ[3].

---

(١) ثلاثون سببا للسعادة، عائض القرني، صـ٢١ .

(٢) الوابل الصيب، صـ٧٧

(٣) جامع البيان، جـ١٦/ ٤٣٢ – تفسير ابن كثير، جـ٤/٤٥٥ - تفسير النسفي، جـ٢/ ١٥٤ - تفسير الرازي، جـ١٩/ ٣٩ – تفسير السمعاني، جـ٣/٩٢ –الكشاف، جـ٢/٥٢٨ - الهداية لمكي، جـ٥/٣٧٣٣ - تفسير السمرقندي، جـ٢/ ٢٢٦ – تفسير الثعالبي، جـ٣/ ٣٦٨

قال سيد قطب[١]:(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ)، تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه، تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق. بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير، وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضر ومن كل شر إلا بما يشاء، مع الرضى بالابتلاء والصبر على البلاء، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة .. «أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله، يعرفونها، ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها؛ لأنها لا تُنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب، فيستروحها، ويهشُّ لها، ويندى بها، ويستريح إليها، ويستشعر الطمأنينة والسلام[٢].

وقال المراغي:(أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) أي ألا بذكر الله وحده تطمئن قلوب المؤمنين، ويزول القلق والاضطراب من خشيته، بما يفيضه عليها من نور الإيمان الذي يذهب الهلع والوحشة [٣]

ويقول السعدي:ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته (الإكثار من ذكر الله) فإن لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر وطمأنينته، وزوال همه وغمه، قال تعالى:(ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[الرعد: ٢٨] فلذكر الله أثر عظيم في حصول هذا المطلوب [٤].

---

(١) سيد قطب إبراهيم، ولد بأسيوط ١٩٠٦م، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة ١٩٣٣م، تنقل في عدة وظائف، ثم عكف على تأليف الكتب ونشرها الكتب ونشرها، مات سنة١٩٦٧م ..[الأعلام، جـ١٤٧/٣ – معجم تفاسير القرآن، صـ٤٩٥ – النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي، جـ١٤٦/٣ وما بعدها]

(٢) انظر: في ظِلال القرآن، جـ٢٠٦٠/٤ .

(٣) تفسير المراغي، جـ١٠٠/١٣.

(٤) انظر: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، صـ٢١، الجامعة الإسلامية بالمدينة النورة، مركز شئون الدعوة، ١٤٠٩هـ

ومن الآيات كذلك قوله تعالى:(فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ)[آل عمران:١٠٣]، فبعد أن بين الله لعباده المؤمنين كيفية أداء الصلاة حال الخوف، أمرهم في هذا الموطن الذي تغلب فيه أسباب الخوف والقلق والاضطراب، بدوام ذكره على كل حال وفي ذلك تنبيه على أثر الذكر في طمأنة وتثبيت القلوب، في أوقات الشدة والبأس، قال صاحب نظم الدر:قوله (اذكروا الله) أي بغير الصلاة لأنه لإحاطته بكل شيء يستحق أن يراقب فلا ينسى (قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم)أي في كل حالة، فإن ذكره حصنكم في كل حالة من كل عدو ظاهر أو باطن [١].

يقول ابن القيم في الوابل الصيب:وللذكر أكثر من مائة فائدة منها:أنه يزيل الهم والغم عن القلب، وأنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط، وأنه يقوى القلب والبدن، وأنه ينور الوجه والقلب، وأنه يجلب الرزق، وأنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، وأنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة[٢]، ويقول في موضع آخر:إن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب، وييسر العسير ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم[٣]

والصلاة التي سبق الحديث عن أثرها الكبير في تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي قيل إنها حازت تلك المنزلة، وغدت أفضل مجليات القلوب ومهذبات النفوس، لأنها مشتملة على مجامع الذكر، قال تعالى:(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)[العنكبوت: ٤٨][٤]، قال السعدي:أي:ما فيها

---

(١) نظم الدرر، جـ٥/ ٣٨٤ .
(٢) الوابل الصيب، صـ٤١ .
(٣) المرجع السابق، صـ٧٧ .
(٤) نظم الدرر، جـ٥/ ٣٨٤ – تفسير القاسمي، جـ٧/ ٥٥٧

من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر[١]، وقال صاحب المنار: أَيْ أَنَّ ذِكْرَهُ الَّذِي شُرِعَتِ الصَّلَاةُ لَهُ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْ[٢]، ويؤيده قوله تعالى لموسى: (وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) [طه:١٤] أي لتذكرنى بها[٣] .

ولقد وعد الله تعالى المكثرين من ذكره بمعيته تعالى وحمايته ورعايته، فقال في كتابه (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [البقرة:١٥٢]، وقال في الحديث القدسي:أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي[٤]، وقال أيضا:أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ [٥]، فكيف لمن يستشعر هذه المعية، ويعيش في كنفها ألا يمتليء قلبه أمنا وطمانينة وثقة وسكينة؟

وتأكيدا لأثر الذكر في تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي وانشراح الصدر، جاء في الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله:لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، غَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ [٦]، والمراد بالسكينة في قوله(صلى الله عليه وسلم)(وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ):أَيْ:الطُّمَأْنِينَةُ والوقار وصفاء القلب وَذَهَابُ ظُلْمَتِهِ [٧]

وجاءعنه(صلى الله عليه وسلم) كذلك قوله:مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ[٨]، قال ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين:وذلك لأن الذي يذكر الله تعالى قد أحيا الله قلبه بذكره وشرح له

---

(١) تفسير السعدي، صـ٥٠٣

(٢) تفسير المنار، جـ١٠/ ٤٦٨ .

(٣) التفسير القرآني للقرآن، جـ١٠/٤٣٧ .

(٤) صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} [آل عمران: ٢٨]، جـ٩/ ١٢٠ ح ٧٤٠٥ .

(٥) صحيح البخاري، باب لا تحرك به لسانك، جـ٩/ ١٥٣ .

(٦) صحيح مسلم، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، جـ٤/٢٠٧٤ح ٢٧٠٠

(٧) مرقاة المفاتيح، جـ٤/١٥٤٠ – دليل الفالحين، جـ٧/ ٢٥٢ - حاشية السندي، صـ١٠٠.

(٨) صحيح البخاري، بَابُ فَضْلِ ذكر الله عز وجل، جـ٨/٨٦ح٦٤٠٧ .

صدره فكان كالحي، وأما الذي لا يذكر الله فإنه لا يطمئن قلبه والعياذ بالله ولا ينشرح صدره[١]

ورغم أن للأذكار جميعا أثر في تحقيق الطمأنينة والسكينة والأمن النفسي، إلا أن ثمة أذكار بعينها جاء النص والتصريح بأثرها المباشر في تحصيل الأمن والطمأنينة وصرف الهم والقلق والغم .. منها :

١- <u>تلاوة القرآن الكريم</u>: فهي من أفضل وأجل الأذكار من حيث تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي، وجلاء الأحزان والأكدار، وذهاب الهموم والغموم، فقد وصف الله كتابه العظيم بأنه كريم فقال:(إنه لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) [الواقعة: ٧٧]، ومن أوجه كرمه أنه يفيض على من يتلوه ويعيش في كنفه أمنا وسكينة وإنشراح صدر وسعة إدراك وجلاء بصيرة وقوة جنان، إنه ليُحيل المرء إلى إنسان جديد، وانظر – يا رعاك الله – إلى ذلك التأثير العجيب الذي أحدثه هذا الكتاب المبارك في الصحابة من قريش وغيرها، فقد ملأ قلوبهم لينا بعد القسوة، وودا بعد الشدة والجفاء، وتواضعا بعد الكبر والاستعلاء، واستقامة بعد الاعوجاج، وأمنا وسكينة وطمأنينة بعد التقاتل والتناحر وما يترتب على ذلك من الخوف والقلق والهلع[٢] .

وعد الخطابي[٣] ذلك وجه من وجوه إعجاز القرآن فقال:في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فانك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة

(١) شرح رياض الصالحين، جـ٥/ ٥١٧ .

(٢) أثر القرآن في الأمن النفسي، ناهد عبد العال الخراشي، صـ١٢٢ .

(٣) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، من ولد زيد بن الخطاب، كان فقيهاً أديباً محدثاً له تصانيف بديعة، كَانَ حجَّة صَدُوقًا، ولد في رجب ٣١٩هـ وتوفي ٣٨٨هـ انظر:[معجم ألدباء، جـ٣/ ١٢٠٥ – وفيات ألعيان، جـ٢/ ٢١٤ – سير أعلام النبلاء، جـ١٧/٢٧ –بغية الوعاة، جـ١/٥٤٧]

والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور(١)

وقد تضافرت الآيات والأحاديث على تأكيد ذلك الأثر الباهر للقرآن الكريم في تحقيق الأمن والطمأنينة .. من ذلك :

- **قوله تعالى:(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[الرعد:٢٨]، فقد ذهب غير واحد من العلماء إلى أن المراد بالذكر هنا هو كتابه الذي أنزله على رسوله(٢)، وقد ورد عن ابن عباس قوله في تأويلها : يُرِيدُ إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ خَشَعَتْ قُلُوبُهُمْ وَاطْمَأَنَّتْ(٣)، وقال الآلوسي(٤):(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) أي تستقر وتسكن بِذِكْرِ اللَّهِ أي:بكلامه المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإطلاق الذكر على ذلك شائع في الذكر، ومنه قوله تعالى:(وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ)[الأنبياء:٥٠]، وقوله سبحانه:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ)[الحجر: ٩] (٥) .**

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، صـ٧٠، طـ٣، دار المعارف، مصر .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي، جـ٥/ ٢٨٨ - مدارج السالكين، جـ٢/٤٨٠ –تفسير القرطبي، جـ٩/ ٣١٥ –تفسير القاسمي، جـ٦/ ٢٨٢ – تفسير السعدي، صـ٤١٧ .

(٣) تفسير الرازي، جـ١٩/ ٣٩

(٤) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، من المجددين من أهل بغداد، ولد بها في ١٢١٧ هـ، تقلد الإفتاء ببلده، سنة ١٢٤٨ هـ، وعزل، فانقطع للعلم، ثم سافر ١٢٦٢ هـ إلى الموصل فالآستانة، ثم عاد إلى بغداد يدون رحلاته، ويكمل ما قد بدأ من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفى سنة ١٢٧٠ هـ، .. انظر : [الأعلام للزركلي، ج١٧٦/٧ - معجم المؤلفين، ج١٧٥/١٢ - معجم تفاسير القرآن الكريم، د/ عبد القادر زمامة وآخرون، ص١٨٢]

(٥) روح المعاني، جـ١٤١/٧ .

وإن كان آخرون قد ذهبوا إلى أن المراد بذكر الله هنا مطلق الذكر، أي ذكر العبد ربه بالتسبيح والتحميد والتهليل وقراءة القرآن....إلخ[١]، فوجه الاستدلال بالآية هنا قائم، إذ تلاوة القرآن داخلة بلا شك في هذا العموم، فهي من الأذكار التي بها تتحقق الطمأنينة والأمن النفسي بل هي في مقدمتها، قال صاحب الكشاف:(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) أي بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته، أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته، أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها[٢] .

والعدول إلى صيغة المضارع:في قوله تعالى:(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ) وعدم عطف الماضي على الماضي- فلم يقل واطمأنت قلوبهم- لسر من الأسرار يدق إلا على العارفين بأسرار هذه اللغة. وذلك لإفادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد المنزل من الذكر[٣].

- **قوله سبحانه:(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)[الزمر:٢٣]، أي تسكن نفوسهم وتطمئن قلوبهم وتلين عند تلاوته، وذلك إذا ذكرت آيات الرحمة وما وعد الله من الجنة والثواب، والتعدية بـ (إلى) لتضمين معنى السكون والاطمئنان، كأنه قال تميل أو تسكن أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله[٤] .**

---

(١) اختلف في المراد بذكر الله في الآية فقيل هو مطلق الذكر، أي ذكر العبد ربه بالتسبيح والحمد والتهليل والتكبير، وقراءة القرآن، وقيل المراد بالذكر هنا القرآن الكريم خاصة، [انظر : مداج السالكين، جـ٢/٤٨٠ – تفسير ابن كثير، جـ٤/ ٤٥٥]

(٢) الكشاف، جـ٢/ ٥٢٨

(٣) روح المعاني للآلوسي، جـ٧/ ١٤١ – تفسير أبي السعود، جـ٥/٢٠ –تفسير القاسمي، جـ٦/ ٢٨٢ الجدول في إعراب القرآن، محمود عبد الرحيم صافي، جـ١٣/١٢٦ .

(٤) معاني القرآن للزجاج، جـ٤/ ٣٥٢ – تفسير السمرقندي، جـ٣/ ١٨٣ – تفسير القرآن لابن أبي أبي زَمَنِين، جـ٤/ ١١٠ - الوسيط للواحدي، جـ٣/ ٥٧٨ - تفسير القرطبي، جـ١٥/ ٢٥٠ -=

-قوله عز وجل :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)[سورة يونس: ٥٧]وقوله عز وجل: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) [الْإِسْرَاءِ:٨٢]، وقوله تعالى:(قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ)[فصلت:٤٤]، فكل هذه الآيات تقرر صراحة أن هذا الكتاب المبارك، شفاء لما في الصدور من علل وأوجاع وحيرة وقلق واضطراب، فهو يصل القلب بالله فيسكن ويهدأ ويطمئن(١)، قال القرطبي(٢) :أَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ الْقُرْآنَ هُدًى وَشِفَاءٌ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ وَالْأَوْجَاعِ(٣)، وقال ابن القيم : فَلَمْ يُنْزِلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ وَلَا أَنْفَعَ وَلَا أَعْظَمَ وَلَا أَشْجَعَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ(٤).

- **ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أنه قال:إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَةِ اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ وَهُوَ النُّورُ الْبَيِّنُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ**

=النسفي، جـ٣/ ١٧٧ - تفسير البيضاوي، جـ٥/ ٤١ – تفسير الماوردي، جـ٥/١٢٣- فتح القدير، جـ٤/ ٥٢٧ – التفسير الوسيط للدكتور طنطاوي، جـ١٢/ ٢١٥ .

(١) ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، د بلقاسم محمد الغالي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية، العدد الأول، المجلد الرابع، صـ١٥ .

(٢) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات وبالخلاف في الفقه، وبعلوم الحديث والرجال، قديم السماع كبير الشيوخ، يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة (٣٦٨)، وتوفي بشاطبة٤٦٣ هـ ..انظر : [بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي، صـ٤٨٩ - الأعلام للزركلى، جـ٨/٢٤٠ - مقدمة أسد الغابة، جـ١/٦ - توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم لأبي بكر بن مجاهد القيسي، جـ٢/٦٥] .

(٣) تفسير القرطبي، جـ١٥/٣٦٩

(٤) الجواب الكافي، صـ٨ .

تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ(١)

- **ما جاء عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ** (٢).
- **ما أَخْرَجَه الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى وجعا فقَالَ(صلى الله عليه وسلم): "عَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ"**(٣).
- **ما أخرجه ابن ماجه والبيهقي عن على رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):«خَيْرُ الدَّوَاءِ الْقُرْآنُ»"**(٤).
- **كذلك ما أخرجه ابن ماجه والبيهقي عن ابن مسعود قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ، وَالْقُرْآنِ**(٥)
- **ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)**

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، باب في التمسك بالقرآن، جـ١٢٥/٦ح٣٠٠٠٨ – سنن الدارمي، باب فضل من قرآ القرآن، جـ٢٠٨٩/٤ح٣٣٥٨– سنن البيهقي، باب تعظيم القرآن، جـ٣٣٣/٣ح١٧٨٦ - – صححه الحاكم في المستدرك، باب أخبار في فضائل القرآن جملة، جـ٧٤١/١ح٢٠٤٠ – وقال الألباني : إسناده لا بأس به في المتابعات، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير الهجري، واسمه إبراهيم بن مسلم [السلسلة الصحيحة، جـ٢٦٥/٢].

(٢) صحيح مسلم، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، جـ٢٠٧٤/٤ .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي، جـ١٧١/٤ح٢٣٤٤ – كنز العمال، باب في فضائل تلاوة القرآن، جـ٥٤٩/١ح ٢٤٥٨

(٤) سنن ابن ماجه، باب الاستشفاء بالقرآن، جـ١١٥٨/٢ح٣٥٠١ – السنن الكبرى للبيهقي، باب ادوية النبي صلى الله عليه وسلم، جـ٥٨٢/٩ح٣٥٠١ – ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، جـ٩٣/٧ح ٣٠٩٣

(٥) سنن ابن ماجه، باب العسل، جـ١١٤٨/٢ح٣٤٥٢ – السنن الكبرى للبيهقي، باب ادوية النبي صلى الله عليه وسلم، جـ٥٧٩/٩ح١٩٥٦٥ –صححه الحاكم في المستدرك، جـ٢٢٢/٤ح ٧٤٣٥ .

دخل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها فقال:عالجيها بكتاب الله[١].

- **ما أورده ابن المبارك في الزهد، وأبن أبي شيبة في مصنفه، والدارمي في سننه، وغيرهم عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قوله: إن هذا القرآن مأدبة الله، فمن دخل فيه فهو آمن[٢].**

وفي بيان فضل تلاوة القرآن وأثرها في طمأنة القلوب وشفاءها من كل ما ينتابها من الحيرة والقلق والاضطراب، يقول ابن الجوزي[٣]:تلاوَةُ الْقُرْآنِ تَعْمَلُ فِي أَمْرَاضِ الْفُؤَادِ مَا يَعْمَلُهُ الْعَسَلُ فِي عِلَلِ الأَجْسَادِ، مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ لأَمْرَاضِ الْقُلُوبِ شَافِيَةٌ ، وَأَدِلَّةُ الْقُرْآنِ لِطَلَبِ الْهُدَى كافية[٤] ، وقال ابن تيمية:فَإِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ تُورِثُ الْقَلْبَ الْإِيمَانَ الْعَظِيمَ وَتَزِيدُهُ يَقِينًا وَطُمَأْنِينَةً وَشِفَاءً[٥]، وقال أحدهم : ما رأيت شيئا يغذي العقل والروح، ويحفظ الجسم، ويضمن السعادة أكثر من إدامة النظر في كتاب الله تعالى[٦]

٢– <u>الاستغفار:</u> فقد وعد الله المستغفرين بالأمن وطيب النفس وسعة الرزق، فقال سبحانه:(وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ..)[سُورَةُ هُودٍ: ٣]، قال غير واحد من المفسرين معناه : يُعَيِّشْكُمْ في

---

(١) صحيح ابن حبان، جـ١٣/٤٦٤ح ٦٠٩٨ – موارد الظمآن، صـ٣٤٤ح٤٢٠ – صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ٤/٥٦٥ح ١٩٣١ .

(٢) الزهد، باب ما جاء في ذم التنعم بالدنيا، جـ١/٢٧٢ح٧٨٧ – مصنف ابن أبي شيبة، باب في التمسك بالقرآن، جـ٦/١٢٦ح٣٠٠١٢- سنن الدارمي، باب فضل من قرأ القرآن، جـ٤/٢٠٩٣ح٣٣٦٥ - المعجم الكبير للطبراني، جـ٩/٣٤ح٨٣١٦ .

(٣) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ببغداد سنة ٥١٠هـ ووفاته بها سنة ٥٩٧هـ، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف ..انظر [سير أعلام النبلاء، جـ١٥/٤٥٥- الأعلام للز ركلي، جـ٣/٣١٦ –طبقات السيوطي، صـ٤٨٠ – طبقات النسابين، صـ١١٩]

(٤) التبصرة لابن الجوزي، صـ٧٩ .

(٥) مجموع الفتاوى، ٢٨٣/٧

(٦) مجموع الفتاوى، ٢٨٣/٧

أمْنٍ وطيب نفس وَسَعَةٍ ودعة[١]، قال أبو السعود[٢]: والمعنى يعيشكم عَيشاً مرضياً لا يفوتكم فيه شيءٌ مما تشتهون ولا ينغصُه شيءٌ من المكدرات[٣]

وحكى القرآن الكريم قول هود عليه السلام لقومه:(وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) [هود:٥٢]، قال ابن كثير أَمَرَهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ الَّذِي فِيهِ تَكْفِيرُ الذُّنُوبِ السَّالِفَةِ، ، وَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَحَفِظَ عَلَيْهِ شَأْنَهُ وَقُوَّتَهُ[٤]

ووردت عن النبى (صلى الله عليه وسلم) جملة أحاديث تؤكد أثر الاستغفار في طمأنة القلوب وحصول السكينة وذهاب الضيق والهم والغم، من ذلك قوله: مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ [٥] ومنها ما رواه أبوهُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):مَنْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ نِعْمَةً فَلْيُكْثِرْ مِنَ الْحَمْدِ لِلَّهِ، وَمَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ[٦]

---

(١) هكذا علمتني الحياة، مصطفى السباعي، صـ٨٤

(٢) محمد بن محمد بن مصطفى العمادى، المولى، أبو السعود، مفسر، وشاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد فى ٨٩٨هـ، بقرية قريبة من القسطنطينية، ، درس ودرس فى بلاد متعددة، وقلد القضاء فى بروسة فى القسطنطينية، كان حاضر الذهن سريع البديهة، توفى بدينة القسطنطينية عام ٩٨٢هـ .... أنظر : [شذرات الذهب، جـ٣٩٨/٨ ـ التفسير والمفسرون، جـ٣٥٣/١ ـ الأعلام، جـ٥٩/٧ ـ معجم المؤلفين، جـ٣٠١/١١، ٣٠٢] .

(٣) تفسير أبي السعود، جـ١٨٤/٤

(٤) تفسير ابن كثير، جـ٣٢٩/٤ .

(٥) سنن أبي داود، باب في الاستغفار، جـ٨٥/٢ح ١٥١٨ – سنن ابن ماجة، جـ١٢٥٤/٢ح ٣٨١٩ .

(٦) المعجم الأوسط، جـ٣٣٣/٦ح ٦٥٥٥ ـ الدعاء للطبراني، باب ما جاء في الاستغفار، صـ٥٠٧ح ١٧٩٣.

وذكر ابن القيم في كتابه (الوابل الصيب) في الفصل الثامن عشر، الاستغفار ضمن الأذكار الجالبة للرزق، الدافعة للضيق والهم والأذى[1]، وفي كتابه الطب النبوي يقول:وَأَمَّا تَأْثِيرُ الِاسْتِغْفَارِ فِي دَفْعِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالضِّيقِ، فَمِمَا اشْتَرَكَ فِي الْعِلْمِ بِهِ أَهْلُ الْمِلَلِ وَعُقَلَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ أَنَّ الْمَعَاصِيَ وَالْفَسَادَ تُوجِبُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ، وَالْخَوْفَ وَالْحُزْنَ، وَضِيقَ الصَّدْرِ، وَأَمْرَاضَ الْقَلْبِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَهَا إِذَا قَصَوْا مِنْهَا أَوْطَارَهُمْ، وَسَئِمَتْهَا نُفُوسُهُمْ، ارْتَكَبُوهَا دَفْعًا لِمَا يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الضِّيقِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَإِذَا كَانَ هَذَا تَأْثِيرَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ فِي الْقُلُوبِ، فَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ "[2]

٣- <u>التسبيح والتهليل والحوقلة</u>:لقد كان التسبيح من الأسباب التي بها نجى الله عبده يونس عليه من تلك الظلمات التي أحاطته، ومن كربه الذي لا مثيل له، فقال تعالى:(فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ *لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [الصَّافَّاتِ: ١٤٣، ١٤٤]

ولما ضاق صدر النبي(صلى الله عليه وسلم) بإيذاء المشركين وافتراءاتهم، أمره الله تعالى بفعل أربعة أشياء، بها يزول ضيق صدره، وكان التسبيح أولها، فقال تعالى:(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ *وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[الحجر:٩٧-٩٩] أي:فافزَع لكَشْفِ مَا نَابَك مِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ والحرَج إلى التَّسْبِيحَ الْمُتَلَبِّسَ بِالْحَمْدِ ..(وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) أَيِ: الْمُصَلِّينَ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَشَفَ اللَّهُ هَمَّكَ وَأَذْهَبَ غَمَّكَ وَشَرَحَ صَدْرَكَ [3]، قال الرازي:اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ قَوْمَهُ يُسَفِّهُونَ عَلَيْهِ وَلَا سيما أولئك المقتسمون وأولئك المستهزؤون قَالَ لَهُ: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ لِأَنَّ الْجِبِلَّةَ الْبَشَرِيَّةَ وَالْمِزَاجَ الْإِنْسَانِيَّ يَقْتَضِي ذَلِكَ فَعِنْدَ هَذَا قَالَ لَهُ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ....، فَأَمَرَهُ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالسُّجُودِ وَالْعِبَادَةِ لأن الْإِقْبَالُ عَلَى هَذِهِ الطَّاعَاتِ سَبَب لِزَوَالِ ضِيقِ الْقَلْبِ وَالْحُزْنِ[4] .

كذلك وعد الله تعالى أهل التسبيح أن يملأ نفوسهم رضا، فقال تعالى في كتابه (فَاصْبِرْعَلى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها

(١) الوابل الصيب، صـ١١٣ .
(٢) الطب النبوي، صـ١٥٥ .
(٣) تفسير أبي السعود، جـ٥/٩٣ .
(٤) تفسير الرازي، جـ١٩/١٦٥، ١٦٦ .

وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضى)[طه:١٣٠]، أي:اصبر على ما يقولون والزم التسبيح في هذه الأوقات الفاضلة، قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أطراف النهار، أوله وآخره، وأوقات الليل وساعاته، فإن فعلت ذلك، ترضى نفسك و يطمئن قلبك، وتقر عينك(١)، قال صاحب الظلال في تفسير الآية: فاصبر على ما يقولون من كفر واستهزاء وجحود وإعراض، ولا يضق صدرك بهم واتجه إلى ربك. سبح بحمده قبل طلوع الشمس وقبل غروبها. في هدأة الصبح وهو يتنفس ويتفتح بالحياة وفي هدأة الغروب والشمس تودع، والكون يغمض أجفانه، وسبح بحمده فترات من الليل والنهار..كن موصولا بالله على مدار اليوم.. (لَعَلَّكَ تَرْضى) ..إن التسبيح بالله اتصال. والنفس التي تتصل تطمئن وترضى. ترضى وهي في ذلك الجوار الرضي وتطمئن وهي في ذلك الحمى الآمن، فالرضى ثمرة التسبيح والعبادة(٢)

كذلك فإن التهليل – وهو تريد كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) – له بالغ الأثر في ملء القلوب بالأمن والسكينة والطمأنينة .

فتلك الكلمة المباركة هي التي صدر بها يونس عليه السلام دعاءه ومناجاته وهو في بطن الحوت .. قال سبحانه:(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)[الأنبياء، ٨٨] فكانت من أسباب نجاته من همه وكربه.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ(صلى الله عليه وسلم)إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الْمَالَ مَنْ أَحَبَّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، فَمَنْ ضَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ،

(١) تفسير السعدي، صـ ٥١٦ – فتح القدير للشوكاني، جـ -الكشاف ١، جـ٢/ ٩٧- تفسير البيضاوي، جـ٤/ ٤٣ – تفسير النسفي، جـ٢/ ٣٩٠ -

(٢) سنن الترمذي، جـ٤/٦٣٦ح ٢٤٥٧ – مسند أحمد، جـ٣٥/١٦٧ح ٢١٢٤٣ - صححه الحاكم في المستدرك، جـ٢/٤٥٧ح ٣٥٧٨ ووافقه الذهبي .

وَخَافَ الْعَدُوَّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، وَهَابَ اللَّيْلَ أَنْ يُكَابِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ(١)

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ(٢)**، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ:مَنْ قَالَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ» وَهُوَ ثَانِيَ رِجْلِهِ – قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا عِدْلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُنَّ مَسْلَحَةً وَحَرَسًا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَحِرْزًا مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ..** (٣)

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) كان يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ:(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السموات وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)(٤)**، قال صاحب منار القاري:فهذا ذكر نبوي مأثور لعلاج الإنسان من أزمته النفسية، وكشف همومه القلبية التي يعانيها، ثم هو بالاضافة إلى ذلك دعاء مستجاب**

---

(١) الأدب المفرد للبخاري، جـ١/١٠٤ح ٢٧٥ – الزهد لأبي داود، جـ١/١٤٩ح ١٤٧ – حلية الأولياء، جـ٥/ ٣٥ – صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، جـ١/ ١١٩، والسلسلة الصحصحة، جـ٦/٤٨٢ح ٢٧١٤ .

(٢) عبد الرَّحْمَن بن غنم بن سعد الْأَشْعَرِيّ مُخْتَلف فِي صحبته، وَذكره الْعجلِيّ فِي كبار ثِقَات التَّابِعين، مَاتَ سنة ٧٨هـ انظر [الطبقات الكبرى، جـ٧/ ٣٠٧ – تاريخ الثقات للعجلي، جـ١/ ٢٩٧ – الثقات لابن حبان، جـ٥/ ٧٨]

(٣) مسند أحمد، جـ٢٩/ ٥١٢ - مصنف عبد الرزاق، بَابُ التَّسْبِيحِ وَالْقَوْلِ وَرَاءَ الصَّلَاةِ، جـ٢/٢٣٤ح ٣١٩٢ – أورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، جـ١/١١٤ح ٤٧٧، وقال حسن لغيره .

(٤) صحيح البخاري، بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الكَرْبِ، جـ٨/٧٥ح ٦٣٤٦ - صحيح مسلم، باب دعاء الكرب، جـ٤/٢٠٩٢ح٢٧٣٠ – مسند أحمد، جـ٤/٢٣٤ .

(٤) سنن أبي داود، باب في الاستعاذة، جـ٢/٩٣ح ١٥٥٥ – الدعوات الكبير للبيهقي، جـ١/٤١٤ح ٣٠٥ .

لقضاء الحاجة التي تهم ذلك الإنسان، وتحقيقها له إن كانت خيراً، أو تعويضه بأحسن منها[١] .

ونحو ذلك أو قريب منه ما جاء عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ – أَوْ فِي الْكَرْبِ –؟ اللَّهُ أَللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا[٢] .

وأما الحوقلة وهي قول : لا حول ولا قوة إلا بالله [٣] فقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):أنه قَال:مَنْ قَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، كَانَت له دَوَاءً مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ دَاءً أَيْسَرُهَا الْهَمُّ[٤]

٥- <u>الصلاة على النبي</u>: فهي ذات تأثير كبير في ذهاب الهم وتحصيل اطمئنان القلب وسكينة النفس، ودليل ذلك ما جاء عن أبي بن كعب قال:يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ:مَا شِئْتَ، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ:مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ:«مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ:قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ:مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ:أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ:إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُك[٥]وفي رواية الأمام أحمد:إِذَنْ يَكْفِيَكَ اللهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وأخرتك[٦]

ولما كان للذكر كل هذا الأثر في تحقيق الطمأنينة والسكينة، فضلا عما يترتب عليه من ثواب وأجر عظيم، أمر الله تعالى عباده – في غير

---

(١) منار القاري شرح صحيح البخاري، جـ٥/ ٢١٠ .
(٢) سنن أبي داود، باب في الاستغفار، جـ٢/٨٧ح ١٥٢٥ – السنن الصغرى للنسائي، جـ٣/٧٧ح ١٣٥٢ – صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، جـ٥/٢٢.
(٣) شرح النووي على مسلم، جـ٤/ ٨٧ – عمدة القاري، جـ٥/ ١٢١ .
(٤) مسند اسحق بن راهويه، جـ١/٤٦٤ح ٥٤١ - المعجم الأوسط للطبراني، جـ٥/١٨٧ح ٥٠٢٨ –صححه الحاكم في المستدرك، جـ١/٧٢٧ح ١٩٩٠ .
(٥) جامع الترمذي، جـ٤/٦٣٦ح ٢٤٥٧ – مصنف ابن أبي شيبة، جـ٢/٢٥٣ح ٨٧٠٦ – صححه الإمام الألباني، في صحيح الترغيب والترهيب، جـ٢/١٣٧ح١٦٧٠ .
(٦) مسند أحمد، جـ٢٥/١٦٦ح٢١٢٤٢

موضع من كتابه – بالإكثار منه ليتأتي لهم ما يرجون من أمن، وما يصبون إليه من سكينة، وما يبتغون من الأجر والمثوبة، من ذلك قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)[الأحزاب : ٤١]وقوله سبحانه:(فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الجمعة : ١٠] .

وتوعد سبحانه المعرضين عن ذكره بالمعيشة الضنك وسوء العاقبة في الآخرة، فقال تعالى:(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)[طه :١٢٤]، والضنك:هو الشقاء والشدة والقلق وضيق الصدر، فالمعرض عن ذكر ربه له في الدنيا معيشة ضنكا، أي معيشة ملؤها الشقاء والحيرة والقلق وضيق الصدر والهموم والغموم، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، ولا لذة لعيشه، بل صدره ضيّق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن ما شاء(١)

قال ابن القيم:وَفُسِّرَتِ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْبَرْزَخِ، فَإِنَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ، فَلَهُ مِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ، وَنَكَدِ الْعَيْشِ، وَكَثْرَةِ الْخَوْفِ، وَشِدَّةِ الْحِرْصِ وَالتَّعَبِ عَلَى الدُّنْيَا، وَالتَّحَسُّرِ عَلَى فَوَاتِهَا قَبْلَ حُصُولِهَا وَبَعْدَ حُصُولِهَا، وَالْآلَامِ الَّتِي فِي خِلَالِ ذَلِكَ مَا لَا يَشْعُرُ بِهِ الْقَلْبُ، لِسَكْرَتِهِ، وَانْغِمَاسِهِ فِي السُّكْرِ، فَهُوَ لَا يَصْحُو سَاعَةً إِلَّا أَحَسَّ وَشَعَرَ بِهَذَا الْأَلَمِ، فَبَادَرَ إِلَى إِزَالَتِهِ بِسُكْرٍ ثَانٍ، فَهُوَ هَكَذَا مُدَّةَ حَيَّاتِهِ، وَأَيُّ عِيشَةٍ أَضْيَقُ مِنْ هَذِهِ لَوْ كَانَ لِلْقَلْبِ شُعُورٌ؟(٢)، وقال في(الجواب الكافي):فَإِنَّهُ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٢٢/٥ - جامع البيان، جـ١٨/ ٣٩١ – معاني القرآن للزجاج، جـ٣/ ٣٧٨ – التفسير الوسيط للواحدي، جـ٣/ ٢٢٥ – البحر المحيط، جـ٧/ ٣٧٣ - تفسير آيات من القرآن الكريم، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، صـ٢٦٧ – تفسير المراغي، جـ١٦/١٦١ - تفسير القرآن العظيم ٣٢٢/٥ - تفسير المراغي، جـ١٦/١٦١ – الظلال، جـ٤/ ٢٣٥٥ – تفسير السعدي، صـ٥١٥ .

(٢) مدراج السالكين، جـ١/ ٤٢٢

سُبْحَانَهُ رَتَّبَ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنْ ذِكْرِهِ، فَالْمُعْرِضُ عَنْهُ لَهُ مِنْ ضَنْكِ الْمَعِيشَةِ بِحَسَبِ إِعْرَاضِهِ، وَإِنْ تَنَعَّمَ فِي الدُّنْيَا بِأَصْنَافِ النِّعَمِ، فَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْوَحْشَةِ وَالذُّلِّ وَالْحَسَرَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ الْقُلُوبَ، وَالْأَمَانِي الْبَاطِلَةِ وَالْعَذَابِ الْحَاضِرِ مَا فِيهِ، وَإِنَّمَا يُوَارِيهِ عَنْهُ سَكَرَاتُ الشَّهَوَاتِ وَالْعِشْقِ وَحُبِّ الدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ، (١) .

رابعاً:التوكل على الله: كثيرون في معترك الحياة الذين تسيطر عليهم مشاعر القلق والضيق والاضطراب، ولا يرون الحياة إلا رحلة تعب ومكابدة ومعاناة، ويملأ نفوسهم اليأس، لدرجة أنهم يتمنون الموت للخلاص من الأرق والقلق والهم الذي يسكنون فيه .

ولعل من أسباب ذلك أنهم يواجهون صعوبات ومشاق وهموم تلك الحياة بمفردهم، دون استعانة بالله تعالى وتوكل عليه، ومن سار وحده في الطريق لا يستغربن الوحشة، وشتات الفكر، وضيق الصدر.

يقول صاحب الظلال:ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه فريداً وحيداً شارداً في فلاة، عليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هاد ولا معين، وإن هناك للحظات في الحياة لا يصمد لها بشر إلا أن يكون مرتكناً إلى الله(٢)

إن التوكل على الله باب واسع للخروج من دائرة القلق والاضطراب والولوج إلى واحة السكينة والطمأنينة وصلاح البال وسرورالخاطر، والمتوكل على الله قوي القلب لا تؤثر فيه الأوهام ولا تزعجه الحوادث، لعلمه أن الله قد تكفل لمن توكل عليه بالكفاية التامة؛ فيطمئن لوعده (٣)

والآيات في بيان أثر التوكل على الله في حصول الطمأنينة والأمن والسكينة للنفوس والقلوب كثيرة .. منها :

---

(١) الجواب الكافي، صـ١٢٠ .

(٢) الظلال، جـ٤/ ٢٠٦٠ .

(٣) ينابيع السعادة، هناء المخلف، مجلة البيان، العدد١٣٧سنة ١٤٢٠ ه، صـ١٤٠ .

قوله تعالى (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)[الطلاق :٥]، قال القرطبي وغيره : ة أَيْ مَنْ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ كَفَاهُ مَا أَهَمَّهُ في الدنيا والآخرة [١]، وقال المراغي:أي ومن يكل أمره إلى الله ويفوض إليه الخلاص منه، كفاه ما أهمه فى دنياه ودينه[٢] وقال الربيع بن خُثيم[٣]:إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه، وتصديقُ ذلك في كتاب الله قوله تعالى:(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)[الطلاق:٥] [٤]، ويقول ابن القيم:قَوله تعالى:(وَمن يتوكل على الله فَهُوَ حَسبه) أي كافِيه، ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوِّه، ولا يضره إلا بأذًى لا بد منه – كالحر والبرد، والجوع والعطش – وأما أن يضرَّه بما يبلغ به مراده، فلا يكون أبدًا، وهذا أعظم جزاءً أن جعل الله تعالى نفسه جزاء المتوكل عليه وكفايته، فلو توكَّل العبد على الله حقَّ توكُّله، وكادته السموات والأرض ومن فيهنَّ، لجعَل الله له مخرجًا، وكفاه رزقه ونصره [٥].

ومنها كذلك ما جاء في سورة يونس عن نوح عليه السلام، فقد كان توكله على الله سببا لثباته وطمأنينة قلبه وعدم خوفه في مواجهة قومه، قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ * فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ

(١) تفسير القرطبي، جـ١٨/١٦١- اللباب لابن عادل، جـ١٩/١٥٦ - مدارج السالكين، جـ١/ ٤٦٨ – فتح القدير، جـ٥/ ٢٩١ – التفسير المنير للزحيلي، جـ٢٨/ ٢٧٧ .

(٢) بدائع الفوائد، جـ٢/٢٣٩، ٢٤٠ .

(٣) الربيع بن خُثَيم بن عائذ بن عبد الله الثوري أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله أحبك، مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما [تهذيب الكمال، جـ٩/ ٧٠ - سير أعلام النبلاء، جـ٤/ ٢٥٨ – الثقات للعجلي، جـ١/ ١٥٤]

(٤) بدائع الفوائد، جـ٢/٢٣٩، ٢٤٠ .

(٥) تفسير القرطبي، جـ١٨/١٦٢ - .

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)أي واقرأ عليهم يا محمد خبر نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ، يا قَوْمِ إِنْ كانَ عظم وثقل وشق عليكم إقامتي بين أظهركم ولبثي فيكم وَتَذْكِيرِي ووعظي إياكم بِآياتِ اللَّهِ بالدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَوُجُوبِ عِبَادَتِهِ وَشُكْرِهِ، فعزمتم على قتلي أو طردي فإني قد توكلت على الله فهو ناصري، فَأَحْكِمُوا أَمْرَكُمْ واعْزِمُوا عَلَيْهِ، وَادْعُوا آلِهَتَكُمْ فَاسْتَعِينُوا بِهَا لتجتمع معكم على ما أردتموه مني ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ واضحاً في نفوسكم، وما تعتزمونه مقرراً لا لبس فيه ولا غموض، ولا تردد فيه ولا رجعة، ثم امضوا نحوي وافعلوا ما عزمتم عليه فإنكم لن تصلوا إلى بشيء، وهذا إخبار من الله تعالى عن نبيه نوح (عليه السلام) أنه كان واثقا من نصر الله غير خائف وغير مبالٍ بكيد قومه، بفضل توكله عليه سبحانه(١)

وقال عبد الكريم الخطيب قد قدم التوكل على الله قبل أن يدعوهم إلى لقائه، ومواجهته بما يجتمع عليه رأيهم فيه، وذلك ليتحصّن بهذه الدرع الحصينة، التي لا تنال منها قوى البشر- قبل أن يلقاهم بهذا التحدي.. «فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ.. فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكاءَكُمْ»فهو يلقاهم وقد توكل على الله، وأسلم أمره إليه، وفى هذا ما يقوى عزمه، ويثّبت قدمه عند اللقاء، فلا يجزع، ولا يرهب(٢)

وبمثل هذا الثبات وتلك الطمأنينة واجه هود عليه السلام قومه بفضل توكله على الله تعالى وثقته في مولاه فقال لقومه – كما حكى القرآن – مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ*إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها)[هود:٥٥-٥٦]

-ومن الآيات أيضا قوله تعالى:(فَما آمَنَ لِمُوسى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ

(١) تفسير الثعلبي، جـ٥/ ١٤٢ – الوسيط للواحدي، حـ٢/ ٥٥٥ -تفسير البغوي، جـ٢/ ٤٢٨ – الكشاف، جـ٢/ ٣٥٩ – تفسير الرازي، جـ٢٨٥/١٧ – فتح القدير، جـ٢/ ٥٢٥ – الظلال، جـ١٨١١/٣ .

(٢) التفسير القرآني للقرآن، جـ١٠٥١/٦.

***وَقَالَ مُوسى يا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فقالوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[يونس:٨٣-٨٥] لقد أسرف فرعون في محاربة دعوة موسى عليه السلام، واضطهاد كل من آمن به، وكان لذلك بالغ الأثر في صد الكثيرين عن الإيمان برسالة موسى، فلم يؤمن به إلا قلة من فتيان وشباب بني إسرائيل، وهم على خوف من فتنة فرعون لهم وبطشه بهم إن علم أمرهم، وخوف كذلك من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم، فلما رأى موسى عليه السلام ما بهم من خوف أرشدهم وندبهم إلى التوكل على الله فقال عليه السلام:(يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) أَيْ: فَإِنَّ اللَّهَ كَافٍ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وفيه دليل على أهمية التوكل على الله في حصول السكينة والطمأنينة وزوال الخوف والقلق والاضطراب، وقد امْتَثَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ، فَقَالُوا كما حكى القرآن: (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** [1]

- **ومنها كذلك قوله عز وجل :(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) [آل عمران :١٧٣ -١٧٣]وتقص علينا هذه الآيات المباركات جانبا من نبأ رسولنا (صلى الله عليه وسلم) وصحبه الكرام، وذلك أنهم في اليوم التالي لغزوة أحد علموا أن أبا سفيان ومن معه قد هموا بالرجوع إليهم ليفرغوا منهم، فأراد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوّة، فخرج وأصحابه في طلب القوم، رغم ما بهم من آلام وجراحات، فلما علم المشركون ملأ الرعب**

(١) انظر : تفسيرابن كثير، جـ٢٨٨/٤ – البحر المحيط، جـ٩٥/٦ – تفسير الثعالبي، جـ٣/ ٢٦١ – تفسير الرازي، جـ٢٨٩/١٧ – تفسير البيضاوي، جـ٣/ ١٢١ – تفسير النسفي، جـ٢/ ٣٦ – تفسيرابن جزي، صـ٣٦١ – تفسير النيسابوري، جـ٦٠٥/٣ تفسير القاسمي، جـ٥٤/٦ ، الوسيط للدكتور طنطاوي، جـ١١٩/٧) - تفسير الخازن، جـ٤٥٧/٢ - الفواتح الإلهية، الشيخ علوان، صـ٣٤١ – السراج المنير، جـ٣٣/٢ – تفسير أبي السعود، جـ١٧٠/٤ .

والخوف قلوبهم، فجعلوا لبعض السائرين إلى المدينة جعلا على أن يقولوا – كذبا – أن قريشا قد جمعت لهم الجموع، وحشدت لهم الحشود، وذلك لبث الخوف في قلوب المؤمنين ونفوسهم، وإثناء لهم عن طلبهم، فَمَا اكْتَرَثُوا لِذَلِكَ، بَلْ تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَاسْتَعَانُوا بِهِ(وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) وأكملوا مسيرهم في طلب القوم حتى بلغوا حمراء الأسد، إلا أن الجيش المكي قد حمله رعبه على الفرار ومواصلة الانسحاب(١)

فانظر – حفظك الله – كيف كان توكلهم على الله مانعا لنيل أسباب الخوف منهم، وتسلل الخوف إليهم، فكان جزاء توكلهم على الله أنهم (انْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ)أي لم يمسسهم البلاء، ولم يصبهم النصب أوالعناء(٢)، قال ابن كثير(٣): لَمَّا تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ كَفَاهُمْ مَا أهمَّهُمْ (٤).

وفي السنة النبوية المطهرة أرشد النبي (صلى الله عليه وسلم) صحابته وسائر أمته إلى مواجهة أسباب الخوف والفزع والقلق بالتوكل على الله، فبه تحصل الطمأنينة وتتحقق السكينة، ويذهب الخوف والفزع، وينجى الله به من الشدائد والكربات، شاهد ذلك ما صح عن أَبِي سَعِيدٍ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ

(١) تفسير البغوي، جـ١/٥٣٩ – تفسير الزمخشري، جـ١/٤٤٠ - جامع البيان، جـ٧/ ٤١٢ – تفسير ابن جزي، جـ١/١٧١ – تفسير النيسابوري، جـ٢/٣٠٩ – تفسير أبي السعود، جـ٢/١١٣ – فتح القدير للشوكاني، جـ١/٤٦٠ - الهداية لمكي، جـ٢/ ١١٧٨ – تفسير السمعاني، جـ١/ ٣٨٠ - تفسير ابن كثير، جـ٢/ ١٦٩ -

(٢) لطائف الإشارات للقشيري، جـ١/٢٩٨ .

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن ورع القرشى البصروى ثم الدمشقى، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه مفسر، ولد بقرية من أعمال مدينة بصرى سنة ٧٠١ هـ ثم انتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ، ورحل فى طلب العلم، توفى بدمشق، ٧٧٤ هـ ..انظر : [البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكانى، جـ١/١٥٣ - شذرات الذهب، جـ٦/٢٣١ - الأعلام للزركلى، جـ١/٣٢٠]

(٤) تفسير ابن كثير، جـ٢/ ١٧١.

الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فثقل ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ، أَوْ مِنْ بَابِ دَارِهِ، كَانَ مَعَهُ مَلَكَانِ مُوَكَّلَانِ بِهِ، فَإِذَا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ قَالَا: هُدِيتَ، وَإِذَا قَالَ:لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَا: وُقِيتَ، وَإِذَا قَالَ:تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ قَالَا: كُفِيتَ (٢)

وإذا كان التطير والتشاؤم من الأمراض القلبية التي تورث الهم والضيق والخوف من الغد، فإن التوكل على الله هو الدواء الشافي لهذا الداء، فبه يُذهب الله التطير والتشاؤم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قال:قال رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، ثم قال ابن مسعود:(وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ(٣)**، أي وما منا إلا من يعتريه التطير، ولكن الله يذهبه بالتوكل، ففيه حذف اختصار للكلام واعتمادا على فهم السامع**(٤)**

وعن أبي فَرْوَةَ الزَّاهِد**(٥) قالُ: قَالَ لِي رَجُلٌ فِي الْمَنَامِ:أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمُتَوَكِّلِينَ هُمُ الْمُسْتَرِيحُونَ؟ قُلْتُ: رَحِمَكَ اللهُ مِمَّا ذَا؟ قَالَ: مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَعُسْرِ**

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الصور، جـ٤/٦٢٠ح ٢٤٣١ – مسند أحمد، جـ ٣٢/٩١ - جـ٢/٦٣٦ح ١٧٧٨ – صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، جـ٣/٢٢٢ح ٣٥٦٩.

(٢) سنن ابن ماجة، باب ما يقول الرجل إذا خرج من بيته، جـ٢/١٢٧٨ح٣٨٨٦ –صحيح ابن حبان، جـ٢/١٠٥ح٨٢٣- الدعاء للطبراني، صـ١٤٦ح٤٠٩ – ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، جـ٦/٦٨ح ٢٥٥٤.

(٣) سنن أبي داود، باب في الطيرة، جـ٤/١٧ح ٣٩١٠ – جامع الترمذي، باب ما جاء في الطيرة، جـ٤/١٦٠ح١٦١٤ – صححه الحاكم في المستدرك، جـ١/٦٤ح٤٣ - وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ١/٧٩١ح٤٢٨ .

(٤) انظر : معالم السنن، جـ٤/٢٣٢ .

(٥) عدي بن عدي بن عميرة الكندي أبو فروة، التابعي الناسك الفقيه الثقة، سيد أهل الجزيرة، كانت لأبيه صحبة، وهو صاحب عمر بن عبد العزيز، ولاه عمر الجزيرة، وولي أرمينية وأذربيجان لسليمان، مات سنة ١٢٠هـ [الطبقات لابن سعد، جـ٧/٣٣٣- الجرح والتعديل =

الْحِسَابِ غَدًا، قَالَ أَبُو فَرْوَةَ: فَوَاللهِ مَا اكْتَرَثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِبْطَاءِ رِزْقٍ، وَلَا سُرْعَتِهِ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ أَجْمَعَ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ مَا هَمَّهُ وَسَاقَ الرِّزْقَ وَالْخَيْرَ إِلَيْهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) [الطلاق: ٣] (١)

يقول أحد العباد :إنك إن فوضت أمرك إلى الله، اجتمع لك في ذلك أمران، قلة الاكتراث بما قد ضمن لك، وراحة البدن من مطلب ذلك، فأي حال أكبر من حال المطيع له، والمتوكل عليه كفاه الله بتوكله عليه الهم، وأعقبه الراحة(٢)

وأخيرا أقول:إن من يعتمد على غير الله يساوره – لا محالة – قدر من القلق والخوف خشية فقدان أو غياب من يعتمد عليه بموت أو غيره، أما الذي يتوكل على الله ويعتمد عليه فإنه بمنأى تماما عن هذا، فقلبه مطمئن واثق لأنه يأوي إلى ركن لا يغيب، ويتوكل على الحي الذي لا يموت، وهذا ما لفت ربنا نظر عباده إليه في كتابه الكريم في قوله تعالى (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ) [الفرقان: ٥٨] فأخبر أنه لا يموت، وأن جميع خلقه يموتون .

خامسا :الدعـــاء:إن أول ما يفعله الطبيب النفسي إعطاء مساحة كافيه لمريضه ليحكى له ما يجده، ويعبر بأريحية عما يعانيه، فهو يدرك أن ذلك يخفف عن مريضه كثيرًا، فالمكروب يحتاج إلى الشكوى، ويستريح إلى البث

من هنا كان الدعاء سببا قويًا من أسباب طمأنينة القلب وإنشراح الصدر، وهدوء النفس، وذهاب الهم والقلق والاضطراب، ففيه يلجأ العبد إلى خير من يسمعه، ليبثه ألمه، ويشكو إليه ما يجده، ويسأله مبتغاه، فيستشعر

=لابن أبي حاتم، جـ٣/٧ ت تهذيب الكمال، جـ٣٥٣/١٩، تهذيب الأسماء واللغات، جـ٣٢٩/١ – الوافي بالوفيات، جـ٣٥٢/١٩]

(١) شعب الإيمان، باب التوكل على الله والتسليم بأمره، جـ٤٦٨/٢ح١٢٤٣ – التوكل لابن أبي الدنيا، صـ٧٣ .

(٢) التوكل لابن أبي الدنيا، صـ٧٣ - تاريخ بغداد، جـ٤٠٤/١٤ .

السكينة، وتسري في أوصاله الطمأنينة، ويمتليء قلبه أملا وثقة في زوال همه وتفريج كربه، كيف لا ؟ والله تعالى بشره بأنه قريب، ووعده سبحانه بإجابة دعائه، فقال تعالى:(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) [البقرة:١٨٦]، وقال سبحانه:(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر :٦٠]، كيف وآيات القرآن تقرر أن الدعاء يُذهب الهم والشقاء، قال تعالى – حكاية عن زكريا – :(وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) [مريم: ٤]، وقال سبحانه – حكاية عن أبراهيم –:(وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا) [مريم: ٤٨]

إن مجرد إفضاء الإنسان بمشكلاته، وهمومه، والتعبير عنها يسبب له راحة نفسية. ويؤدي الى تخفيف قلقه وحزنه، خاصة إذا كان ذلك لمن هو أقدر على حل مشكلته، والله الرحيم بعباده يعرف ذلك من فطرة البشر، فشرع لهم الدعاء، وأمرهم أن يدعوه وأن يبثوه ما تضيق به صدورهم، ليريحوا أعصابهم من العبء المرهق، ولتطمئن قلوبهم إلى أنهم قد عهدوا بأعبائهم إلى من هو أقوى وأقدر، وليستشعروا صلتهم بالجناب الذي لا يضام من يلجأ إليه(١)

وفي كتاب الله تعالى آيات عدة، تبين كيف كان الدعاء مفزع الأنبياء وسبيلهم للخروج مما ينتابهم – بطبيعتهم البشرية – من خوف وهم وكرب، فها هو زكريا عليه السلام قد بلغ من الكبر عتيا، وامرأته عاقر، ولم يرزقه الله ولدا يرث عنه العلم والنبوة ويقوم في بني إسرائيل من بعده بأمر الله ووحيه، ٠فأخذه الهم واعتراه الخوف خشية أن الموالي من بعده لا يحسنون خلافته على أمته، ولا يقومون بدين الله حق القيام، فقد رآهم على غير الجادة في أمور الدين، ففزع إلى ربه يدعوه ويناجيه، وينادية في قرب واتصال، ويكشف له عما يثقل كاهله ويكرب صدره، ويسأله أن يرزقه الولد الذي يرث عنه الْعِلْمِ وَالنُّبُوَّة، ويقوم بالدين بعده، فاستجاب الله دُعاءَهُ، ورزقه يحيى سيدا ونبيا، به

(١) الظلال، جـ٤/٢٣٠٢ - القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، صـ٢٨٨ .

يحيا نسبه، و به يحيا ذكره، وبه يحيا محلّ العبادة والنبوة فى بيته، فذهب همه، وزال خوفه، وقرت عينه (١) .

وتحاصر امرأة العزيز يوسف عليه السلام برغبتها وإصرارها على مرادها، ثم يجتمع إليها في ذلك النسوة اللائي رأينه فأكبرنه، فصرن جماعة بعد أن كانت واحدة، ويوسف يعرف أنه بشر، فاشتد الخطب عليه، وضاق صدره، وامتلأ قلبه خوفا، ونفسه هما، خشية أن يضعف لحظة أمام الإغراء الدائم والكيد المتواصل، ويميل إليهن بطبعه ومقتضى شهوته، فلجأ إلى ربه يشكو إليه حاله ويسأله أن يصرف عنه كيدهن، وهذا فزع منه إلى ألطاف الله، وجرياً على سُنن الأنبياءِ والصالحين فى فزعهم إلى مولاهم لينيلهم الخيرات، ويبعد عنهم الشرور والموبقات، وإظهارهم أن لا طاقة لهم إلا بمعونته سبحانه، فقال مناجيا مولاه:(وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ) [يوسف: ٣٣] أي إِنْ لَمْ تَلْطُفْ بِي فِي اجْتِنَابِ الْمَعْصِيَةِ وَقَعْتُ فِيهَا، وكنت من السفهاء الذين يخضعون لأهوائهم وشهواتهم، فَلَيْسَ لِي مِنْ نَفْسِي قُدْرَةٌ، وَلَا أَمَلِكُ لَهَا ضُرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ(٢)**، قال ابن عاشور: وَجُمْلَةُ (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ) خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّخَوُّفِ وَالتَّوَقُّعِ الْتِجَاءً إِلَى اللَّهِ وَمُلَازَمَةً لِلْأَدَبِ نَحْوَ رَبِّهِ بِالتَّبَرُّؤِ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَالْخَشْيَةِ مِنْ تُقَلُّبِ الْقَلْبِ وَمِنَ الْفِتْنَةِ بِالْمَيْلِ إِلَى اللَّذَّةِ الْحَرَامِ. فَالْخَبَرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الدُّعَاءِ**(٣)**، (فَاسْتَجابَ**

---

(١) تفسير ابن عطية، جـ٥/٤ – تفسير القرطبي، جـ١١/ ٧٨ – فتح القدير، جـ٣/ ٣٨٠ - تفسير المراغي، جـ٣٤/١٦ - تفسير ابن كثير، جـ٢١٢/٥ – تفسير السعدي، صـ ٤٩٠ – الظلال، جـ٤/ ٢٣٠٢ – تفسير السعدي، ٤٨٩ – تفسير الثعلبي، جـ٦/ ٢٠٦، ٢٠٧ – تفسير الوسيط للواحدي، جـ٣/ ١٧٦ –القرطبي، جـ٧٨/١١ - تفسير البيضاوي، جـ٥/٤ – تفسير النسفي، جـ٣٢٦/٢ – لطائف الإشارات، جـ٤٢٠/٢

(٢) الوسيط للواحدي، جـ٢/ ٦١٢ – التفسير الكبير للرازي، جـ١٨/ ٤٥١ - تفسير القرطبي، جـ٩/ ١٨٥ – جامع البيان، جـ١٦/ ٨٩ - تفسير البيضاوي، جـ١٦٣/٣ – تفسير ألي السعود، جـ٤/ ٢٧٤ – تفسير المراغي، جـ٢/ ١٤٢ – الظلال، جـ٤/ ١٩٦٤، ١٩٨٥- تفسير ابن كثير، جـ٤/ ٣٨٦ – الوسيط للدكتور طنكاوي، جـ٧ ٣٥٥

(٣) التحرير والتنوير، جـ٢٦٦/١٢

لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) فعجل الله أجابة دُعاءَهُ، وصرف عنه كيدهن، بأن أدخل اليأس في نفوسهن من الطمع في استجابته لهن، وبأن زاده ثباتا على ثباته، وقوة على قوته، (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لدعائه (الْعَلِيمُ) بما خاف من الإثم [1]

ويعقوب نبي الله (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام) ابتلي بفقد أحب أولاده إليه، واعتصره الحزن والألم، وبكى حتى ابيضت عيناه، فكان ملجأه ومفزعه إلى الله أولا وآخرا، يدعوه ويبثه شكواه، ويفضي إليه وجده وألمه ويسأله حاجته، فقال – كما حكى القرآن – : (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) [يوسف:]، أي لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم، إنما أشكو همي وما أنا فيه إلى ربي داعيا له، وملتجئا إليه، فخلّوني وشكايتي، فرد الله عليه يوسف بعد المدى الطويل الذي يقطع الرجاء من حياته، فضلاً على عودته إلى أبيه[2] .

فانظر – يا رعاك الله – كيف فرج الله بالدعاء كرب المكروبين، وأزال خوف الخائفين، وبث الأمن والطمأنينة في نفوس عباده العائذين به اللاجئين إلى حماه، فليكن اللجوء إلى الله بالدعاء مفزعك في كل هم، وملجأك في كل كرب، وأبشر بزوال همك، وتفريج كربك، ولا تستعظمن هما ولا كربا، فمهما يكن همك وكربك فلن يكون أبدا أشد من كرب يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت، وقد أظلته ظلمات ثلاث، ظُلْمَةِ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةِ بَطْنِ الْحُوتِ، فكان الدعاء واللجوء إلى الله من أسباب نجاته من الكرب الشديد العجيب، وفي ذلك يقول تعالى:(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً) أي ذهب مغاضبًا لقومه بسبب كفرهم (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) أي ظن الله لن يضيق عليه وسيجعل له برحمته فرجا ومخرجا، فانطلق لسانه وهو فِي الظُّلُمَاتِ مناديا داعيا مناجيا ربه:(أَنْ لا

(١) تفسير ابن عطية، جـ٣/ ٢٤٢ – الوسيط لسيد طنطاوي، جـ٣٥٥/٧ - التحرير والتنوير، جـ٢٦٧/١٢ – التفسير الوسيط للواحدي، جـ٦١٢/٢ .

(٢) تفسير النسفي، جـ٢/ ١٣٠ - تفسير ابن كثير، جـ٤/ ٣٤٧ – الظلال، جـ٢٠٢٦/٤ .

إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)، فعجل الله إجابة دُعاءَهُ ونجاه منشدته وغمه، قال تعالى (فاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ)أي:من تلك الظلمات بتلك الكلمات (وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) نُخَلِّصُهُمْ مَنْ هَمِّهِمْ وكربهم إذا دعونا استغاثوا بنا(١)، وقد صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله:دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ:لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ "

وفي حديث آخر يؤكد النبي(صلى الله عليه وسلم)على أن الدعاء سبب رئيس من أسباب الطمأنينة وذهاب الهم والضيق والحزن، فقد روى عنه ابن مسعود قوله(صلى الله عليه وسلم):مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا، قَالَ: فَقِيلَ:يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ:بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا(٢)

وكان النبي الكريم(صلى الله عليه وسلم) إذا حزبه الأمر وحل به الكرب، لجأ إلى الدعاء فقَالَ:لَا إِلَهَ إِلا اللهُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، لَا إِلَهَ إِلا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ

(١) جامع البيان، جـ١٨/ ٥١٦، ٥١٨ – تفسير ابن كثير، جـ٣٦٦/٥ – تفسير الرازي، جـ٢٢/ ١٨٢ - تفسير الثعالبي، جـ٩٧/٤ – السراج المنير، جـ٢/ ٥٢٧ – تفسير أبي السعود، جـ٦/ ٨٢ – فتح القدير للشوكاني، جـ٤٩٧/٣ –تفسير القاسمي، جـ٢١٧/٧ –الوسيط للدكتور طنطاوي، جـ٩/ ٢٤٤

(٢) مسند احمد، جـ٢٤٧/٦ – مسند ابن أبي شيبة، جـ٢٢٣/١ح ٣٢٩ – مصنف ابن أبي شيبة، جـ٢٥٣/٣ح ٩٧٢ .

وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ[1]، فهذا ذكر ولكنه متضمن معنى الدعاء، قال القرطبي:التَّسْبِيحُ وَالْحَمْدُ وَالتَّهْلِيلُ قَدْ يُسَمَّى دُعَاءً...ثم نقل عن الطَّبَرِيُّ[2]قوله: كَانَ السَّلَفُ يَدْعُونَ بِهَذَا الدُّعَاءِ وَيُسَمُّونَهُ دُعَاءَ الْكَرْبِ[3]، وقد سمى كل من الإمامين من البخاري[4] ومسلم[5]، هذا الذكر دعاء، فقد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله:(بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الكَرْبِ)، وترجم له مسلم بقوله:(باب دعاء الكرب) [6]

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ(صلى الله عليه وسلم)إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ:يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ[7]

---

(١) صحيح البخاري، بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الكَرْبِ، جـ٨/٧٥ح ٦٣٤٦ - صحيح مسلم، باب دعاء الكرب، جـ٤/٢٠٩٢ح٢٧٣٠ – مسند أحمد، جـ٤/٢٣٤ .

(٢) أبو جعفرمحمد بن جرير الطبرى صاحب المصنفات والتفسير والتاريخ، ولد بآمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ ورحل في العلم وله عشرون سنة، فصار أحد ائمة العلم، ٣١٠هـ ببغداد ..انظر :[طبقات الفقهاء، جـ١/٩٣ – وفيات الأعيان، جـ٤/١٩١ – مختصر تاريخ دمشق، جـ٢٢/٥٩]

(٣) تفسير القرطبي، جـ٨/٣١٤.

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخارى أبو عبد الله، حبر الإسلام، الحافظ لحديث رسول الله (ﷺ) صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخارى، ولد سنة ١٩٤ هـ فى بخارى، ونشأ يتيماً، وقام برحله طويلة سنة ٢١٠ هـ فى طلب الحديث، سمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث، أختار منها فى صحيحه ما وثق برواته وهو نحو أربعة آلاف حديث، وكتابه فى الحديث أوثق الكتب الستة، توفي٢٥٦ هـ، انظر : [تهذيب التهذيب، جـ٩/٤٧ - تاريخ بغداد، جـ٢/٥ – تهذيب الأسماء واللغات، جـ١/ ٦٧ - الأعلام للزركلي، جـ٦/ ٣٤ –الثقات لابن حبان، جـ٩/١١٣]

(٥) الإمام الحافظ حجة الإسلام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري صاحب الصحيح ولد سنة٢٠٤هـ، توفي بنيسابور سنة (٢٦١هـ) وهو ابن خمس وخمسين سنة، انظر [تاريخ بغداد، جـ١/ ١٠١ – طبقات الحنابلة، جـ١/ ٣٣٧ –وفيات الأعيان، جـ٥/ ١٩٤ – تهذيب التهذيب، جـ١٠/ ١٢٦]

(٦)انظر : صحيح البخاري، جـ٨/ ٧٥ - صحيح مسلم، جـ٤/٢٠٩٢ .

(٧) سنن الترمذي، جـ٥/٥٣٩ح ٣٥٢٤

ولما وجدرسول الله(صلى الله عليه وسلم) أبا أمامة جالسًا في المسجد فقال له:مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟، قَالَ:هُمُومٌ لَزِمَتْنِي، وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟، قَالَ: قُلْتُ:بَلَى، يَا رَسُولَ، قَالَ: قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي[1].

ولما شكا خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه لا ينام الليل بسبب ما يجده من الأرق والقلق أرشده النبي(صلى الله عليه وسلم)إلى الدعاء، فقال:إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ:اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَبْغِيَ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ[2].

كذلك جاء عنه(صلى الله عليه وسلم) قوله:إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ:أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّعِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ[3]

وكان سؤال الأمن والطمأنينة من الأدعية التي يلزمها نبينا(صلى الله عليه وسلم)حين يمسي وحين يصبح، فعن عبد الله ابْنَ عُمَرَ قال: لَمْ يَكُنْ

---

(١) سنن أبي داود، باب في الاستعاذة، جـ٢/٩٣ح ١٥٥٥ – الدعوات الكبير للبيهقي، جـ١/٤١٤ح ٣٠٥ .

(٢) جامع الترمذي، جـ٥/٥٣٨ح ٣٥٢٣ – الدعاء للطبراني، جـ١/٣٣٢ح ١٠٨٥ – جامع معمر بن راشد، باب القول حين يمسي وحين يصبح، جـ١١/٣٥ح١٩٨٣١– ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، جـ٥/٤٢٤ح ٢٤٠٣

(٣) جامع الترمذي، جـ٥/٥٤١ح ٣٥٢٨ – الدعاء للطبراني، صـ٣٣٣/ ١٠٨٦ - مصنف ابن أبي شيبة، جـ٥ /٥٠ح ٢٣٥٩٨ – صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ١/ ٥٢٩، وفي صحيح الترغيب والترهيب، جـ٢/١٢٠ح ١٦٠١

رَسُولُ اللَّهِ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي(١)

وكان النَّبِيَّ(صلى الله عليه وسلم)إِذَا رَأَى الْهِلالَ، قَالَ:اللهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلامَةِ وَالْإِسْلامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ(٢)

فيا من اضطربت نفسه، وأحاطت به همومه، وأقلقته كروبه، افزع إلى ربك بالدعاء وأساله الأمن والطمأنينة، وتفريج الكرب، وذهاب الهم، كما فزع إليه الأنبياء والصالحون، اسأله سؤال المضطر، تجد الأجابة عاجلة حاضرة، قال تعالى :(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ)[النمل :٦٢]

فمن لزم الدعاء لزمته الطمآنينة وأظلته السكينة، وما عرف القلق والهم إلى قلبه سبيلا، فلا هم ولا شقاء مع التذلل والدعاء.

سادسا:حسن الظن بالله :**ليس ثمة عبادة قلبية أريح لقلب العبد ولا أسعد لنفسه من حسن الظن بربه، فبه يسلم من الخواطر المقلقة التي تؤذي النفس وتكدر البال، وبه يتغلب على نزغات ووساوس الشيطان وما يلقيه في رُوعه من تخوف وتوجس وتوقع للمكروه، وبه يقبل على حياته ببشر وتفاؤل، ثقةً منه أن الله يدخر له كل جميل، ويقدر له الخير والفضل في يومه وغده، يقول ابن القيم : إِنَّهُ لَا أَشْرَحَ لِلصَّدْرِ، وَلَا أَوْسَعَ لَهُ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ ثِقَتِهِ بِاللَّهِ وَرَجَائِهِ لَهُ وَحُسْنِ ظَنِّهِ بِهِ(٣).**

---

(١) سنن أبي داوود، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ، جـ٤/٣١٨ح٥٠٧٤ – سنن ابن ماجة، بَابُ مَا يَدْعُو بِهِ الرَّجُلُ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى، جـ٢/١٢٧٣ح٣٨٧١ - صححه الحاكم في المستدرك، جـ١/٦٩٨ح١٩٠٢ - وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، صـ٤٦٥ح٩١٦ .

(٢) مسند أحمد، جـ٣/١٧ح ١٣٩٧ - مصنف عبد الرزاق، جـ٤/١٦٨ح ٧٣٥٠ – مصنف ابن أبي شيبة، جـ٢/٣٤٣ح ٩٧٣٤ –السنة لابن أبي عاصم، جـ١/١٦٥ح ٣٧٦ – صحيح ابن حبان، جـ٣/١٧١ح ٨٨٨ – المستدرك للحاكم، جـ٤/٣١٧ح ٧٧٦٧ .

(٣) مدارج السالكين، جـ١/ ٤٦٩ .

فلا غرو إذن أن يحث النبي (صلى الله عليه وسلم) على حسن الظن بالله في أحاديث عدة، منها قوله (صلى الله عليه وسلم):لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ(١)، وقوله (صلى الله عليه وسلم): حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ(٢)، وقوله (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه:يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَإِنَّ الرَّبَّ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ (٣)، كذلك قوله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:إن الله عز وجل قال: أنا عند ظن عبدي بي، إنْ ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله(٤)، ومعناه: أُعَامِلُهُ عَلَى حَسَبِ ظَنِّهِ بِي وَأَفْعَلُ بِهِ مَا يَتَوَقَّعُهُ مِنِّي مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَالْمُرَادُ الْحَثُّ عَلَى تَغْلِيبِ الرَّجَاءِ عَلَى الْخَوْفِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاَللَّهِ(٥).

وحين نستقريء كتاب الله تعالى نجد أن حسن الظن بالله تعالى سبب قوي للنجاة من الشدائد والكربات، وتحقيق الطمأنينة والأمن النفسي، والخروج من صحراء الهم والقلق إلى وديان السكينة والقرار ..

ففي سورة الأنبياء نجد حسن الظن بالله في مقدمة الأسباب التي نجى الله بها يونس عليه السلام، فهو سابق للتسبيح والدعاء اللذين ذكرا آنفا، وقد أخبر القرآن بذلك حين قدم حسن ظنه بربه على دُعاءئهُ وتسبيحه، فقال عز وجل(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لَا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ)[الأنبياء:٨٧]، والمعنى أن يونس عليه السلام رغم شدة الكرب، والظلمات التي أحاطت به من كل صوب، وانعدام احتمالات النجاة

---

(١) صحيح مسلم، بَابُ الْأَمْرِ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى ، جـ٤/٢٢٠٥ح٢٨٧٧ .

(٢) سنن أبي داود، بَابٌ فِي حُسْنِ الظَّنِّ، جـ٤/٢٩٨ح ٤٩٩٣- مسند أحمد، جـ١٣/ ٣٣٨ – صحيح ابن حبان، بَابُ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى، جـ٢ /٣٩٩ح - ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، جـ٢/١٩٠ح ١٩٧٤ .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي، باب الرجاء من الله تعالى، جـ٢/٣٢١ح٩٨١ – المقاصد الحسنة للسخاوي، صـ١٦٩

(٤) مسند أحمد، جـ١٥/٣٦ – صحيح ابن حبان، الْبَيَانِ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يُعْطِي مَنْ ظَنَّ مَا ظَنَّ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، جـ٢/٤٠٥ح ٦٣٩ - صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جـ٤/ ٢٢٥ .

(٥) مرقاة المفاتيح، جـ٤/ ١٥٤٢ – فيض القدير للمناوي، جـ٢ / ٣١٢ – تحفة الأحوذي، جـ٧/ ٥٣ .

– بحسابات العقل البشري –، فإنه قد أحسن الظن بالله تعالى، ووثق أنه لن يضيعه، وأنه تعالى سيجعل له من هذا الكرب فرجًا، ومن هذا الضيق مخرجا، فانطلق لسانه بالتسبيح والدعاء:(لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)، أي في خروجي من بين قومي قبل الإذن (فاستجبنا له) أي أجبنا دُعاءَهُ ونجيناه من تلك الظلمات تصديقا لظنه [١]

وعاش يعقوب عليه السلام سنوات مع الألم والبلاء، بدأت بفقده يوسف عليه السلام، ثم تغيب بنيامين عنه بعد أخذ عزيز مصر له، ثم أضيف إلى ذلك عدم رجوع ابنه الأكبر إليه وبقائه في مصر، ورغم ذلك كله كان عليه السلام مطمئن القلب، ثابت الجنان، ساكن النفس، لأخذه بكل أسباب الطمانينة والسكينة والأمن النفسي، ومنها حسن الظن بالله تعالى.

وقد بدا حسن ظنه بالله تعالى واضحًا جليًا في قوله – الذي حكاه القرآن– :(عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[يوسف :٨٣]، قال الرازي وغيره:وإنما قال يعقوب هذه المقالة لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل[٢]، وقال الدكتور طنطاوي في الوسيط: وهذا القول من يعقوب– عليه السلام– يدل دلالة واضحة على كمال إيمانه، وحسن صلته بالله– تعالى– وقوة رجائه في كرمه وعطفه ولطفه سبحانه[٣] وقال أبو حيان:تَرَجَّى أَنَّ اللَّهَ يجمعهم الله عليه، وذلك لِلرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا يُوسُفُ، فَكَانَ يَنْتَظِرُهَا وَيُحْسِنُ ظَنَّهُ بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ[٤].

قال الرازي: قوله (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)يَعْنِي هُوَ الْعَالِمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ الْحَكِيمُ فِيهَا عَلَى الْوَجْهِ المطابق للفضل والإحسان والرحمة

(١) جامع البيان، جـ٥١٦/١٨ – نظم الدرر، جـ١٢/ ٤٦٦ – تفسير البغوي، جـ٥ ٣٥٢ –تفسير السمعاني، جـ٣/ ٤٠٣ –زاد المسير، جـ٣/ ٢١٠ – تفسير الرازي، جـ٢٢/ ١٨١

(٢) الخازن، جـ٢/ ٥٤٨ – تفسير الرازي، جـ٤٩٥/١٨

(٣) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، جـ٧/ ٤٠٦ .

(٤) البحر المحيط، جـ٣١٣/٦.

والمصلحة[١]، وفي هذا القول من حسن ظنه بالله تعالى ما لا يخفى .. فتأمل.

ويؤكد يعقوب عليه السلام حسن ظنه بربه، وأنه على ثقة بأن الله سيجمع شملهم، وسيفرج عنهم ما فيه، حين يأمر أبنائه أن يَجِّدوا في طلب يوسف وأخيه وألا يقنطوا من فرج الله ورحمته[٢] فقال – كما حكى القرآن – (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ)[يوسف :٨٧] أي: لا تقنطوا من أن يُرَوّحَ الله عنا ما نحن فيه من الحزن[٣]

ويتحدث صاحب الظلال عن مصدر ذلك الأمل الذي يسكن قلب يعقوب، أن الله سيرد عليه أبنائه فيقول:هذا الشعاع من أين جاء إلى قلب هذا الرجل الشيخ؟ إنه الرجاء في الله، والاتصال الوثيق به، والشعور بوجوده ورحمته. ذلك الشعور الذي يتجلى في قلوب الصفوة المختارة، فيصبح عندها أصدق وأعمق من الواقع المحسوس الذي تلمسه الأيدي وتراه الأبصار[٤]

كذلك قص علينا القرآن في سورة الكهف نبأ الفتية الذين آمنوا بربهم، وفروا بدينهم من ذلك الملك الظالم إلى كهف ضيق موحش مظلم، وبرغم صعوبة الموقف، ووحشة المكان، وسعي الملك وجديته في طلبهم، فقد امتلات قلوبهم أمنا وسكينة وطمأنينة، وذلك لحسن ظنهم بربهم، ويقينهم أنه جاعل لهم – برحمته– مما هم فيه فرجا ومخرجا، وقد أفصحوا عن ذلك بقولهم:(فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) [الكهف:١٦] أي مخرجا ونجاة[٥] قال البيضاوي[٦] وغيره:وجزمهم بذلك لنصوع

---

(١) تفسير الرازي، جـ١٨/٤٩٦

٢ تفسير الثعلبي، جـ٥/٢٥٠ – تفسير البغوي، جـ٢/ ٥١١ – تفسير القرطبي، جـ٩/٢٥٢ .

(٣) جامع البيان، جـ١٦/ ٢٣٢ - الهداية إلى بلوغ النهاية، جـ٥/ ٣٦٢١ -

(٤) الظلال، جـ٤/٢٠٢٥

(٥) تفسير السمرقندي، جـ٢/ ٣٤٠ -

(٦)عبد الله بن عمر بن محمد بن على الشيرازى، أبو سعيد أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوى، قاضى، مفسر، علامة، ولد فى المدينة البيضاء (بفارس ـ قرب شيراز) وولى قضاء شيراز =

يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى ولطفه بالمؤمنين، ورجاء منه [1] ، وقال الدكتور طنطاوي:وفي التعبير بقولهم:(يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) دلالة واضحة على صدق إيمانهم وحسن ظنهم الذي لا حدود له، بربهم- عز وجل- فهم عند ما فارقوا أهليهم وأموالهم وزينة الحياة، وقرروا اللجوء إلى الكهف الضيق الخشن المظلم.. لم ييأسوا من رحمة الله، بل أيقنوا أن الله- تعالى- سيرزقهم فيه الخير الوفير، وييسر لهم ما ينتفعون به، ببركة إخلاصهم وصدق إيمانهم[2].

فهؤلاء الفتية الذين يعتزلون قومهم، ويهجرون ديارهم، ويفارقون أهلهم، ويتجردون من زينة الأرض ومتاع الحياة. هؤلاء الذين يأوون إلى الكهف الضيق الخشن المظلم. هؤلاء يستروحون رحمة الله، ويحسون هذه الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة. «يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» ولفظة «يَنْشُرْ» تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح. فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب وسيع تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها وتمتد ظلالها، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء[3]

ونحو ذلك ما حدث مع رسول الله(صلى الله عليه وسلم) حين لَجَأَ إِلَى غَارِ ثَوْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الطَّلَبِ، وَقَفُوا عَلَى باب الْغَارِ، وجزع الصديق إشفاقا وخوفا منه على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ ضرر، وقال:يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَوْضِعِ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فلما رأى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) جَزَعَ الصِّدِّيقِ وحزنه قَالَ له بقلب عامر بحسن الظن بالله: يَا أَبَا بَكْرٍ (لَا تَحْزَنْ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)[التوبة:٤٠] فَأَنْزَلَ اللهُ

=مدة وصرف عن القضاء فرحل إلى تبريز وتوفى بها سنة ٦٨٥ هـ .... انظر : [معجم تفاسير القرآن الكريم، ص٢٠٨ ـ البداية والنهاية، جـ٣٢٧/١٣ ـ معجم المؤلفين، جـ٩٧/٦ ـ الأعلام، جـ١١٠/٤] .

(١) تفسير البيضاوي، جـ٢٧٥/٣ ـ السراج المنير، جـ٣٥٥/٢ – تفسير القاسمي، جـ١١/٧- تفسير المراغي، جـ١٢٦/١٥ – التحرير والتنوير، جـ١٥/ ٢٧٧

(٢) التفسير الوسيط، جـ٨/ ٤٨٤ .

(٣) الظلال، جـ٤/ ٢٢٦٢

تَعَالَى على رسوله(صلى الله عليه وسلم)، أو على صاحبه[1]السَّكِينَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، كما أخبر بذلك سبحانه في كتابه فقال:(فَأَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التَّوْبَةِ: ٤٠][2]

ومن ذلك أيضا ما جاء عن موسى عليه السلام، يوم أن خرج بقومه فرارا من فرعون وبطشه، فإذا البحر أمامهم وفرعون وجنوده من خلفهم، وفزع أصحاب موسى عليه السلام وظنوا أنهم مأخوذون لا محالة، ولكن موسى عليه السلام كانت لديه طمأنينة عجيبة، وثبات كبير، وذلك لكمال إيمانه بربه وحسن ظنه به، فإذا به يطمئن أصحابه بأن الله معه، وسيهديه لطريق ينجو فيه من فرعون وقومه، قال تعالى:(فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ *قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ *أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ* وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ *ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ)[الشعراء: ٦١ – ٦٦][3].

وحسن الظن بالله تعالى من الأسباب التي جعلت سارة عليها، تستقبل ترك ابراهيم لها ووليدها بهذا الوادي القاحل، بنفس آمنة وقلب مطمئن، فلم تجزع عليها السلام أو يعتريها أدنى قلق، فما أن أخبرها إبراهيم عليه السلام

(١) قال أبو حيان وغيره : وَالضَّمِيرُ فِي عَلَيْهِ) عَائِدٌ عَلَى صَاحِبِهِ، قَالَهُ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، أَوْ عَلَى الرَّسُولِ قَالَهُ الْجُمْهُورُ، أَوْ عَلَيْهِمَا. وَأَفْرَدَهُ لِتَلَازُمِهِمَا، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي مُصْحَفِ حَفْصَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِمَا وَأَيَّدَهُمَا .. [البحر المحيط، جـ٥/ ٤٢٢ – تفسير السمعاني، جـ٢/ - ٣١٢ تفسير ابن جزي، جـ٣٣٨/١ -].

(٢) تفسير ابن كثير، جـ١٤٢/٥- المجالسة وجواهر العلم، جـ٣٨٠/٥ - أخبار مكة للفاكهي، جـ٤/ ٥١ –تفسير الثعالبي، جـ٥/ ٤٧ – تفسير الوسيط، جـ٢/ ٤٩٨ – تفسير القرطبي، جـ٨/ ١٤٦ – البحر المديد، جـ٣٨٣/٢ .

(٣) الأمن النفسي، محمد موسى الشريف، صـ١٣ .

أن ذلك أمر الله، ردت بثقة وطمأنينة وحسن ظن بربها قائلة:إِذَنْ لَنْ يُضَيِّعَنَا[1] .

لقد حرص القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة على بث وتزكية حسن الظن بالله في نفس المؤمن ليكون زاده للتغلب على ما يواجهه من وساوس تفسد عليه حياته، وتجعله دائما في خوف وقلق واضطراب .

فإذا كانت وساوس الشيطان تلقي في رُوع الكثيرين الخوف من الغد، والقلق على المستقبل، وتوقع المكروه بسبب وبدون سبب، والنظرة التشاؤمية للحاضر والمستقبل، فإن القرآن الكريم يسوق لهم ما تطمئن به القلوب، ويُذهب عنهم الخوف والقلق، ويملأ نفوسهم بشرا وأملا وحسن ظن بالله رب العالمين، من ذلك قوله تعالى:(الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة :٢٦٨] .

وهذا الذي يملأ قلبه القلق على مستقبل أولاده وأرزاقهم، فتراه جزعا مضطربا، وربما ساوره الندم على إنجابهم، يطمئنه القرآن كذلك، ويحمله ببشرياته المباركة إلى واحة حسن الظن بالله تعالى، فيقول تعالى:(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ)[الإسراء : ٣١]، (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ)[النساء :٩]

وإذا حملتك الوساوس على الإقتار خشية الإقلال، وكنت في مواطن الإنفاق قلقا مضطربا، خائفا من نفاد ما بين يديك، فإن الله يدعوك في كتابه لحسن الظن به، ويطمئنك بوعد منه سبحانه، وربك لا يخلف الميعاد، فيقول في كتابه الكريم:(وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ)[سَبَأٍ: ٣٩]، قال القرطبي: قَالَ عُلَمَاؤُنَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: فَخَوْفُ الْإِقْلَالِ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ[2]

ولما كان حسن الظن بالله من الأسباب التي تبعث الطمأنينة في نفس المريض، كان من هديه إذا عاد مريضا دعاء له بقوله:لا بأس طهور إن شاء الله تسلية له وتخفيفا عنه وبث روح التفاؤل وحسن الظن بالله في قلبه، فعَنِ

(١) صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥] جـ٤/١٤٢ح ٣٣٦٤ .

(٢) تفسير القرطبي، جـ١/٢٥٣ .

ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:أَنَّ النَّبِيَّ(صلى الله عليه وسلم) دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ: لاَ بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ الأعرابي:طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): فَنَعَمْ إِذًا[1] .

لقد أساء هذا الأعرابي الظن بربه، حتى أدى به سوء ظنه إلى تلك الحالة من القلق والخوف والجزع والتوتر، وهذا الرد الجافي على النبي(صلى الله عليه وسلم)، فما كان من النبي(صلى الله عليه وسلم)إلا أن قال له:فنعم إذن، أي ليكن الأمر كما ظننت[2]**، فمَاتَ على وفْق مَا قَالَه**[3]

سابعا:التقوى:**للتقوى ثمار كثيرة، من أهمها حصول الطمأنينة والأمن النفسي والسرور وإنشراح الصدر، يقول الدكتور نجاتي:إن الإيمان بالله تعالى والتمسك بالتقوى والاستقامة في السلوك يبعث في نفس الإنسان الشعور بالأمن النفسي والرضا والإنشراح والسعادة** [4]

ولقد نفى الله سبحانه وتعالى عن أهل التقوى الخوف والحزن، ووعدهم بالبشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فقال تعالى:(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ*لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)[يونس:٦٢-٦٤]، قال ابن عاشور: والنفي في الآية نفي جنس الخوف عنهم، وهو ضمانٌ من الله بأن لا يحصل لهم ما يخافونه، ولا يحل بهم ما يحزنهم[5]**، وقال الشوكاني: وَالْمُرَادُ بِنَفْيِ الْخَوْفِ عَنْهُمْ: أَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ أَبَدًا كَمَا يَخَافُ غَيْرُهُمْ، لِأَنَّهُمْ قَدْ قَامُوا بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَانْتَهَوْا عَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي نَهَاهُمْ عَنْهَا، فَهُمْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَحُسْنِ ظَنٍّ بِرَبِّهِمْ، وَكَذَلِكَ لَا يَحْزَنُونَ عَلَى فَوْتِ مَطْلَبٍ مِنَ الْمَطَالِبِ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ**

(١) صحيح البخاري، باب علامات النبوة، جـ٤/٢٠٢ح ٣٦١٦ .
(٢) مرعاة المفاتيح، جـ٥/ ٢١٩.
(٣) عمدة القاريء، جـ١٦/ ١٤٩.
(٤) الحديث وعلم النفس، صـ٣١١ .
(٥)انظر: التحرير والتنوير (٢١٨/١١).

اللَّهِ وَقَدَرِهِ فَيُسَلِّمُونَ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَيُرِيحُونَ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْهَمِّ وَالْكَدَرِ، فَصُدُورُهُمْ مُنْشَرِحَةٌ، وَجَوَارِحُهُمْ نَشِطَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مَسْرُورَةٌ[١] .

وكيف يخاف أولياء الله أو يحزنون والله معهم .. كيف يخافون وكيف يحزنون، وهم على اتصال بالله لأنهم أولياؤه؟وعلام يحزنون ومم يخافون، والبشرى لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة؟ إنه الوعد الحق الذي لا يتبدل- لا تبديل لكلمات الله-: ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [٢]

كذلك فإن من الآيات التي تعد أهل التقوى بالطمأنينة والأمن النفسي قوله سبحانه:(فمَنِ اتَّقى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)[الأعراف :٣٥]، قال االبغوي[٣]:أَيْ اتَّقَى الشِّرْكَ وَأَصْلَحَ عَمَلَهُ. وَقِيلَ: أَخْلَصَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} إِذَا خَافَ النَّاسُ، {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} أَيْ: إِذَا حَزِنُوا[٤]، وقال صاحب المنار في تفسيرها : فَمَنِ اتَّقَى مَا نَهَيْتُ عَنْهُ وَأَصْلَحَ نَفْسَهُ بِمَا أَوْجَبْتُ عَلَيْهِ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَتَرَتَّبُ عَلَى التَّكْذِيبِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عِنْدَ الْجَزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فِي الدُّنْيَا كَحُزْنِ غَيْرِهِمْ[٥]، وقال ابن عاشور: أَيْ فَمَنِ اتَّبَعَ رُسُلِي فَاتَّقَانِي وَأَصْلَحَ نَفْسَهُ وَعَمَلَهُ (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ عُقُوبَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَالْخَوْفُ وَالْحُزْنُ الْمَنْفِيَّانِ هُمَا مَا يُوجِبُهُ الْعِقَابُ، وَقَدْ يَنْتَفِي عَنْهُمُ الْخَوْفُ وَالْحُزْنُ مُطْلَقًا بِمِقْدَارِ قُوَّةِ التَّقْوَى وَالصَّلَاحِ، وَهَذَا مِنَ الْأَسْرَارِ

---

(١) فتح القدير، جـ٢/٥٢٠ .

(٢) في ظلال القرآن، جـ٣/ ١٨٠٤ .

(٣) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، المعروف بالفراء، البغوي الملقب ظهير الدين، الفقيه الشافعي المحدث المفسر، يلقب بمحيي السنّة، ولد في ٣٤٥ هـ، نسبته إلى (بَغَا) من قرى خراسان، توفي بمرو الروذ سنة ١٣٩٢ هـ .. انظر [تاريخ دمشق، جـ٥١/ ١٨٠ - وفيات الأعيان، جـ١٣٦/٢ - الأعلام للزركلي، جـ٢٥٩/٢ - سير أعلام النبلاء، جـ١٤/ ٣٢٨ – الوافي بالوفيات، جـ١٣/ ٤١]

(٤) تفسير البغوي، جت٣/ ٢٢٧ .

(٥) المنار، جـ٣٦٥/٨ .

الَّتِي بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ [يُونُس:٦٢- ٦٤]، ويقول السعدي:(فَمَنِ اتَّقَى) ما حرم الله، من الشرك والكبائر والصغائر، {وَأَصْلَحَ} أعماله الظاهرة والباطنة، {فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} من الشر الذي قد يخافه غيرهم {وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما مضى، وإذا انتفى الخوف والحزن حصل الأمن التام، والسعادة، والفلاح الأبدي(١) .

كذلك قوله تعالى:(قُلْ يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ)[الزمر:١٠] أي (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) أي:اتقوا الله وأطاعوه حسنة معجّلة في الدنيا، وهي الصحة والعافية، والحياة الطيبة(٢) .

وفي سورة التوبة يزكي القرآن الذين بنوا بنيانهم على تقوى من الله، وكيف يهديهم ذلك إلى الثبات والأمن والطمانينة، بينما يرفل في القلق والريبة والحيرة أولئك الذين لم تعرف قلوبهم إلى تقوى الله وتوحيدع سبيلًا، فيقول ربنا:(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ؟ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ؟ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لا يَزالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ، إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة :١٠٩، ١١٠]، يقول صاحب الظلال : التعبير القرآني الفريد يرسم هنا صورة حافلة بالحركة، تنبئ عن مصير كل مسجد ضرار يقام إلى جوار مسجد التقوى، وتكشف عن نهاية كل محاولة خادعة تخفي وراءها نية خبيثة وتطمئن العاملين المتطهرين من كل كيد يراد بهم، مهما لبس أصحابه مسوح المصلحين:(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ؟ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ؟ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)، فلنقف نتطلع لحظة إلى بناء التقوى الراسي الراسخ المطمئن.. ثم

(١) تفسير السعدي، صـ٢٨٧ .
(٢)البحر المديد، جـ٥/٥٩.

لنتطلع بعد إلى الجانب الآخر! لنشهد الحركة السريعة العنيفة في بناء الضرار.. إنه قائم على شفا جرف هار.. قائم على حافة جرف منهار.. قائم على تربة مخلخلة مستعدة للانهيار.. إننا نبصره اللحظة يتأرجح ويتزحلق وينزلق! .. إنه ينهار! إنه ينزلق! إنه يهوي! إن الهوة تلتهمه! يا للهول! إنها نار جهنم.. «وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»، إنه مشهد عجيب، حافل بالحركة المثيرة ترسمه وتحركه بضع كلمات! .. ذلك ليطمئن دعاة الحق على مصير دعوتهم، في مواجهة دعوات الكيد والكفر والنفاق! وليطمئن البناة على أساس من التقوى كلما واجهوا البناة على الكيد والضرار!

ومشهد آخر يرسمه التعبير القرآني الفريد لآثار مسجد الضرار في نفوس بُناته الأشرار وبناة كل مساجد الضرار(لا يَزَالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ، إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، لقد انهار الجرف المنهار. انهار ببناء الضرار الذي أقيم عليه. انهار به في نار جهنم وبئس القرار! ولكن ركام البناء بقي في قلوب بناته. بقي فيها «ريبة» وشكاً وقلقاً وحيرة. وسيبقى كذلك لا يدع تلك القلوب تطمئن أو تثبت أو تستقر. إلا أن تتقطع وتسقط هي الأخرى من الصدور!

وإن صورة البناء المنهار لهي صورة الريبة والقلق وعدم الاستقرار.. تلك صورة مادية وهذه صورة شعورية.. وهما تتقابلان في اللوحة الفنية العجيبة التي يرسمها التعبير القرآني الفريد. وتتقابلان في الواقع البشري المتكرر في كل زمان[١].

فتقوى الله إذن هي سبب قوي من أسباب حصول الأمن والطمأنينة والسعادة والفلاح، ويعلل ذلك صاحب الظلال فيقول:لأن التقوى تنأى بهم عن الآثام والفواحش وتقودهم إلى الطيبات والطاعات وتنتهي بهم إلى الأمن من الخوف والرضى عن المصير[٢].

---

(١)الظلا، جـ٣/١٧١٢ .

(٢) الظلال، جـ٣/١٢٨٨.

ولما كانت الكروب والشدائد من أهم أسباب الضيق والقلق وذهاب الطمأنينة والأمن النفسي، جعل الله سبحانه التقوي من أكبر أسباب النجاة من الكروب والمحن والشدائد، ومن ثم ذهاب الضيق والقلق، وحصول الطمأنينة والسكينة والهدوء والاستقرار النفسي، قال سبحانه:(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)[الطلاق:٢]، قال ابن عباس: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة(١)، وقال أبو العالية: يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ كُلِّ شِدَّةٍ(٢)، وقال صاحب البحر المديد وغيره:ومن يتق الله في أقواله وأفعاله وأحواله يجعل له مخرجاً ومخلصا مِمَّا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْمِحَن، وسائر غموم وكُرَب الدنيا والآخرة (٣)، وقال ابن القيم: إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لِلْمُتَّقِي مِنْ كُلِّ مَا ضَاقَ عَلَى النَّاسِ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَخْرَجًا(٤)

وفي سورة الطلاق – أيضًا– وعد الله من يتقيه من عباده بأن يوفقه للخير ويسدده و ييسر أموره في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ويحلل له من عقده(٥) فقال عز وجل (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) [الطلاق: ٤] قال ابن كثير:أَيْ: يُسَهِّلُ لَهُ أَمْرَهُ، وَيُيَسِّرُهُ عَلَيْهِ، وَيَجْعَلُ لَهُ فَرَجًا قَرِيبًا وَمَخْرَجًا عَاجِلًا(٦)، وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبد من عباده، فلا عنت ولا مشقة ولا عسر ولا ضيقة، يأخذ الأمور بيسر في شعوره وتقديره، وينالها بيسر في حركته وعمله. ويرضاها بيسر في حصيلتها ونتيجتها. ويعيش من هذا في يسر رخي ندي، حتى يلقى الله(٧).

---

(١) تفسير الطبري، جـ٢٣/ ٤٤٦ –تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زَمَنِين، جـ٤/ ٤٠٢ – تفسير الماوردي، جـ٦/ ٣١.

(٢) تفسير الثعلبي، جـ٩/ ٣٣٧ – تفسير البغوي، جـ٥/ ١١٠ – تفسير القرطبي، جـ١٨/ ١٥٩ .

(٣) االبحر المديد، جـ٧/٦٨ - الكشاف، جـ٤/٥٥٥ . تفسير النسفي، جـ٣/ ٤٩٨ – تفسير أبي السعود، جـ٨/٢٦١ – تفسير الشوكاني، جـ٥/ ٢٨٩ . تفسير القاسمي، جـ٩/ ٢٥٦

(٤) مدارج السالكين، جـ١/٤٦٨ .

(٥) الوسيط للواحدي، جـ٤/٣١٥ – تفسير اتلسمعاني، جـ٥/ ٤٦٤ – الكشاف، جـ٤/ ٥٥٧ - تفسير البيضاوي، جـ٥/ ٢٢١ – تفسير النسفي، جـ٣/ ٤٩٩ .

(٦) تفسير ابن كثير، جـ٨/١٥٢

(٧) الظلال، جـ٦/٣٦٠٢

كذلك وعد الله أهل التقوى بمعيته فقال سبحانه : (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)[البقرة :١٩٤] وقال عز وجل:(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ...) [النحل :١٢٨]، وكفى بمعية الله سببا لحصول الأمن النفسي والسكينة الروحية، والطمأنينة القلبية، قال القشيري:إن الله معهم بالنصرة، ويحيطهم بالإحسان والبسطة(١).

ولعل في ذكر قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ..) عقب قوله سبحانه :(وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) إشارة إلى أثر التقوى وما يترتب عليها من معية الحق سبحانه في ذهاب الحزن والضيق، وكأن الله تعالى بعد أن وجه نبيه(صلى الله عليه وسلم) إلى لزوم الصبر وعدم الحزن والضيق من كفرهم ومكرهم أرشده إلى ما يعينه على ذلك، ويُذهب عنه حزنه وهمه وما في صدره من ضيق عليهم، ألا وهو تقوى الله عز وجل، التي بها تتحق معيته، فترد عن قلبه كل هم وضيق وحزن، وتملأ نفسه طمانينة وأمنًا، وقلبه سرورا وإنشراحا ن قال أبو السعود (إِنَّ الله مَعَ الذين اتقوا) تعليلٌ لما سبقَ من الأمرِ والنَّهي والمرادُ بالمعية الولايةُ الدائمةُ التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيءٍ من الجزَعِ والحزنِ وضيق الصدر(٢)، وقال الدكتور طنطاوي: وقوله- تعالى-: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ تعليل لما سبق من أمره بالصبر، ومن نهيه عن الحزن وضيق الصدر، أى: إن الله- تعالى- بمعونته وتأييده مع الذين اتقوه في كل أحوالهم، وصانوا أنفسهم عن كل ما لا يرضاه. ومع الذين يحسنون القول والعلم، بأن يؤدوهما بالطريقة التي أمر الإسلام بها، ومن كان الله- تعالى- معه، سعد في دنياه وفي أخراه(٣).

(١) لطائف الإشارات، جـ٢/٣٣٠ .
(٢) تفسير أبي السعود، جـ٥/١٥٣ .
(٣) التفسير الوسيط، جـ٨/ ٢٦٦

المطلب الرابع

الأسباب المتعلقة بالتشريع .

إن تشريعات الإسلام كلها خير وبركة، وكلها تؤدي إلى تحقيق الأمن والطمأنينة للإنسان في الدنيا والآخرة، إلا أن هنالك تشريعات بعينها، ذات أثر مباشر في تحصيل الطمأنينة والأمن النفسي .. من هذه التشريعات :

أولا : تشريع الحدود والعقوبات : لا يمكن أن يتحقق الأمن النفسي للإنسان مالم يكن آمنا على دينه ونفسه وعرضه وماله وعقله، لذلك حرص الإسلام على تحقيق أكبر قدر من الحماية والأمان لهذه الضروريات، و جعل الحفاظ عليها من أجل وأهم مقاصده، يقول أبو حامد الغزالى: وَمَقْصُودُ الشَّرْعِ مِنْ الْخَلْقِ خَمْسَةٌ: أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَنَفْسَهُمْ وَعَقْلَهُمْ وَنَسْلَهُمْ وَمَالَهُمْ، فَكُلُّ مَا يَتَضَمَّنُ حِفْظَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ فَهُوَ مَصْلَحَةٌ، وَكُلُّ مَا يُفَوِّتُ هَذِهِ الْأُصُولَ فَهُوَ مَفْسَدَةٌ وَدَفْعُهَا مَصْلَحَةٌ ... وَهَذِهِ الْأُصُولُ الْخَمْسَةُ حِفْظُهَا وَاقِعٌ فِي رُتْبَةِ الضَّرُورَاتِ، فَهِيَ أَقْوَى الْمَرَاتِبِ فِي الْمَصَالِحِ [1] .

ومن أجل تحقيق هذه المقاصد، شرع الإسلام الحدود، لتكون رادعا لكل من تسول له نفسه الاعتداء على أنفس الناس أو أموالهم أو أعراضهم أو عقولهم .

فمن أجل حفظ النفوس شرع القصاص[2]، فقال تعالى:(يُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثى بِالْأُنْثى)[البقرة:١٧٨]، ولحفظ أموال الناس شرع قطع اليد حدا للسرقة (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)[المائدة:٣٨] ولحفظ النسل والأنساب والأعراض شرع الرجم حدا للزاني المحصن وهو ما ثبت بالسنة، والجلد للزاني غير المحصن، وذلك في قوله عز وجل:(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

(١) المستصفى، الغزالى، جـ١/١٧٤ .
(٢) القصاص : مقابلة الفعل بمثله [تفسير الماوردي، جـ١/ ٢٢٨]

مِائَةَ جَلْدَةٍ)[النور:٢]، وكذلك شرع الجلد للقاذف، وذلك في قوله سبحانه(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[النور:٤] ولحفظ العقول شرع حد الخمر،

وشرع حد الردة ليكون وسيلة من عدة وسائل شرعها لحفظ للدين، وشرع حد الحرابة لمن يخيف الطريق، ويروع الآمنين، وينتهك حرمات المجتمع [١] .

قال ابن القيم: فَكَانَ مِنْ بَعْضِ حِكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَرَحْمَتِهِ أَنْ شَرَعَ الْعُقُوبَاتِ فِي الْجِنَايَاتِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ النَّاسِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فِي الرُّءُوسِ وَالْأَبْدَانِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ، فَأَحْكَمَ سُبْحَانَهُ وُجُوهَ الزَّجْرِ الرَّادِعَةَ عَنْ هَذِهِ الْجِنَايَاتِ غَايَةَ الْإِحْكَامِ، وَشَرَعَهَا عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِمَصْلَحَةِ الرَّدْعِ وَالزَّجْرِ، مَعَ عَدَمِ الْمُجَاوَزَةِ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ الْجَانِي مِنْ الرَّدْعِ[٢]

وفي إقامة تلك الحدود الشرعية من الخير والنفع ما لا يمكن حصره، فبها يكون الأمن، وفي ظلها تكون الطمأنينة، وفي كنفها تحل السكينة، ذلك أن في إقامة الحدود زجرا وردعا للجاني عن الوقوع في جريمته مرة أخرى، وكذلك فيها زجر لغيره من الناس، لما يرونه أمام أعينهم من العقوبة التي لحقت بالجاني، وبهذا تندر الجريمة، ويصان المجتمع من الفساد والإفساد، وتتوفر الأجواء الآمنة لكل فرد من أفراده فيغدو الإنسان ويروح في أمن وطمأنينة على نفسه وعرضه وماله، وإذا أمن الفرد على نفسه، وسلم له عقله وعرضه، وحفظ له ماله، فقد جمعت له أسباب الأمن كلها[٣] .

إن بعضا ممن لا يدركون الحكمة العظيمة التي شرع الله من أجلها الحدود، أطلقوا ألسنتهم للنيل من تلك الحدود المباركة، زاعمين أن فيها شدة وغلظة ورجعية وقسوة .

---

(١) أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، الشيخ الذهبي، صـ٢٨ – المستصفى ـ جـ١/ ١٧٤

(٢) انظر: إعلام الموقعين، جـ٢/ ٧٣ .

(٣) أثر إقامة الحدود في استقرا المجتمع، صـ٢٩ .

لقد امتلأت قلوب هؤلاء شفقة على مرتكب الجريمة في الوقت الذي تناسوا فيه الضحية، رحموا الجاني ولم يرحموا المجنى عليه، نظروا لشدة العقوبة ولم ينظروا إلى شدة وشناعة الجريمة، وكم الآثار السلبية المترتبة عليها، نظروا إلى تطبيق الحدود ولم ينظروا إلى الآثار الإيجابية المترتبة على ذلك، وفي مقدمتها القضاء على مظاهر الإنحراف والجريمة في المجتمع، وتوافر أجواء الأمن والطمأنينة لأفراده .

إن التاريخ والواقع لَهُما خير شاهدٍ على أن نظام العقوبات الإسلامي قد أثبت فعاليته وواقعيته في القضاءعلى كثير من مظاهر الإنحراف والجريمة وتوفير أجواء الأمن والطمأنينة على مستوى الأفراد والمجتمعات، في الوقت الذي أخفق تماما نظام العقوبات الغربي في تحقيق هذا الهدف، فقد انحدرت المجتمعات الغربية في ظل ذلك النظام الوضعي إلى حضيض الإباحية، وانتشرت الأمراض الجنسية، وامتلأت السجون باللصوص والقتلة والمنحرفين، واكتظت الشوارع بأهل بالمجرمين والسكارى، الذين لم يردعهم النظام المذكور عن تكرار الإنحرافات بعد الخروج مرات كثيرة [١] .

وعليه فإن تشريع الحدود والعقوبات إنما هو لإصلاح حال الناس، وتحقيق أمن الفرد والمجتمع، بردع كل من تسول له نفسه العبث بأمن الناس وترويعهم والاعتداء على أموالهم وحرماتهم .

ولقد تهاون الكثيرون في إقامة وتطبيق الحدود المشروعة، مما حمل الناس على التساهل في الدماء والسرقات والاعتداء على الأعراض وشرب المسكرات وغير ذلك، وأصبح القلق والخوف على الأنفس والأموال والأعراض ملازما لأفراد تلك المجتمعات، ولو علم هؤلاء ما في الحدود من خير ما جعلوها ورء ظهورهم، فليس ثمة وسيلة فعاله تكفل حماية الأنفس والأرواح والأعراض والأموال والعقول مثل الحدود التي شرعها الحق سبحانه وتعالى، والواقع خير

(١) منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، حسن عبد الحميد، صـ١٠٩.

شاهد على ذلك، فالجرائم والحوادث في المجتمعات التي طبقت – وتطبق – شرع الله لا تكاد تذكر، أما في غيرها فقد انتشرت الجرائم وتفشت الحوادث، وصفحات الجرائد اليومية مليئة بأخبار الحوادث والجرائم في طول البلاد وعرضها .

إن الحياة الآمنة المطمئنة إنما تكون في ظل إقامة تلك الحدود الرباينة، التي شرعها الله وارتضاها لعباده وإلا فسد العالم، واضطربت أحوال الناس، يقول ابن القيم:فَلَوْلَا الْقِصَاصُ لَفَسَدَ الْعَالَمُ، وَأَهْلَكَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ابْتِدَاءً وَاسْتِيفَاءً، فَكَانَ فِي الْقِصَاصِ دَفْعًا لِمَفْسَدَةِ التَّجَرُّؤِ عَلَى الدِّمَاءِ بِالْجِنَايَةِ وَبِالِاسْتِيفَاءِ[1]

ونبه القرآن الكريم إلى ما في إقامة تلك الحدود من خير للبلاد والعباد، وما فِي الْقصاص من الجاني من حَيَاة للْعَالم وَصَـلَاح للْوُجُود، فقال سبحانه:((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)[البقرة:٧٩]، أي وَلَكُمْ يا معشر المسلمين فِي تشريع الْقِصاصِ حَياةٌ عظيمة .. وذلك من وجهين:

- **<u>الأول</u>:أن الرجل إذا علم وأيقن أنه إذا قتل نفسًا فإنه سيقتل، كف عن القتل، فكان ذلك حياة له ولغيره .**
- **<u>الثاني</u>:أن في القصاص من الجاني صيانة لحياة آخرين، ربما أقدم أهل القتيل على قتلهم ثأرا وظلما، إذا لم يقتل القاتل[2] .**

فالقصاص –إذن– يضمن للمجتمع الحياة العظيمة الطيبة الآمنة، لما فيه من ردع لكل من تسول له نفسه الاعتداء على الآخرين، كما أنه يمنع من انتشار الفوضى والتجاوز والظلم في القتل ويحصر الجريمة في أضيق نطاقٍ ممكن، ويشفي غليل ولي القتيل، ويطفئ نار غيظه، ويستأصل من نفسه نار

---

(١) إعلام الموقعين، جـ٢/٧٩ .

(٢) انظر: جامع البيان، جـ٣/٣٨١ وما بعدها - تفسير الماوردي، جـ١/ ٢٣١ - فتح القدير، جـ١/٢٠٣ – تفسير الثعالبي، جـ١/٣٧٠ – البحر المديد، جـ١/٢٠٨ - اللباب في علوم الكتاب، جـ٣/٢٢٨- البحر المحيط، جـ٢/ ١٥٣- المحرر الوجيز، جـ١/٢٤٧ –تفسير ابن كثير، جـ١/ ٤٩٢ – مفتاح دار السعادة، جـ٢/ ٩٦ .

الشر والحقد والتفكير بالثأر، وفي ذلك حياة النفوس، وصلاح الوجود، وصيانة الناس من اعتداء بعضهم على بعض، وحياة المجتمع كله من الفتن الَّتِي تُوجِبُ هَلَاكَهُ (١).

وقد صُدرت الآية الكريمة بقوله سبحانه (ولكم) إيذانا بأن المنفعة المترتبة على القصاص مختصة بكم عائدة إليكم، قال ابن القيم: فصدر الْآيَة بقوله لكم الْمُؤَذّن بِأَن مَنْفَعَة الْقصاص مُخْتَصَّة بكم عَائِدَة إِلَيْكُم فشرعه إِنَّمَا كَانَ رَحْمَة بكم وإحسانا إِلَيْكُم فمنفعته ومصلحته لكم لَا لمن لَا يبلغ الْعباد ضره ونفعه(٢)

وجاءت كلمة (حياة) في السياق نكرة للتعظيم وإفادة العموم والكثرة، أي : ولكم في القصاص إذا أقيم، وتحقَّق الحكْمُ به، حياة عظيمة هنيئة، طيبة آمنة، تعم وتشمل المجتمع كله، فهي حياة على معناها الأشمل الأعم(٣).

ولما كان لتطبيق الحدود الشرعية هذا الأثر البالغ في توفير أجواء الأمن للفرد والمجتمع، وبث روح الطمأنينة في القلوب والأنفس، وما يترتب على ذلك من أداء العبادات على الوجه الأكمل، ودوام واستمرار السعي والعمل والإنتاج والابداع، وممارسة كافة وجوه الأنشطة الحياتية، حذر الباري جل وعلا من التهاون في الحدود أو التفريط فيها، فقال تعالى:(وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) [الطلاق : ١]، وقال جل شأنه:(تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا) [البقرة:١٨٧]، وحث النبي(صلى الله عليه وسلم) ورغب في إقامة الحدود فقال:حد يعمل في

(١) تفسير المنار، جـ٢/ ١٠٧ .

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، جـ٢/٩٦.

(٣) تفسير البيضاوي، جـ١/١٢٢- تفسير أبي السعود، جـ١/١٩٦ – تفسير النسفي، جـ١/ ١٥٦ - الكشاف، جـ١/ ٢٢٣ - القاسمي، جـ٢/٨ - المراغي، جـ٢/٦٣ - تفسير المنار، جـ٢/ ١٠٧ - تفسير السعدي، صـ٨٤ – التحرير والتنوير، جـ٢/١٤٤ –الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، جـ٢/ ٣٩ –وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، جـ٣/ ٣٦٥.

الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحًا[1]،وقال: أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم[2]، وغضب النبي (صلى الله عليه وسلم) من حبه أسامة بن زيد حين شفع في حد من حدود، وأكد على وجوب إقامة تلك الحدود على من ارتكب ما يوجبها كائنًا من كان، ففي صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا:وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)؟ فَقَالُوا:وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا[3]

وحذر النبي(صلى الله عليه وسلم) من الشفاعة في تلك الحدود والحيلولة دونها فقال (مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ[4]

ثانيا:تشريع الزواج وإباحة التعدد :لما كانت تلك الشهوة التي أودعها الله في النفس الإنسانية من أكبر دواعي القلق والاضطراب النفسي، شرع الله تعالى الزواج، لتسكن به النفس، ويطمئن به القلب، ويهدأ البال، ويرتاح الخاطر، ويجد الإنسان في ظلاله أنسه وأمنه وسعادته .

---

(١) سنن النسائي الصغرى، التَّرْغِيبُ فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ، جـ٨/٧٥ح ٤٩٠٤ – مسند أحمد، جـ١٥/١٢٤ – صححه الألباني في صحيح الجامع، صـ٦٠٠ .

(٢) سنن ابن ماجة، باب إقامة حدود، جـ٢/٨٤٩ح ٢٥٤٠ – مسند أحمد، جـ٢٩/ ١٧٠ – صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، جـ٢/٢٩٦ح ٢٣٥٢ .

(٣) صحيح البخاري، باب حديث الغار، جـ٤ /١٧٥ح٣٤٧٥ .

(٤) سنن أبي داود، بَابٌ فِيمَنْ يُعِينُ عَلَى خُصُومَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ أَمْرَهَا، جـ٣/٣٠٥ح ٣٥٩٧ – صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ١/٧٩٨ح ٤٣٧ .

فاذا كان الزواج وسيلة لحفظ النوع الإنساني، وتحصين للفرج وغض للبصر، وقضاء للوطر في ما أباحه الله، وحفظ للأنساب، وتكثير للأمة وحماية للمجتمعات من الأمراض الخُلُقية، فإنه قبل ذلك كله وسيلة للاطمئنان والسكن النفسي، والهدوء القلبي والوجداني .

فتحقيق السكينة النفسيّة وانتزاع الإنسان من براثن القلق والاضطراب والهياج هو المقصد الفطريّ الأكبر من الزواج .

وقد امتن الله تعالى على عباده بهذه النعمة، وبما جعل فيها من أمن وطمأنينة وسكينة، فقال سبحانه:(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الروم:٢١] أي:ومن آياته الدالة على عظيم قدرته وكمال حكمته، وبديع صنعه، ونعمه الموجبة للشكر أنه تعالى خلق لكم من أنفسكم أزواجا، وجعل في تلك الصلة سكنًا للنفس والعصب، وراحَة للجسم والقلب، واستقرارًا للحياة والمعاش، وأنسًا للأرواح والضمائر، واطمئنانًا للرجل والمرأة على السواء[١]فكل جنس يجتمع إلى جنسه، ويجد الطمأنينة، والأمن، والسكينة في جواره[٢]، فقوله تعالى (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) أي لتأنسوا إليها لتطمئنوا بها وتستقر قلوبكم عندها [٣].

قال عبد الكريم الخطيب :وفيه بيان لهذه النعمة، وكشف عن وجه الحكمة فيها، وهى أنه باجتماع الإنسان إلى الإنسان، والذكر إلى الأنثى، تستريح النفس، وتسكن المشاعر، وتطمئن القلوب.. وإنه لا نعمة أجل ولا أعظم من نعمة تفيض على الإنسان الأمن والسكينة[٤].

(١) انظر : الظلال، جـ٥/٢٧٦٣ (بتصرف) .
(٢) التفسير القرآني للقرآن، جـ١١/ ٤٩٧ .
(٣) تفسير السمرقندي، جـ٣/٨ – تفسير أبي السعود، جـ٧/٥٦ .
(٤) التفسير القرآني للقرآن، جـ١١/ ٤٩٧ .

يقول الشيخ محمّد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى:(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) وذلك أنّ المرء إذا بلغ سِنّ الحياة الزوجيّة يجدُ في نفسه اضطراباً خاصّاً لا يسكن إلاّ إذا اقترن بزوج من جنسه واتّحدا(١).

قال ابن عاشو:وَالسُّكُونُ:هُنَا مُسْتَعَارٌ لِلتَّأَنُسِ وَفَرِحِ النَّفْسِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ زَوَالَ اضْطِرَابِ الوحشة والكمد بِالسُّكُونِ الَّذِي هُوَ زَوَالُ اضْطِرَابِ الْجِسْمِ(٢)

ومن الآيات أيضا قوله تعالى :(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)[الأعراف:١٨٩]أي ليأنس بها، ويستقر معها.ويطمئن إليها إطمئنان الشيء إلى جزئه، لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس، وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ(٣)، وفي تفسير هذه الآية يقول سيد قطب:فهي نفس واحدة في طبيعة تكوينها، وإن اختلفت وظيفتها بين الذكر والأنثى. وإنما هذا الاختلاف ليسكن الزوج إلى زوجه ويستريح، إليها....فالأصل في التقاء الزوجين هو السكن والاطمئنان والأنس والاستقرار(٤) .

ويقول الإمام ابن القيم في كتابه روضة المحبين : وقد حض النبى صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا الدواء (المباضعة والجماع)ورغب فيه، وعلق عليه الأجر وجعله صدقة لفاعله فقال:وفي بضع أحدكم صدقة"(٥)، ففي هذا كمال اللذة، وكمال الإحسان إلى الحبيبة، وحصول الأجر، وثواب الصدقة وفرح النفس وذهاب أفكارها الرديئة عنها، وخفة الروح وذهاب كثافتها وغلظها،

---

(١) تفسير المنار، جـ٩/٤٣٢ .

(٢) التحرير والتنوير، جـ٢١/ ٧٢ .

(٣) التفسير الوسيط للواحدي، جـ٢/ ٤٣٤ – تفسير السمعاني، جـ٤/ ٢٠٤ – الكشاف للزمخشري، جـ٢/١٨٦ – المحرر الوجيز، جـ٢/ ٤٨٦ – السراج المنير، جـ١/ ٥٤٤ –التفسير القرآني للقرآن، جـ٥/ ٥٣٧

(٤) الظلال، جـ٢/١٤١١،٠ ١٤١٢ .

(٥) صحيح مسلم، بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، جـ٢/٦٩٧ح١٠٠٦ .

وخفةالجسم، وإعتدال المزاج، وجلب الصحة، ودفع المواد الرديئة، ولا تكتمل اللذه حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطة من اللذه فتلذذ العين بالنظر إلى محبوب والأذن بسماع كلامه والأنف بشم رائحته والفم بتقبيله واليد بلمسة فإن فقد شيئآ من ذلك لم تزل النفس متطلعة إليه فلا تسكن كل السكون ولذلك تسمى المرأة سكن لسكون النفس، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا...) [الروم:٢١] "(١)

وفي الطب النبوي يقول:وأَمَّا الْجِمَاعُ، فَكَانَ هَدْيُهُ فِيهِ أَكْمَلَ هَدْيٍ، يَحْفَظُ بِهِ الصِّحَّةَ وَتَتِمُّ بِهِ اللَّذَّةُ وَسُرُورُ النَّفْسِ، ...وَفُضَلَاءُ الْأَطِبَّاءِ: يَرَوْنَ أَنَّ الْجِمَاعَ مِنْ أَحَدِ أَسْبَابِ حِفْظِ الصِّحَّةِ .. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يتعاهد من نفسه ثلاثا: ألايدع الْمَشْيَ، فَإِنِ احْتَاجَ إِلَيْهِ يَوْمًا قَدَرَ عَلَيْهِ، وينبغي ألايدع الأكل، فإن أمعاءه تضيق، وينبغي ألايدع الْجِمَاعَ، فَإِنَّ الْبِئْرَ إِذَا لَمْ تُنْزَحْ، ذَهَبَ مَاؤُهَا. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا: مَنْ تَرَكَ الْجِمَاعَ مُدَّةً طَوِيلَةً، ضَعُفَتْ قُوَى أَعْصَابِهِ، وَانْسَدَّتْ مَجَارِيهَا، قَالَ:وَرَأَيْتُ جَمَاعَةً تَرَكُوهُ لِنَوْعٍ مِنَ التَّقَشُّفِ، فَبَرُدَتْ أَبْدَانُهُمْ، وَعَسُرَتْ حَرَكَاتُهُمْ، وَوَقَعَتْ عَلَيْهِمْ كَآبَةٌ بِلَا سَبَبٍ(٢)

إن الممارسة الصحيحة للجنس تزود الرجل والمرأة بزاد عاطفى وروحى يعينهما ويرحمهما جسمانيًا، وينسيهما هموم الدنيا ولو فتره، ويتيح لهما نوماً عميقاً وهادئاً، يحفظ لهما نضارتهما أطول فتره ممكنة(٣)

يقول الشيخ الصالح أبو بكر الوراق: كل شهوة تقسى القلب إلا شهوة الجماع فإنها تصفيه ولهذا كان الأنبياء عليهم السلام يفعلونه(٤)

هذا، ولما كان الزواج لايمكن أن يؤتي ثماره المرجوة من الطمأنينة والأمن النفسي إلا في ظل صلاح كل من الرجل والمرأة، حث الرسول (صلى الله عليه

(١) انظر: روضة المحبين ص٣١٦.
(٢) الطب النبوي، صـ١٨٧ .
(٣) هديتي إلى ابنتي عند زفافها، د : محمد بن رزق بن طرهوني، صـ١٥٦ .
(٤) البحر المديد، جـ١/ ٣٢٩ .

وسلم) على الزواج بالصالحة من النساء، وتزويج الصالح من الرجال، وعَدَّ المرأة الصالحة على رأس أسباب السعادة الدنيوية، فقال(صلى الله عليه وسلم):إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوه (١)، **وقال (صلى الله عليه وسلم):فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ، وقال أيضا: أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ**(٢)**، وقال أيضا:الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ** (٣)**، وقال لعمر رضي الله عنه: أَلَا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**(٤)

ودفعًا لكثير من أسباب التوتر والقلق والاضطراب المحتملة، أباح الإسلام التعدد، مشترطا العدل بين الزوجات، فقال تعالى:(فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)، فقد يكون الرجل قوي الشهوة، ولا تكفيه امرأة واحدة، ولو سُدَّ باب التعدد في وجهه، لعاش في قلق وتوتر واضطراب، ووقع في المشقة الشديدة، وربما صرف شهوته بطرق محرمة، لا تزيده إلا حيرة وقلقا واضطرابًا

وقد تكون الزوجة لا تنجب والرجل يرغب في الولد والذرية، فلو سد في وجهه باب التعدد لعاش أسير قلقه واضطرابه وحزنه .

وقد تكون الزوجة كبيرة السن، أو مريضة، فإن اقتصر عليها لم يكن له منها إعفاف، واعتراه القلق والاضطراب بسبب عدم إشباع رغباته الجنسية .

---

(١) سنن الترمذي، باب إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه، جـ٣/٣٨٧ح ١٠٨٥ – سنن ابن ماجة، باب الأكفاء، جـ١/٦٣٢ح ١٩٦٧ – صححه الألباني، السلسلة الصحيحة، جـ٣/٢٠ح ١٠٢٢

(٢) صحيح ابن حبان، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا، جـ٩/٣٤٠ح٤٠٣٢

(٣) صحيح مسلم، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، جـ٢/١٠٩٠ح ١٤٦٧

(٤) سنن أبي داوود، باب في حقوق المال، جـ٢/١٢٦ح ١٦٦٤ – شعب الإيمان للبيهقي، جـ١٢/١٠٢ح ٩١٠٩ – صححه الألباني، السلسلة الصحيحة، جـ١/٥٧١ح ٢٨٢، صحيح الترغيب والترهيب، جـ٢/١٩٢ح ١٩١٤ .

لمثل هذه الأسباب وغيرها أباح الإسلام التعدد مراعيا تلك الطبيعة البشرية، ورغبات الإنسان الفطرية، وليرد عنه كل دواعي القلق والاضطراب والهم والحزن .

ثالثا:تشريع العدل والأمر به: ليس ثمة أنفى للطمأنينة والأمن من الأفئدة والقلوب مثلُ الظلم، فمتى عم الظلم، اضطربت أحوال الناس، وتفشت فيهم المفاسد، وتسلط القوي على الضعيف، وعم الخوف والقلق، وانتشرت الكراهية والأحقاد والأضغان، والصراعات والعدوات بينهم، فلا أمن حينئذ ولا سكينة ولا اطمئنان .

أما في ظلال العدل، فتطمئن القلوب، وتنشرح الصدور، وتسعد النفوس، وينتشر الحب وتسود المودة، وتصلح أحوال الناس، وتنتظم أمورهم.

فصلاح الدنيا انتظام أمرها لا يتحقق إلا في ظل عدل شامل، لذا عد الإمام الماوردي العدل القاعدة الثالثة من القواعد اللازمة لصلاح الدنيا وانتظام فقال: وَأَمَّا الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: فَهِيَ عَدْلٌ شَامِلٌ يَدْعُو إِلَى الْأُلْفَةِ، وَيَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَتَتَعَمَّرُ بِهِ الْبِلَادُ، وَتَنْمُو بِهِ الْأَمْوَالُ، وَيَكْثُرُ مَعَهُ النَّسْلُ، وَيَأْمَنُ بِهِ السُّلْطَانُ. فَقَدْ قَالَ الْمَرْزُبَانُ لِعُمَرَ، حِينَ رَآهُ وَقَدْ نَامَ مُتَبَذِّلًا: عَدَلْت فَأَمِنْت فَنِمْت. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعُ فِي خَرَابِ الْأَرْضِ وَلَا أَفْسَدُ لِضَمَائِرِ الْخَلْقِ مِنْ الْجَوْرِ[1]

ويقرر الدكتور شلتوت[2] أن العدل أهم دعائم السعادة والاطمئنان بين الجماعات والأفراد، فيقول – رحمه الله– :إن من أهم دعائم السعادة التى

(١) أدب الدنيا والدين، صـ١٣٩ .

(٢) محمود شلتوت: فقيه مفسر مصري. ولد في منية بني منصور (بالبحيرة) ١٨٩٣م، وتخرج بالأزهر (١٩١٨) وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧) وكان داعية إصلاح نير الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد. وسعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه، فعمل في المحاماة (١٩٣١ - ١٩٣٥) وأعيد إلى الأزهر، فعين وكيلا لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء (١٩٤١) ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (١٩٤٦) ثم شيخا للأزهر (١٩٥٨) الى وفاته[الأعلام، جـ١٧٣/٧] .

يسعى إليها البشر أن يطمئن الناس على حقوقهم وأن يستقر العدل فيما بينهم، وإنا لانكاد نعرف شيئاً أبعث للشقاء والفتن وأنفى للهدوء والأطمئنان بين الجماعات والأفراد من سلب الحقوق، واغتيال الأقوياء حقوق الضعفاء، وتسلط الجبارين على الآمنين المسالمين، وليس من ريب فى أن هذه الظواهر التى ينحرف بها أهلها عن سنن الله ونظامه فى كونه، أشد ما يقطع الصلات، ويغرس الاحقاد، ويثير أعاصير الكيد والانتقام، ويهدد المجتمع بالاخطار التى تحمل الناس ما لا طاقة لهم باحتماله[١] .

كما أن العدل باب فسيح لتدفق الخيرات وحصول البركة في الأرزاق، يقول وهب بن منبه[٢]:إذا هم الولي بالعدل أدخل الله البركات في أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق[٣]، ولزيادة الأرزاق وحصول البركات أثرها الكبير في نشر الأمن والطمأنينة وسائر الفضائل بين أفراد المجتمع .

لكل ما سبق شرع الإسلام العدل وأمر به في كل جوانب الحياة وشئونها، وجعله من أوجب الواجبات، وليس أدل على ذلك من أنه سبحانه حين أمر بثلاثة أشياء، كان العدل أولها، قال تعالى (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[النحل:٩٠]، وحين أمر بشيئين كان العدل أحدهما، قال تعالى:(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً) [النساء : ٥٨]،

(١) الإسلام عقيدة وشريعة، الدكتور: محمود شلتوت، صـ٤٤٤.

(٢) وهب بن منبه بن كامل أبو عبد الله الصنعاني، عالم أهل اليمن، تَابِعِيٌّ، ثِقَةٌ، واسع العلم، كَانَ عَلَى قَضَاءِ صَنْعَاءَ، هو أحد أَبنَاء الْفرس الَّذين قدمُوا مَعَ سيف بن ذِي يزن، ولد سنة ٣٤هـ في زمن عثمان، ، توفي سنة ١١٤هـ [تاريخ دمشق، جـ٦٣/ ٣٦٦ – السلوك في طبقات العلماء والملوك، جـ١/ ٩٨ – تهذيب الكمال، جـ٣١/ ١٤٠- سير أعلام النبلاء، جـ٤/٥٤٥]

(٣) بدائع السلك في طبائع الملك، صـ٢٢٧ .

وحين أمر بشئ واحد كان هو العدل، قال تعالى:(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ...) [الأعراف: ٢٩].(١)

إن الإنسان لا يمتليء قلبه أبدا بالطمأنينة، وتحل في أوصالة السكينة، ما لم يكن هنالك عدل شامل في المجتمع الذي يحيا به، عدل في القضاء والأحكام، عدل في توزيع الدخول والثروات، عدل في توفير حاجات الناس ومتطلباتهم، عدل في تقديم الخدمات وقضاء مصالح الناس، عدل في ضبط وتنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع، عدل يسري على القوي والضعيف، والغني والفقير، والكبير والصغير.

إنه من الصعوبة بمكان وصف حالة الاضطراب والإنهيار النفسي بل والاكتئاب الذي يتعرض له الإنسان حين يجد القوانين واللوائح والتشريعات تطبق عليه ولا تطبق على غيره، حين يجد شكواه تذهب أدراج الرياح مهما كانت الأدلة والقرائن على صدقها، بل وربما انقلب الأمر، فحُكِم للمشكو، وأدين الشاكي.. لذا فإن الله تعالى أكد في كتابه على، همية العدل وضرورته وضرورة في الحكم بين الناس، فقال سبحانه:(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً)[النساء: ٥٨]، فقد أمر الله بالعدل في الأحكام مع الناس جميعًا..مع المؤمن والكافر، والعدو والصديق، والقريب والبعيد، والعربي والأعجمي، والبر والفاجر، يقول صاحب الظلال:فأما الحكم بالعدل بين الناس فالنص يطلقه هكذا عدلاً شاملاً بين الناس جميعاً، لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب، ولا عدلاً مع أهل الكتاب دون سائر الناس، وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه (إنساناً)(٢)، ويقول ابن تيمية:...وَلِهَذَا كَانَ الْعَدْلُ أَمْرًا

(١) دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى، د : يوسف القرضاوي، صـ٣٥٤
(٢) الظلال، جـ٦٨٩/٢ .

وَاجِبًا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ وَالظُّلْمُ مُحَرَّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلِكُلِّ أَحَدٍ فَلَا يَحِلُّ ظُلْمُ أَحَدٍ أَصْلًا سَوَاءٌ كَانَ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا أَوْ كَانَ ظَالِمًا[١]

والفقر سبب للقلق والتوتر والاضطراب والألم، لا سيما إذا كان الفقير يحيا في مجتمع يرفل كثير من أهله في الترف والغني لغياب العدل في توزيع الدخول والثروات، لذلك فقد أوجب الإسلام العدل في توزيع الدخول والثروات على الوجه الذي يضمن حصول كل فرد من أفرد الأمة على حاجاته الضرورية – كحد أدنى – من المطعم والمشرب والملبس والمأوى، بما يحفظ له إنسانيته وكرامته، ويكفه عن الحاجة إلى الناس، ويجعله آمنا على نفسه وأهله من ضراوة الحرمان وخطر الجوع ومغبة الفقر ومن ثم تأدية واجبات دينه على الوجه المطلوب، فصلاح الدنيا بالأمن على مقومات العيش الإنساني هو الأساس لصلاح الدين بمعرفة الله تعالى وعبادت، كما يقرر ذلك أبو حامد الغزالي فيقول: نظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات .....، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة، فإذن نظام إذن – أعني مقادير الحاجة – شرط لنظام الدين[٢].

وهذا الحد من الضروريات هو حق مكفول للجميع مسلم وغير مسلم، بر وغيره، عامل ومقصر، فالعدالة الحق أن يسوى بين المحتاجين، برهم وفاجرهم، عاملهم ومقصرهم، فليس مجال العقوبة على المعصية والتقصير أن يمنع حق الحياة فى العيش الكريم[٣] .

(١) مجموع الفتاوى، جـ١٨/١٦٦ .
(٢) مجموع الفتاوى، جـ١٨/١٦٦ .
(٣) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، صـ ١٢٨ (بتصرف يسير)

ولما كان التمييز بين الأبناء في الهبة والعطاء أوالمحبة والمودة أو المدح والثناء أمرًا يورث البغض والكراهية بينهم، ويؤثر - بلا ريب – في قرارهم وسكينتهم وأمنهم النفسي، أمر النبى(صلى الله عليه وسلم) بالعدل بينهم فقال:اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمُ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ [(١)]، وقال أيضًا:اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف [(٢)]

كذلك أمر الإسلام بالعدل بين الزوجات دفعا للشحناء والتباغض بينهم وما يترتب على ذلك من اضطراب وتوتر وذهاب الطمأنينة والاستقرار النفسي فقال تعالى:(...فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)[النساء:٣]

وقال (صلى الله عليه وسلم): من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى، جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطاً أو مائلاً [(٣)]

خلاصة القول:إن الأمن والعدل قرينان، فحيثما وجد العدل وجد الأمن، وحيثما انتفى العدل كان الخوف والفزع والقلق والاضطراب .

---

(١) سنن أبي داود، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يُفَضِّلُ بَعْضَ وَلَدِهِ فِي النُّحْلِ، جـ٣/٢٩٣ح٣٥٤٤ – سنن النسائي الصغرى، ذِكْرُ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ النَّاقِلِينَ لِخَبَرِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ فِي النُّحْلِ، جـ٦/٢٦٢ح٣٦٨٧ –صححه الألباني في غاية المرام، صـ٢٧٢ح٢٧٢.

(٢) صحيح ابن حبان، باب ذِكْرُ خَبَرٍ ثَالِثٍ يُصَرِّحُ بِأَنَّ الْإِيثَارَ بَيْنَ الْأَوْلَادِ فِي النَّحْلِ حَيْفٌ، جـ١١/٥٠٣ح ٥١٠٤ – المعجم الكبير للطبراني، جـ٢١/٧١ح ٦٩ – صححه الألباني في صحيح الجامع، جـ١/٢٣٩ح ١٠٤٦ .

(٣) سنن النسائي الصغرى، مَيْلُ الرَّجُلِ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ دُونَ بَعْضٍ، جـ٧/٦٣ح٣٩٤٢ – شعب الإيمان، حقوف الأولاد والأهلين، جـ١١/١٦٠ح٨٣٤٠ – صححه الأباني في صحيح الترغيب والترهيب، جـ٢/١٩٩ح١٩٤٩ .

المطلب الرابع

الأسباب المتعلقة بالآداب والأخلاق .

ثمة جملة من الآداب والأخلاقيات ينبغي على الفرد والجماعة لزومها، في مسيرهم لتحقيق وتحصيل الأمن والطمأنينة، منها :

أولا :الصـــدق:وهو من الأخلاق ذات التأثير القوي في تحصيل الطمأنينة والسعادة والأمن النفسي، فالصادق مطمئن القلب، آمن النفس، مستقر البال والخاطر، أما الكاذب فإنه يحيا – بسبب كذبه– في خوف وقلق وتوتر واضطراب، وليس أدل على ذلك من قول النبي(صلى الله عليه وسلم): دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ [١]، قال المناوي: (إن الصدق طمأنينة) أي:يطمئن إليه القلب ويسكن، (وإن الكذب ريبة) أي: يقلق القلب ويضطرب[٢]، وقال ابن رجب[٣]:فَالصِّدْقُ يَتَمَيَّزُ مِنَ الْكَذِبِ بِسُكُونِ الْقَلْبِ إِلَيْهِ[٤]

لذلك أمر الله عباده بالصدق ولزوم أهله لينالهم من الخيرات والبركات المترتبة عليه، وفي مقدمتها تلك الطمأنينة التي أخبر بها النبي(صلى الله عليه وسلم)، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)[التوبة:١١٩]، قال ابن كثير رحمه الله:أي:اصدقوا والزموا الصدق

---

(١) سنن الترمذي، جـ٤/٦٦٨ح ٢٥١٨ – مسند أحمد، جـ٣/ ٢٤٩- المستدرك للحاكم، باب الأحكام، جـ٤/١١٠ح ٧٠٤٦ وصححه ووافقه الذهبي – صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، جـ٣/٧١ح ٢٩٣٠ .

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي، جـ٢/٧

(٣) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، الْمُحدث الْحَافِظ، ولد بِبَغْدَاد سنة ٧٠٦هـ ، وقيل غير ذلك ، ونشأ في دمشق، وبها توفي سنة ٧٩٥ هـ [الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ١٠٨/٣ - الأعلام للزركلي، جـ٣/ ٢٩٥ – ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي، صـ٢٤٣ - معجم المؤلفين، جـ٥/ ١١٨]

(٤) جامع العلوم والحكم، جـ١٠٤/٢

تكونوا من أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجا[١]، وقال السعدي:(وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة [٢]

كذلك أخبر سبحانه في كتابه الكريم أن عاقبة الصادقين هي الخير، لا شيء سواه، فقال تعالى : (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ)[محمد :٢١]

ولما كان الصدق يعنى الثبات والسكينة والاستقرار، وصف الله تعالى مبوأ بني إسرائيل بأنه (مُبَوَّأَ صِدْقٍ) فقال تعالى: (وَلَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ)[يونس :٩٣]، للدلالة على أمنه واستقراره وثباته، قال صاحب الظلال: والمبوأ: مكان الإقامة الأمين. وإضافته إلى الصدق تزيده أماناً وثباتاً واستقراراً كثبات الصدق الذي لا يضطرب ولا يتزعزع اضطراب الكذب [٣]

وحدثنا القرآن عن الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، فلما عاد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) صدقوه القول ولم يختلقوا أعذارا كما هو شأن المنافقين، فكان صدقهم سبب نجاتهم من شدتهم، وخروجهم من كربهم، وإكرام الله لهم بتوبته عليهم، قال تعالى:(وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[التوبة:١٨] وفي البخاري أن كعب بن مالك دخل على رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فقال:إنّي والله لو جلست عند غيرك من أهل الدّنيا، لرأيت أنّي سأخرج من سخطه بعذر. ولقد أعطيت جدلا؛ ولكنّي والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنّي، ليوشكنّ الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدّثتك حديث صدق

(١) تفسير ابن كثير، جـ٤/٢٣٠ .
(٢) تفسير السعدي، صـ٣٥٥ .
(٣) الظلال، جـ٣/١٨١٩.

تجد عليّ فيه، إنّي لأرجو فيه عقبى الله. والله ما كان لي عذر. والله! ما كنت قطّ أقوى ولا أيسر منّي حين تخلّفت عنك. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):أمّا هذا فقد صدق. فقم حتّى يقضي الله فيك (١)

وذكر ابن القيم جملة مِنَ الْحِكَمِ وَالْفَوَائِدِ الْجَمَّةِ التي اشْتَمَلَتْ عَلَيْها قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ .. منها :عِظَمُ مِقْدَارِ الصِّدْقِ، وَتَغْلِيقُ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالنَّجَاةِ مِنْ شَرِّهِمَا بِهِ.....ثم أضاف قائلا:فَمَا أَنْجَى اللَّهُ مَنْ أَنْجَاهُ إِلَّا بِالصِّدْقِ، وَلَا أَهْلَكَ مَنْ أَهْلَكَهُ إِلَّا بِالْكَذِبِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، فَقَالَ:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: ١١٩]، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْجَى الثَّلَاثَةَ بِصِدْقِهِمْ، وَأَهْلَكَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْمُخَلَّفِينَ بِكَذِبِهِمْ، فَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ بِنِعْمَةٍ أَفْضَلَ مِنَ الصِّدْقِ الَّذِي هُوَ غِذَاءُ الْإِسْلَامِ وَحَيَاتُهُ، وَلَا ابْتَلَاهُ بِبَلِيَّةٍ أَعْظَمَ مِنَ الْكَذِبِ الَّذِي هُوَ مَرَضُ الْإِسْلَامِ وَفَسَادُهُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ(٢) .

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرِّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا(٣)

قال القرطبي:حق من فهم عن الله وعقل عنه أن يلازم الصدق في الأقوال والإخلاص في الأعمال، والصفاء في الأحوال، فمن كان كذلك لحق بالأبرار ووصل إلى ربنا الغفار(٤).

---

(١) صحيح البخاري، باب حديث كعب بن مالك، جـ٦/٣ح ٤٤١٨ .

(٢) زاد المعاد، جـ٣/٥١٦، ٥١٧

(٣) صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩] وَمَا يُنْهَى عَنِ الكَذِبِ، جـ٨/٢٥ح ٦٠٩٤ .

(٤) تفسير القرطبي، جـ٨/ ٢٨٩ .

ولما أدرك السابقون قيمة الصدق وأهميته وعظيم أثره رأينا أن عبد الملك بن مروان[١] يقول لمؤدب ولده : عَلِّمْهُمُ الصِّدْقَ كَمَا تُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ[٢]

إن الصدق في جميع الأحوال باطنها وظاهرها يورث الطمأنينة والسكينة في القلب، وينفي عنه التردد والريبة والاضطراب التي لا توجد إلا في حالات الشك وضعف الصدق أو عدمه[٣]

وقد أثبتت الأبحاث والدراسات العليمة الحديثة وطادة العلاقة بين الصدق والطمأنينة، يقول الدكتور: كمال إبراهيم مرسي – أستاذ علم النفس بجامعة الكويت – : لم يعد الصدق في القول والعمل مجرد دعوة دينية أخلاقية، بل أضحت مطلباً نفسياً اجتماعياً، بعدما تبين من دراسات كثيرة أن تحري الصدق ينشط أجهزة المناعة الجسمية والنفسية، والكذب يثبطها ويضعفها، ودعا المعالجون النفسيون والأطباء والمرشدون التربويون إلى الصدق في القول والعمل، واعتبروه علامة جيدة في الصحة النفسية، بينما اعتبروا الكذب من عوامل وهن الصحة النفسية والجسمية، وقد توصلت المدرسة السلوكية المعرفية إلى أن الصدق والأمانة والإخلاص تخفف القلق والتوترات، وتزيل الاكتئاب ...

ثم يضيف علة أخرى لكون الصدق جالبًا للطمأنينة والسكينة فيقول: والصدق من الناحية الاجتماعية يرفع صاحبه بين الناس،ويجعله موضع ثقتهم وحبهم وتقديرهم،ويعلي مكانته النفسية والاجتماعية، ويشبع له

---

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بْن أمية بْن عَبْد شمس بن عبد مناف بن قصي، الخليفة الأموي، كان طالب علم قبل الخلافة ثم اشتغل بها فتغير حاله، ملك ثلاث عشرة سنة استقلالا، وقبلها منازعا لابن الزبير تسع سنين منازعة مع ابن الزبير، توفي سنة ١٨٦هـ [طبقات ابن سعد، جـ٥/١٧٢ – تاريخ بغداد، جـ١٠/٣٨٧ – تهذيب الأسماء واللغات، جـ١/٣٠٩- سير أعلام النبلاء، جـ٦/٢٣٧]

(٢) المجالسة وجواهر العلم، جـ٤/٥١٥ح ١٧٦٦ -

(٣) نظرات تربوية في خلق الصدق، عبد العزيز بن ناصر الجليل، مجلة البيان، العدد٧٦/١٧

الكثير من الحاجات النفسية والاجتماعية،ويشعره بالأمن والكفاءة في علاقته بالناس. وهذا ما يجعل أهل الصدق والتصديق سعداء، وأهل الكذب والتكذيب أشقياء(١)

وأخيرًا فإن ابن تيمية يتحدث عن عاقبة الكذب كمثال للعمل السيء فيقول: الْعَمَلُ السَّيِّئُ مِثْلُ الْكَذِبِ – مَثَلًا – يُعَاقَبُ صَاحِبُهُ فِي الْحَالِ بِظُلْمَةٍ فِي الْقَلْبِ وَقَسْوَةٍ وَضِيقٍ فِي صَدْرِهِ وَنِفَاقٍ وَاضْطِرَابٍ وَنِسْيَانِ مَا تَعَلَّمَهُ وَانْسِدَادِ بَابِ عِلْمٍ كَانَ يَطْلُبُهُ وَنَقْصٍ فِي يَقِينِهِ وَعَقْلِهِ وَاسْوِدَادِ وَجْهِهِ وَبُغْضِهِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ وَاجْتِرَائِهِ عَلَى ذَنْبٍ آخَرَ مِنْ جِنْسِهِ أَوْ غَيْرِ جِنْسِهِ وَهَلُمَّ جَرًّا. إلَّا أَنْ يَتَدَارَكَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ(٢)

ثانيا : الصبر : فهو من الأخلاق التي تفيض على صاحبها أمنا وسكينة، وتبث في نفسه القرار والطمأنينة، فمن تحلى بهذا الخلق الكريم، واتصف بهذا الأدب النبيل، قلما يعتريه قلق، أو يتسلل إلى قلب اضطراب وجزع، ولقد عني القران الكريم بالصبر ومدحه، ورفع قدره وأعلى منزلته، وأثنى على المتحلين به ثناء لا مزيد عليه(٣) .

ووعد الله الصابرين في كتابه الكريم بمعيته ومحبته، وكفى بذلك سببا للأمن والطمأنينة والاستقرار النفسي، قال تعالى:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)[البقرة :١٥٣]أي معهم بمعونته وتأييده، فهانت عليهم بذلك، المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة، تقتضي محبته ومعونته، ونصره وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلا وشرفا(٤)، وقد قال

(١) تنمية الصحة النفسية، د .كمال إبراهيم مرسي، مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٥٤ /١٢
(٢) مجموع الفتاوى، جـ٨/٣٩٦ .
(٣) صيد الأفكار، حسين مهدي، صـ٥٦٥
(٤) انظر : تفسير السعدي، صـ ٧٤ .

بعضهم:عجبت ممن لم يصبروا كيف لم يصبروا للحال، ورب العزة يقول:(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [١] .

فَالصَّابِرُونَ مَوْعُودُونَ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِالْمَعُونَةِ وَالظَّفَرِ والتأييد، وَمَنْ كَانَ اللهُ مُعِينَهُ وَنَاصِرَهُ فَلَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، أما الجازع فقلبه لاه عن ذكر الله، والقلب اللاهي ممتلىء بهموم الدنيا وأكدارها، وإن حاز الدنيا بحذافيرها[٢].

وقال سبحانه: (.. وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)[البقرة :٢٤٩]، قال الشوكاني :إِنَّ هَذِهِ الْمَعِيَّةَ الَّتِي أَوْضَحَهَا اللَّهُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) فِيهَا أَعْظَمُ تَرْغِيبٍ لِعِبَادِهِ سُبْحَانَهُ إِلَى لُزُومِ الصَّبْرِ عَلَى مَا يَنُوبُ مِنَ الْخُطُوبِ. فَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ لَمْ يَخْشَ مِنَ الْأَهْوَالِ وَإِنْ كَانَتْ كالجبال[٣]

وقال عز وجل:(كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَما ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) [آل عمران : ١٤٦]، فقد جعلهم محبوبيه تعظيماً لقدرهم[٤]، والمعنى أَنَّ مَنْ صَبَرَ عَلَى تَحَمُّلِ الشَّدَائِدِ فِي طَرِيقِ اللَّهِ وَلَمْ يُظْهِرِ الْجَزَعَ وَالْعَجْزَ وَالْهَلَعَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ عِبَارَةٌ عَنْ إِرَادَةِ إِكْرَامِهِ وَإِعْزَازِهِ وَتَعْظِيمِهِ[٥]، والتعبير بالحب من الله للصابرين. له وقعه. وله إيحاؤه. فهو الحب الذي يأسو الجراح، ويمسح على القرح، ويعوض ويربو عن الضر والقرح والكفاح المرير[٦]

كذلك وعد الله الصابرين بتنزل صلواته ورحماته عليهم، والهداية إلى ما ما يخفف عنهم حزنهم، ويهون عليهم كربهم، ويسهل عليهم مصابهم، فضلا عما بشرهم به من الخير والفضل والأجر العظيم، فقال تعالى (وَبَشِّرِ

---

(١) تفسير التستري، صـ٨١
(٢) تفسير المنار، جـ٢/٣٠ - فتح القدير، جـ١/١٨٤ – تفسير المراغي، جـ٢/ ٢٣
(٣) البحر المديد، جـ١/١٨٦ .
(٤) تفسير الراغب، صـ٤٥٨
(٥) تفسير الرازي، جـ٩/٣٨١
(٦) تفسير الظلال، جـ١/٤٨٨

الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)[البقرة :١٥٥-١٥٧]، قال القرطبي وغيره:(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) إِمَّا بِالْخَلَفِ، وَإِمَّا بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ (الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ) أي نائبة وابتلاء (قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ) أي قالوا:إِنَّا لله ملكا وعبودية، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون فِي في الآخرة، معبرين بذلك عن صدق اعتقادهم وحسن يقينهم وَمُقْتَضَى إِيمَانِهِمْ، فَلَا يَمْلِكُ الْجَزَعُ نُفُوسَهُمْ، وَلَا تُقْعِدُ الْمَصَائِبُ هِمَمَهُمْ، (أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) هَذِهِ نِعَمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الصَّابِرِينَ الْمُسْتَرْجِعِينَ. وصلوات الله على عباده إقباله عليهم بحنوه وتعطفه ورأفته إخراجاً لهم من حال ظلمة إلى رفعة نور، قال تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) [الأحزاب: ٤٣]، قيل:وإنما قال صَلَواتٌ على الجمع، تنبيها على كثرتها منه وأنها حاصلة في الدنيا توفيقا وإرشادا وفي الآخرة ثواباً ومغفرة، (وَرَحْمَةٌ) قِيلَ: أَرَادَ بِالرَّحْمَةِ كَشْفَ الْكُرْبَةِ وَقَضَاءَ الْحَاجَةِ، (وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) إِلَى ما يسهل عليهم الْمَصَائِبِ ويخفف عنهم الحزن، إِذْ لَا يَسْتَحْوِذُ الْجَزَعُ عَلَى نُفُوسِهِمْ، وَلَا يَذْهَبُ الْبَلَاءُ بِالْأَمَلِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَيَكُونُونَ هُمُ الْفَائِزِينَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالرَّاحَةِ فِيهَا، الْمُسْتَعِدِّينَ لِسَعَادَةِ الْآخِرَةِ [(١)] .

فحين يذكر المؤمن أنه- ذاتا ومالا وأهلا وولدا- ملك لله، لا يملك مثقال ذرة مما فى ملك الله، وأن مصائر الأمور كلها إلى الله، ومردّها جميعا إليه- حين يذكر المؤمن هذا لا يأسى على فائت، ولا يحزن على مفقود، وتلك هى أولى بشريات المؤمنين فى هذه الدنيا، لا ينزل الحزن ساحتهم، ولا يرهق الهمّ والكرب قلوبهم[(٢)] .

(١) الجامع لأحكام القرآن، جـ٢/ ١٧٧ – تفسير النسفي، جـ١/ ١٤٥ – نظم الدرر، جـ٢/ ٢٦٠ – تفسير الراغب، جـ١/ ٣٥٤ –تفسير الخازن، جـ١/ ٩٤ –فتح القدير، جـ١/ ٤٤٢ –تفسير المنار، جـ٢/ ٣٣

(٢) التفسير القرآني لقرآن، غبد الكريم الخطيب، جـ١/١٧٧ .

قال السعدي: ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر(١).

ووعد الله الصابرين بالفلاح في الدنيا والآخرة فقال:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[آل عمران:٢٠٠]، قال الشعراوي:وأي فَلاَح هذا الذي يقصده الحق سبحانه وتعالى؟ إنه فلاح الدنيا وفلاح الآخرة؛ فلاح الدنيا بأن تنتصروا على خصومكم، وأن تعيشوا معيشة آمنة مستقرة رغدة، وفلاح الآخرة أن تأخذوا حظكم من الخلود في النعيم المقيم(٢)

ووعدهم كذلك بالخير فقال عز وجل:(وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ) [النساء:٢٥]، وقال سبحانه:(ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) [النحل:١٢٦]،

وجعل الصبر مع التقوى سبيلا للنجاة من كيد العدو ومكره، فقال تعالى: (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)[آل عمران :١٢٠].

وقص الله علينا في كتابه الكريم من نبأ يعقوب عليه السلام ما يدلل عل قيمة الصبر وعلو منزلته وأثره في ذهاب الهم وكشف الغم وتفريج الكرب، فحين رجع إليه بنوه مدعين أن يوسف عليه السلام قد أكله الذئب قال – كما حكى القرآن – :(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ والله المستعان على

(١) تفسير السعدي، صـ٧٥
(٢) تفسير الشعرواي، جـ٤/ ١٩٧٣

ما تصفون) [يوسف: ١٨]، ولما عاد إليه بنوه من مصر، وأخبروه بما كان من أمر بنيامين وابنه الأكبر، قال كذلك – كما أخبر سبحانه –) بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[يوسف :٨٣]

فلزم عليه السلام طوال سنوات المحنة والبلاء الصبر الجميل، وهو الصبر الذي لا يصاحبه السخط ولا القلق(١)، وليس فيه شكوى ولا جزع ولا ضيق(٢)، فكان الله معه في شدته، وربط على قلبه في محنته، وجمع شمله بيوسف وإخوته .

وفي السنة النبوية جملة من الأحاديث تبين وتؤكد أهمية الصبر، وأنه سبيل للخير والسعة وانشراح الصدر.. من ذلك قوله(صلى الله عليه وسلم): عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ (٣)، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : ... وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ(٤)قال الملا على القاري(٥):قوله (أَوْسَعُ) أَيْ: أَشْرَحُ لِلصَّدْرِ(٦)، ومنها كذلك قوله:وَاعْلَمْ

(١) في ظلال القرآن، جـ٦/٣٦٩٦

(٢) انظر : تفسير الطبري، جـ١٥/٥٨٤ – تفسير القرطبي، جـ٩/١٥٢ - الهداية لمكي، جـ٥/ ٣٥٢١ – تفسير السمعاني، جـ٣/١٦ – الوسيط لطنطاوي، جـ١٥/٩٥

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سنن أبي داود، باب في الاستفاف، جـ٢/١٢٢ح١٦٤٤ .

(٥) علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة، واستقر بها إلى أن توفي سنة١٠١٤هـ [الأعلام للزركلي، جـ٥/١٢ – معجم المؤلفين، جـ٧/١٠٠]

(٦) مرقاة المفاتيح، جـ٤/١٣١١ .

أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا[١] قال ابن رجب : يَعْنِي: أَنَّ مَا أَصَابَ الْعَبْدَ مِنَ الْمَصَائِبِ الْمُؤْلِمَةِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَيْهِ إِذَا صَبَرَ عَلَيْهَا، كَانَ لَهُ فِي الصَّبْرِ خَيْرٌ كَثِيرٌ[٢] ووصف النبي(صلى الله عليه وسلم) الصبر بأنه ضياء، فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءُ الْمِيزَانِ، وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالزَّكَاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ[٣]، أي يضيء للإنسان عندما تحتلك الظلمات وتشتد الكربات[٤]، قال المناوي:أَي نور قوي تنكشف بِهِ الكربات وتنزاح غياهب الظُّلَمَات[٥]

ثالثا: الشكر:إن الأمن النفسي والطمأنينة القلبية نعمة من أجل نعم الله تعالى، ونعم الله تبارك وتعالى إنما تستجلب وتدوم وتزداد بالشكر، قال سبحانه :(وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم)[إبراهيم :٧]، أي :إن شكرتم لأزيدنكم من إنعامى وإكرامى[٦].

ووصف بعضهم الشكر فقال:الشكر قيد للنعمة الموجودة ـأي:سبب لبقائها ـ وصيد للمفقودة، أي:سبب لاستجلاب ما فُقد من النعم[٧].

وعليه فمن أراد استجلاب نعمة الأمن والطمأنينة أو دوامها أوزيادتها فعليه بالشكر، فنعم الله تعالى – كما قال علي رضي الله عنه – موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، ولن ينقطع المزيد من

---

(١) مسند أحمد، جـ٥/ ١٩- شعب الإيمان للبيهقي، جـ٢/٣٥٠ح١٠٤٣ - حلية الأولياء، جـ١/٣١٤ – الأحاديث المختارة للمقدسي، جـ١٠/٢٣ – ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، جـ١١/١٨٤ .

(٢) جامع العلوم والحكم، جـ١/٤٨٥ .

(٣) صحيح مسلم، باب فضل الوضوء، جـ١/٢٠٣ح ٢٢٣.

(٤) شرح رياض الصالحين لابن عثمين، جـ١/١٨٧

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي، جـ٢/١٢٣

(٦) لطائف الإشارات، جـ٢/٢٤١ .

(٧) تفسير الثعلبي، جـ٥/٣٠٦ – تفسير البغوي، جـ٣/ ٥٠٦ - الكشاف، جـ٣/ ٣٦٨ - تفسير السعدي، صـ٢٢

الله تبارك وتعالى حتى ينقطع الشكر من العبد[١].

يقول صاحب المنار:شكرُ النِّعْمَةِ مِنْ أَرْكَانِ الْعُمْرَانِ، وَتَرْكُ الشُّكْرِ مَفْسَدَةٌ لَا تُضَاهِيهَا مَفْسَدَةٌ، إِذْ هِيَ مَدْعَاةُ تَرْكِ الْمَعْرُوفِ كَمَا أَنَّ الشُّكْرَ مَدْعَاةُ الْمَزِيدِ، وَلِذَلِكَ أَوْجَبَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا شُكْرَهُ، وَجَعَلَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَتَنَا وَمَنْفَعَتَنَا، لِأَنَّ كُفْرَانَ نِعَمِهِ بِإِهْمَالِهَا، أَوْ بِعَدَمِ اسْتِعْمَالِهَا فِيمَا خُلِقَتْ لِأَجْلِهِ أَوْ بِعَدَمِ مُلَاحَظَةِ أَنَّهَا مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ تَعَالَى، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الشَّقَاءِ وَالْبَلَاءِ[٢]

والقاريء لكتاب الله تعالى يجد- في أكثر من موضع-ترابطًا وتلازمًا بين الأمن والشكر، فمتى وجد الشكر دامت نعمة الأمن وزدات، ومتى انتفى الشكر انتفى الأمن، ووجد الخوف والفزع .

ففي سورة النحل يقول سبحانه:(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ)[النحل:١٢]، فتلكم قرية (كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) أى: كانت تعيش في أمان لا يشوبه خوف، وفي سكون واطمئنان لا يخالطهما فزع أو انزعاج، وفي خير وسعة وعيش.. (يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ) أى: يأتيها ما يحتاج إليه أهلها واسعا لينا سهلا من كل مكان، ولكنها كفرت بتلك النعم، وأعرضت عن شكر المنعم، فأبدلها الله بالأمن خوفا ورعبا، وبالطمأنينة قلقا واضطرابا، وبالرزق جوعا وفقرا، فزال الأمن وزالت النعمة، وغدوا في جوع وخوف وفزع بسوء صنيعهم، وقبح فعلهم .. وما ربك بظلام للعبيد [٣] .

يقول صاحب الظلال وغيره:أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم، فأبطرتهم النعمة. فكفروا وتولوا، فأنزل الله بهم نقمته، فبدل الله أمنها وطمأنينتها، جوعا دائما وخوفا متصلا، حتى لقد اشتمل عليها

---

(١) شعب الإيمان، باب تعديد نعم الله عز وجل، جـ٦/٢٩٦ح٤٢١٤ –الشكر لابن أبي الدنيا، جـ١/١١ح١٨ .

(٢) المنار، جـ٢/٣٨، ٣٩

(٣) تفسير الماوردي، جـ٢/ ٢١٨ – الوسيط، للدكتور طنطاوي، جـ٨/٢٤٦ – فتح القدير للشوكاني، جـ٣/٢٣٨ .

الجوع والخوف، كما يشتمل الثوب على الجسد ويحتويه، وهذه القرية التي يضرب بها المثل أشبه حالا بمكة، حيث جعلها الله بلدا حراما، من دخله فهو آمن مطمئن، وكان الناس يتخطفون من حول البيت، وأهل مكة في حراسته وحمايته آمنون مطمئنون، كذلك كان رزقهم يأتيهم هينا هنيئا من كل مكان مع الحجيج ومع القوافل الآمنة، فلما بعث فيهم النبي(صلى الله عليه وسلم) وقد امتن الله عليهم به، فإذا هم يكذبونه ويفترون عليه وينزلون به وبمن اتبعه الأذى، والمثل الذي يضربه الله لهم منطبق على حالهم، وعاقبة المثل أمامهم، مثل القرية التي كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله، وكذبت رسوله (فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ) وأخذ قومها العذاب وهم ظالمون(١).

ونحو ذلك ما كان من أمر سبأ، فقد أخبر الله عنهم بقوله تعالى: (لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ)[١٥- ١٧: سبأ]، فقد جعل الله لهم آية واضحة بينة على وحدانيته وقدرته، ثم فسرها بقوله:(جنتان عَن يَمِين وشمال) فقد كان لهم وادي فأحاطت الجنتان به، أحداهما عن يمين الوادي، والآخرى عن شماله، وقيل المراد بهذا إحاطة الخير بهم من كل جانب، حتى إن المرأة كانت تخرج فتحمل مكتلها على رأسها وتمر فيمتلئ من ألوان الفاكهة من غير أن تمس شيئا بيدها، فجاءتهم الرسل تذكرهم نعم الله عليهم، وتنذرهم عقابه، وتدعوهم إلى

(١)الظلال جـ٤/٢١٩٩ – تفسير القاسمي، جـ٦/٤١٥ - التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، جـ٧/ ٣٨٥ – تفسير النسفي، جـ٢/٢٣٧ – اللباب لابن عادل، جـ١٢/١٧٣ – تفسير الثعالبي، جـ٣/٤٤٥ – الهداية لمكي، جـ٩/٥٩٠٧ –تفسير ابن عطية، جـ٤/ ٤١٤– التفسير القرآني للقرآن، جـ١١/ ٧٩٧

شكر نعم الله عليهم، وذلك بتوحيد المنعم، وصرف تلك النعم في وجوه طاعته ومرضاته سبحانه، فقد جعلهم الله في (بَلْدَة طيبَة) كريمة التربة عذبة المَاء، كَثِيرَة الْفَوَاكِه، حسنة الهواء، رغدة من النعم، سليمة من الهوام والمضار، وهو سبحانه غَفُور لمن شكر نعمه، فَأَعْرَضُوا عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَشُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وقالوا: من ذا الذي يأخذ منا النعم (فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ)، أي أرسلنا عليهم السيل الشديد، الذي يحمل العرم في طريقه وهي الحجارة لشدة تدفقه، فحطم السد وانساحت المياه فطغت وأغرقت ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك فجفت واحترقت، (وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ) أي بَدَّلْنَاهُمْ بجنتيهم اللَّتَيْنِ كَانَتَا ذواتي فَاكِهَة بجنتين ذواتي ثمر مرٌ (وَأَثْلٍ) والأثل شجر لا ثمر له، يشبه الطرفاء (وَشَيْءٍ من سدر قَلِيل) السدر: شجر مَعْرُوف، وَهُوَ شجر النبق، (ذلِكَ جَزَيْناهُمْ) يعني:ذلك الذي أصابهم عقوبة لهم عاقبناهم (بِما كَفَرُوا)أي: بكفرهم (وَهَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُور) يعني:وهل يعاقب بمثل هذه العقوبة إلا الكفور بنعمة الله تعالى، قال مقاتل[1]:وهل يجازى بعمله السيئ إلا الكفور لله في نعمه[2].

فلما أصابهم ما أصابهم، تفرقوا وتمزقوا، بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يتحدث بهم، وأسمارا للناس، وكان يضرب بهم المثل فيقال: "تفرقوا أيدي سبأ[3]، فتبدل حالهم من أمن وقرار وسكينة ورغيد عيش، إلى خوف

(١) أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل وحدث بها، وكان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز، توفي بالبصرة سنة ١٥٠هـ انظر [وفيات الأعيان، جـ ٢٥٥/٥- الطبقات الكبرى، جـ٧/ ٢٦٣ – ميزان الاعتدال، جـ٤/ ١٧٣] .

(٢) تفسير ابن كثير، جـ٥٠٧/٦ - الكشاف، جـ٣/ ٥٧٥ - تفسير الثعلبي، جـ٨/ ٨٢ - نظم الدرر، جـ١٥/ ٤٧٩ - الظلال، جـ٢٩٠١/٥ - الوسيط للواحدي، جـ٤٩٠/٣ – تفسير القرطبي، جـ١٤/ ٢٨٧ - تفسير السمعاني، جـ٤/ ٣٢٥، ٣٢٦ – تفسير السمرقندي، جـ٢/ ٨٥ – تفسير البغوي، جـ٣/ ٦٧٦ –تفسير البيضاوي، جـ٢٤٤/٤

(٣) تفسير القرطبي، جـ١٤/ ٢٩١- نظم الدرر، جـ١٥/ ٤٧٩ - تفسير السعدي، صـ ٦٧٧

وجوع وفزع وفرقة ومشقة في تحصيل الأرزاق، فضلا عما يصحبها من هم وكرب وقلق .

كذلك من الآيات التي ربطت بين عدم الشكر على النعم وزوال تلك النعم، قوله تعالى:(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ)[القصص: 60]، فقوله (بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا) أي كان أهلها يتقلّبون في رزق الله تعالى فلم يشكروه في نعمته فكان ذلك سببا لهلاكهم وزوالهم وزوال ما كانوا فيه من النعم [١]، قال القشيري: لم يعرفوا قدر نعمتهم، ولم يشكروا سلامة أموالهم، وانتظام أمورهم، فهاموا في أودية الكفران على وجوههم، وخَرُّوا في وَهدة الطغيان على أذقانهم، فدمر الله عليهم وخرب ديارهم[٢]، وقال صاحب الكشاف:هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش، فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر، فدمرّهم الله وخرّب ديارهم[٣]، إن بطر النعمة، وعدم الشكر عليها، هو سبب هلاك القرى. وقد أوتوا من نعمة الله ذلك الحرم الآمن فليحذروا إذن أن يبطروا، وألا يشكروا، فيحل بهم الهلاك كما حل بالقرى التي يرونها ويعرفونها[٤]

والشكر سبب للنجاة من الشدائد والمحن والمخاوف قال تعالى في محكم التنزيل قال تعالى:(إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ *نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ)[القمر:٣٤، ٣٥]، أي هكذا يجزي الله تعالى من شكر نعمته، ولم يكفرها بأن ينجيه وينعم عليه في وسط المهالك والمخاوف [٥]

---

(١) تفسير السمرقندي، جـ٦/ ٦١٤ – تفسير السعدي، صـ٦٢٠ -
(٢) البحر المديد، جـ٤/٢٦٤
(٣) الكشاف، جـ٣/٤٢٣
(٤) الظلال، جـ٥/ ٢٧٠٤
(٥)الظلال، جـ٦/٣٤٣٤ - تفسير السمرقندي، جـ٣/ ٣٧٤ .

وكان النبي(صلى الله عليه وسلم) حريصًا على غرس هذا الخلق الكريم في أمته قولا وفعلا، فها هو يقوم الليل حتى تتورم قدماه، فقيل له: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قال: أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا (١)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يَدْعُو: رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا.... (٢)

وكان من دعائه(صلى الله عليه وسلم)أيضا:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ....(٣) .

وعنْ مُعَاذٍ قَالَ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ(صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ:يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَنَا وَاللهِ أُحِبُّكَ. قَالَ: فَإِنِّي أُوصِيكَ بِكَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ(٤)

---

(١) صحيح البخاري، بَابُ {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح: ٢]، جـ١٣٥/٦ح ٤٨٣٦ .

(٢) سنن أبي داود، بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا سَلَّمَ، جـ٨٣/٣ح ١٥١٠ – صحيح ابن حبان، ذِكْرُ الْأَمْرِ بِسُؤَالِ الْعَبْدِ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْهِدَايَةَ وَالرِّزْقَ ، جـ٢٢٧/٣، ٢٢٨ح ٩٤٧ - صححه الألباني في صحيح الجامع، جـ٦٥٦/١ح ٣٤٨٥ .

(٣) سنن الترمذي، جـ٤٧٦/٥ح ٣٤٠٧ –سنن النسائي الصغرى، جـ٥٤/٣ح ١٣٠٤ – مسند أحمد، جـ٣٣٨/٢٨ح ١٧١١٤ – صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ٦٩٥/٧ح ٣٢٢٨.

(٤) سنن أبي داود، باب في الاستغفار، جـ٨٦/٢ح ١٥٢٢ – سنن النسائي الصغرى، جـ٥٣/٣ح ١٣٠٣ – صحيح ابن حبان، ذِكْرُ الِاسْتِحْبَابِ لِلْمَرْءِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ عُقَيْبَ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ، جـ٣٦٥/٥ح ٢٠٢٠ – صححه الحاكم في المستدرك، جـ٤٠٧/١ح ١٠١٠ – صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ٢٥٣/٥ح ١٣٦٢ .

ذلك لأن شكر الله تعالى هو السبيل لدوام النعم والزيادة فيها، وزوال المحن والنجاة منها، وقد جاء عن عمر رضي الله عنه قوله :أَيُّهَا النَّاسُ قَيِّدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ(١)، وعن عَلِيٍّ رضي الله عنه قوله:إِنَّ النِّعْمَةَ مُوَصَّلَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُعَلَّقٌ بِالْمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، فَلَنْ يَنْقَطِعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ(٢)، وقال جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ(٣) لسفيان الثوري(٤)رحمه الله إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها، فأكثر من الحمد والشكر عليها (٥)، وعَنِ الْحَسَنِ(٦) قَالَ:إِنَّ اللَّهَ لَيُمَتِّعُ بِالنِّعْمَةِ مَا شَاءَ، فَإِذَا لَمْ يُشْكَرْ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا (٧)

<u>رابعا:الصحبة الصالحة</u> :من الأمور التي تعين على تحصيل الاستقرار النفسي، وبث روح الطمأنينة والسكينة في قلب العبد الصحبة الصالحة، فهي سبب رئيس، وعامل – لا غنى عنه–من عوامل تحقيق وتحصيل الطمأنينة والأمن

---

(١) الحلية لأبي نعيم، جـ٥/ ٣٤٠ .

(٢) الشكر لابن أبي الدنيا، صـ١١/ ١٨. .

(٣) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي أبو عبد الله الصادق، فهو الثقة ابن الثقة، ولد سنة٨٠هـ، ومات وَمَات سنة ١٤٨هـ، انظر [الثقات، جـ٦/١٣١ – تاريخ بغداد، جـ٧/٢٤٠ – الوافي بالوفيات، جـ١١/٩٨]

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين، ولد بالكوفة سنة ٩٧هـ خرج من الكوفة وسكن مكة والمدينة ثم انتقل إلى البصرة حتى مات بها سنة ١٦١ هـ ..انظر [الطبقات الكبرى، جـ٦/٣٥٠ - الأعلام للزركلي، جـ٣/١٠٤ – الثقات لابن حبان، جـ٦/ ٤٠١ – وفيات الأعيان، جـ٢/ ٣٨٦]

(٥) الدر المنثور للسيوطي، جـ٥/٨ - الحلية لأبي نعيم، جـ٣/١٩٣ –صفة الصفوة، جـ١/ ٣٩١

(٦) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك كان عالما عاملا واعظا صادقا قائلا فاعلا، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ ، وَكَانَت أمه خادمة لأم سَلمَة زوج رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وَكَانَت أمه مَتى راحت تقضي لسيدتها حَاجَة وَبكى جعلت ثديها فِي فَمه تشغله بذلك حَتَّى تَأتي أمه وَرُبمَا درت عَلَيْهِ وَكَانَ النَّاس يرَوْنَ أَن سَبَب بركته، توفي بها بالمدينة ١١٠هـ ..انظر : [الأعلام، جـ٢/٢٢٦ – معجم الأدباء، جـ٣/ ١٠٢٣ – السلوك في طبقات العلماء والملوك، جـ١/ ١٢٥ – ميزان الاعتدال، جـ١/ ٥٢٧]

(٧) الشكر لابن أبي الدنيا، صـ١١/١٧ .

النفسي، فالصاحب الصالح خير مُعين لصاحبه، يهديء من روعه، ويشاركه همومه، ويخفف من قلقه واضطرابه، ويقويه إن ضعف، ويثبته إن هزته الأحداث.

وإذا علمت أن أهل الصلاح والتقوى هم أكثر الناس أمنا وطمأنينة وسكينة فاعلم أن من صحبهم ناله حظ مما هم عليه من أمن وسكينة وطمانينة، يقول صاحب المنار: وَعُلَمَاءُ التَّرْبِيَةِ وَالْأَخْلَاقِ يَعُدُّونَ الصُّحْبَةَ وَالْمُعَاشَرَةَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ اقْتِبَاسِ كُلٍّ مِنَ الصَّاحِبَيْنِ مِنَ الْآخَرِ، فَيَحُثُّونَ عَلَى صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ، وَيُحَذِّرُونَ مِنْ صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ(١)، وَقَالَ أبو حامد الْغَزَالِيُّ: وَأَمَّا الْحَرِيصُ عَلَى الدُّنْيَا فَصُحْبَتُهُ سُمٌّ قَاتِلٌ لِأَنَّ الطِّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالِاقْتِدَاءِ بَلِ الطَّبْعُ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبْعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي صَاحِبُهُ فَمُجَالَسَةُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا تُحَرِّكُ الْحِرْصَ وَمُجَالَسَةُ الزَّاهِدِ تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا فَلِذَلِكَ تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة(٢)

فمن صحب الصالحين ناله من خيرهم وبركتهم، ويشهد لذلك قصة أصحاب الكهف، فإن الكلب لما صحب أولئك الصالحين شملته بركتهم، وذكره الله في كتابه، يقول ابن كثير : وَشَمَلَتْ كَلْبَهُمْ بَرَكَتُهُمْ، فَأَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ النَّوْمِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. وَهَذَا فَائِدَةُ صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ؛ فَإِنَّهُ صَارَ لِهَذَا الْكَلْبِ ذِكْرٌ وَخَبَرٌ وَشَأْنٌ(٣)، قال ابن عطية:وحدثني أبي رضي الله عنه، قال: سمعت أبا الفضل الجوهري(٤) في جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين

(١) تفسير المنار، جـ١٠/٣٩٣ .
(٢) الإحياء، جـ٢/ ١٧٣ .
(٣) تفسير ابن كثير، جـ٥/١٤٤
(٤) وَاعِظُ العَصْرِ، العَلاَّمَةُ أَبُو الفَضْلِ، عَبْدُ اللهِ بنُ الحُسَيْنِ المِصْرِيُّ، ابْن الجَوْهَرِيِّ، كَانَ أَبُوْهُ مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِين. توفي سنة ٤٨٠هـ ، انظر :[سير أعلام النبلاء، جـ١٤/ ٣١]

وأربعمائة: إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم، كلب أحب أهل فضل وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله[١]

وقد جاءت النصوص في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لتحث علي صحبة الأخيار، بل وتؤمر المسلمين بها .. فاحرص أخي المسلم على صحبة أهل الصلاح والتقوى .. استئنس بهم، واستمع لحديثهم واستفد من ثمرات كلامهم وتوجيهاتهم، ، تجد في صدرك انشراحاً وبهجة .

ففي سورة الكهف يأمر الله تعالى نبيه – والأمر يشمل أمته لا محالة – أن يصبر نفسه مع الثلة المؤمنة، فهم خير معين لك على هموم الدعوة ومشاقها، وعلى الشد من أزه في مواجهة طغيان قريش وصلفها، فقال تعالى (واصبر نَفسك مَعَ الَّذين يدعونَ رَبهم بِالْغَدَاةِ والعشي) [الْكَهْف: ٢٨]، أي: اصبر نفسك مع هؤلاء.. صاحبهم وجالسهم وعلمهم، ففيهم الخير، وعلى مثلهم تقوم الدعوات [٢] قال البقاعي[٣]:واصبر نفسك معهم، واكتفِ بهم، فإن الله جاعل فيهم البركة، وناصرك ومعز دينك بهم، وغير محوجك إلى غيرهم[٤] ، وقال السعدي عند تفسير هذه الآية: ... فيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى[٥] .

كذلك أمر الله عباده بصحبة الصادقين والحرص على معيتهم، فهم أهل سكينة وطمأنينة – كما تقدم – والصُّحْبَةَ تُؤَثِّرُ، فقَالَ تَعَالَى:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)[التوبة :١١٩]، وقد مر بنا قول ابن كثير في

---

(١) تفسير ابن عطية، جـ٣/٥٠٤ .

(٢) الظلال، جـ ٤/ ٢٢٦٨

(٣) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب، ولد سنة ٨٠٩هـ بقرية خربة روحا من عمل الْبِقَاع في سورية، وَنَشَأ بهَا ثمَّ تحول إِلَى دمشق ثمَّ فَارقهَا وَدخل بَيت الْمُقَدّس ثمَّ الْقَاهِرَة، ثمَّ عَاد إلى بدمشق وتوفي بها سنة ٨٨٥هـ [الأعلام للزركلي، جـ١/ ٥٦ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جـ١/١٠١ – معجم المؤلفين، جـ١/ ٧١ – ديوان الإسلام، جـ١/ ٢٥٤]

(٤) نظم الدرر، جـ١١/٨٨ .

(٥) تفسير السعدي، صـ ٤٧٥

معنى الآية: اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجا[١]، وقال صاحب روح البيان:(كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) والكينونة صورية وهى بملازمة اهل الصدق ومجالستهم ومعنوية وهى باتخاذ الاسرار وتحصيل المناسبة المعنوية فلا بد من الارتباط بواحد من الصادقين[٢]

ومن الأدلة القرآنية على أهمية الصحبة الصالحة ما جاء في كتاب الله تعالى أنه سبحانه لما كلف الله موسى بالرسالة وأمره أن يذهب إلى فرعون لينهاه عن طغيانه وكفره، ويدعوه إلى توحيد الحق تبارك وتعالى، تذكر موسى عليه ذلك القبطي الذي قتله خطئا، مما حمله على الخروج هاربا إلى مدين، إضف إلى ذلك علمه بشدة فرعون وكبره وطُغْيَانِهِ، واستشعر موسى خوفا في نفسه، فطلب موسى عليه السلام أن يرسل معه أخاه هارون، ليكون صاحب صدق على طريق الدعوة إلى الله، فذلك أدعى إلى شد أزره، وذهاب خوفه، وطمأنينة قلبه، إضافة إلى ما في هارون من رقة ولين وحِلْم وسعة صدر، يحتاجها موسى عليه السلام لما فيه حدة الطبع، وسرعة الانفعال[٣]، قال الرازي:إنما طلب موسى أن يكون هارون معه في الأمر ووزيرا له لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ لِلتَّعَاوُنِ عَلَى الدِّينِ وَالتَّظَاهُرِ عَلَيْهِ مَعَ مُخَالَصَةِ الْوُدِّ وَزَوَالِ التُّهْمَةِ مَزِيَّةً عَظِيمَةً فِي أَمْرِ الدُّعَاءِ إِلَى اللَّه، وَلِذَلِكَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ:(مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ)[آل عمران:٥٢] وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ (ﷺ) : (حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[الْأَنْفَالِ:٦٤]، فَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) مرقاة المفاتيح ـ، جـ٣١٣٧/٨

(٢) روح البيان، جـ٣٨/٥

(٣) تفسير القرطبي، جـ١٣٢/٦- روح البيان، جـ٢٦٥/٦ – تفسير اللباب، جـ٢٧٩/٧ - الظلال، ج٢٣٣٣/٤، جـ٢٥٨٩/٥ – التفسير المنير، جـ٣١/٩ – تفسير الشعراوي ج٩٢٦٢/١٥ .. قالوا : كان موسى سريع الغضب والانفعال للحق، سريع العودة إلى الحلم حينما يعود الحق إلى نصابه، ويعدل الظالم عن ظلمه [التفسير المنير، ج١١٠/٩ – التفسير الوسيط، د/ طنطاوي، جـ١٠٠/٩، ١٤٣]

وَاثِقًا بِأَخِيهِ هَارُونَ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَانَ فِي غَايَةِ الْمَحَبَّةِ لِصَاحِبِهِ وَالْمُوَافَقَةِ لَهُ فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَشُدَّ به أزره حتى يتحمل عنه ما يُمْكِنُ مِنَ الثِّقَلِ فِي الْإِبْلَاغِ(١)

ومما يبين أيضًا أثر الصحبة الصالحة في تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي وذهاب الحزن والقلق، ما كان بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه في الغار، وذلك حين جَاءَ الْمُشْرِكُونَ ووَقَفُوا عَلَى باب الْغَارِ فاعترى أبا بكر رضي الله الحزن، إشفاقا وخوفا منه على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال:يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، وإذا برسول الله يُسَلِّي صَاحِبَهُ وَيُثَبِّتُهُ ويهدئ من روعه ويكلمه بما يذهب حزنه وخوفه قائلا :يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما(٢)**، ثم زاده رسول الله (ﷺ) هدوءا وطمأنينة بقوله:(لا تحزن إن الله معنا)[التوبة:٤٠]**(٣)**، فلما سمع أبو بكر هذا القول سكن، إذ أنزل الله السَّكِينَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ على رسوله وعليه، فسكن جَأْشُهُ وَذَهَبَ رَوْعُهُ واطمأنت نفسه، وازداد قلب النبي (صلى الله عليه وسلم) طمأنينة وسكينة** (٤)

إن الإنسان حينما يعتريه الهم والحزن وتكتنفه أجواء من الحيرة والقلق، يحتاج قطعا إلى الصحبة الصالحة التي تأخذه من دوائر الهم والحيرة والقلق إلى واحة الطمأنينة والسكون النفسي، وقد نوه الله إلى ذلك في قوله تعالى:(ونرد على أعقابنا اَلَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ

(١) تفسير الرازي، جـ٢٢/ ٤٤ .

(٢) صحيح البخاري، باب مناقب المهاجرين، جـ٥/٤ح ٣٦٥٣ – صحيح مسلم، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، جـ٤/١٨٥٤ح ٢٣٨١ .

(٣) صحيح البخاري أ باب مناقب المهاجرين، جـ٥/٣ح ٣٦٥٢ – صحيح مسلم، باب في حديث الهجرة، جـ٤/ ٢٣٠٩ح٧٥ ..

(٤) تفسير اللباب، جـ٥/٦٠٢ - الشريعة للآجري، جـ٤/١٨٠٧ – الوجيز للواحدي، صـ٤٦٤ – تفسير القرطبي، جـ٨/١٤٨ – تفسير الجلالين، صـ٢٤٧ – فتح القدير، جـ٢/٤١٣ –تفسير المنار، جـ١٠/٣٧١ –الظلال، جـ٣/١٦٥٦ .

الْعَالَمِينَ)[الأنعام:٧١]، فذكر الأصحاب هنا على وجه الخصوص في تنبيه إلى كونهم من أسباب دفع الحيرة والقلق، والأخذ بيد صاحبهم من حالة الحيرة والاضطراب والقلق إلى طريق الهداية والرشاد، والذي فيه يكون أمنه وهدوئه وسكينته .

أما الدلالة من السنة على أهمية الجلساء الصالحين وأنهم من أسباب الراحة النفسية والسعادة ما روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم): إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)[١]، قال ابن بطال : وشبه الجليس الصالح بالعطار إن لم يصبك من متاعه لم تعدم طيب ريحه، ألا ترى قول لقمان لابنه: يا بنى جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة، كما يحيى الأرض الميتة بوابل السماء[٢]، وقال النووي: وَفِيهِ فَضِيلَةُ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْمُرُوءَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالنَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الشَّرِّ وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَمَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ أَوْ يَكْثُرُ فُجْرُهُ وَبَطَالَتُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمَذْمُومَةِ[٣]

وقال السعدي:ومثَّل النبي(صلى الله عليه وسلم) بهذين المثالين، مبيناً أن الجليس الصالح: جميع أحوالك معه وأنت في مغنم وخير.. فالخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر، فإنه إما أن يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يهدي لك نصيحة، أو يحذرك من الإقامة على ما يضرك. فيحثك على طاعة الله، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، ويبصرك بعيوب نفسك، ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، بقوله وفعله وحاله. فإن

---

(١) صحيح البخارى، باب المسك، جـ١٤/٧٣ح ٥٢١٣ - صحيح مسلم، باب اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَمُجَانَبَةِ قُرَنَاءِ السَّوْءِ، جـ٨/٣٧ح ٦٨٦٠

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال، جـ٤/ ٢٢

(٣) شرح النووي على مسلم، جـ١٦/١٧٨ .

الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جنود مجندة، يقود بعضها بعضاً إلى الخير، أو إلى ضده، وأقل ما تستفيده من الجليس الصالح –وهي فائدة لا يستهان بها–أن تكف بسببه عن السيئات والمعاصي، رعاية للصحبة، ومنافسة في الخير، وترفعاً عن الشر، وأن يحفظك في حضرتك ومغيبك، وأن تنفعك محبته ودعاؤه في حال حياتك وبعد مماتك، وأن يدافع عنك بسبب اتصاله بك، ومحبته لك[١].ومن السنة أيضا قوله (ﷺ): المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل [٢]، قال صاحب تحفة الأحوذي : قوله (عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ) أَيْ عَلَى عَادَةِ صَاحِبِهِ وَطَرِيقَتِهِ وَسِيرَتِهِ (فَلْيَنْظُرْ) أَيْ فَلْيَتَأَمَّلْ وَلْيَتَدَبَّرْ (مَنْ يُخَالِلْ) مِنَ الْمُخَالَّةِ وَهِيَ الْمُصَادَقَةُ وَالْإِخَاءُ فَمَنْ رَضِيَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ خَالَلَهُ وَمَنْ لَا تَجَنَّبَهُ فَإِنَّ الطِّبَاعَ سَرَّاقَةٌ وَالصُّحْبَةُ مُؤَثِّرَةٌ فِي إِصْلَاحِ الْحَالِ وَإِفْسَادِهِ [٣]

ومن المسلم به أن كثيرا من حالات القلق والتوتر والإضطراب النفسي يكون مرجعها إلى وساوس يلقيها الشيطان في قلب المرء وعقله، وأن الإنسان كلما جنح الإنسان إلى الوحدة كلما زادت تلك الوساوس، وزاد استحواذ الشيطان عليه، أما إذا عاش المرء في رحاب صحبة صالحة، فإن ذلك سيجعل الشيطان منه أبعد، ويصرف عنه كثيرا من تلك الوساوس، وقد نبه النبي(صلى الله عليه وسلم) إلى ذلك بقوله:(... فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ

(١) بهجة قلوب الأبرار، صـ١٥٦ .
(٢) مسند أحمد، جـ١٤٢/١٤ - المستدرك، الحاكم، جـ١٨٨/٤ح٧٣١٩ .
(٣) تحفة الأحوذي، جـ٤٢/٧ .

أَبْعَدُ[١]، وحذر النبي من الانفراد والوحدة فقال(ﷺ): لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكبٌ بليل وحده[٢] .

أضف لكل ما سبق أن الصحبة الصالحة تعين المرء على فعل الطاعات وعمل الصالحات، من صلاة وزكاة وصيام إلى ذكر وتلاوة وصدقة وغير ذلك من أعمال البر وصنائع المعروف، وكل ذلك له أثره في بث الطمأنينة والسكينة في قلب العبد ونفسه .

وأخيرا أقول إن رؤية الصالحين تريح النفس، وتشرح الصدر، وتذهب قسوة القلب، يؤيده ما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي ...، وعن الإمام مالك قال : كلما أجد في قلبي قسوة آتي محمد بن المنكدر[٣]، وكان يجتمع عنده الصالحون ليقتبسوا من هديه وصلاحه- فأنظر إليه نظرة فأتعظ بنفسي أياماً[٤]، وقال جعفر بن سليمان[٥]: كنت إذا وجدت في قلبي قسوة غدوت فنظرت إلى وجه محمد بن

---

(١) سنن الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ، جـ٤/٤٦٥ح ٢١٦٥، جـ٨/٢٨٤ح ٩١٧٥- مسند أحمد، جـ١/٢٦٩ح ١١٥، صحيح ابن حبان، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ لُزُومِ مَا عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَتَرْكِ الِانْفِرَادِ عَنْهُمْ بِتَرْكِ الْجَمَاعَاتِ، جـ١٠/٤٣٦ح ٤٥٧٦ – المعجم الأوسط للطبراني، جـ٣/٢٠٤ح ٢٩٢٩ – المعجم الصغير، جـ١/١٥٨ح ٢٤٥ .

(٢) صحيح البخاري، باب السير وحده، جـ ٤/٥٨ح٢٩٩٨ – سنن ابن ماجة، باب كراهية الوحدة، جـ٢/١٢٣٩ح٣٧٦٨ .

(٣) محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي المدني، ثقة فاضل، من الثالثة، وُلِدَ: سَنَةَ بِضْعٍ وَثَلَاثِيْنَ. مجمع على ثقته وتقدمه في العلم والعمل، قال ابن عيينة: كان من معادن الصدق، يجتمع إليه الصالحون مات سنة ثَلَاثِينَ وَمِائَة، [الثقات لابن حبان، جـ٥/ ٣٥٠ – تذكرة الحفاظ، جـ١/ ٩٥ – الوافي بالوفيات، جـ٥/ ٥٣]

(٤) مسند الموطأ للجوهري، جـ١/٢٢٤ .

(٥) جعْفَرُ بنُ سُلَيْمَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيُّ. ، صدوق زاهد، كان ينزل في بنى ضبيعة فنسب إليها كان يتقشف ويجالس الصالحين، لكنه يتشيع، ١٧٨هـ [السير، جـ٨/١٩٧ – الطبقات الكبرى، جـ٧/٢١٢ – مشاهير علماء الأمصار، صـ٢٥٢ – تذكرة الحفاظ، جـ١/١٧٦]

واسع[1]، وَكَانَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ وَجْهُ ثَكْلَى[2]، فإذا كانت رؤيتهم – فقط – تفعل هذا فما بالك بصحبتهم ؟!

خامسا:التراحم والتكافل المجتمعي : **وهو سبب قوي من أسباب الطمأنينة والأمن النفسي، ورافد من أهم روافده – التي يغفل عنه الكثيرون – وذلك بما يترتب عليه من سد خلة المحتاجين، وتفريج كرب المكروبين، وإدخال السكينة والطمأنينة على قلوب ذوي الخلة والحاجة والمسكنة.**

فمتى أيقن المرء أن مجتمعه لن يتخلى عنه إن أصابه كرب أو ألمت به ضائقة أو نزلت به حاجة، امتلأت نفسه أمنا، وسكنت في قلبه الطمأنينة.

لذلك حرص الإسلام على دعم وتزكية روح التكافل بين أبنائه، حتى لا يقلق فقير على أهله وولده، ولا أرملة على نفسها وصغارها، ولا أيتام على رزقهم وأقواتهم، ولا مريض على دوائه وعلاجه، ولا صاحب حاجة على نفسه وأهله .. ألخ .

إن المجتمع المسلم – كما أراده الله تعالى – مجتمع متراحم مترابط متكافل، وما الزكاة التي فرضها الله على أغنياءالمسلمين إلا وسيلة من الوسائل التي شرعها الإسلام لتحقيق ما ينشده من التراحم والتكافل بين أفراده، فالزكاة من خلال مصارفها الثمانية لاسيما الفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والغارمين وسهم فى سبيل الله، تقوي روابط الألفة والتواد في المجتمع، وتشيع أجواء الأمن والطمأنينة في بين أفراده، وذلك بما تحققه من تخفيف أو إزالة

---

(١)محمد بن واسع بن جابر الأزدي، أبو بكر: فقيه ورع، ثقة، من الزهاد. من أهل البصرة. عرض عليه قضاؤها، فأبى، توفي سنة ١٢٣هـ [الأعلام للزركلي، جـ٧/ ١٣٣ -الطبقات الكبرى، جـ٧/ ١٧٩ – تهذيب الكمال، جـ٢٦/ ٥٧٦ – سير أعلام النبلاء، جـ٦/ ١١٩ – الوافي بالوفيات، جـ٥/ ١١٣]

(٢) حلية الأولياء، جـ٦/٢٨٨- صفة الصفوة، جـ٢/١٥٩ – تاريخ دمشق، جـ٥٦/١٥٠ –سير أعلام النبلاء، جـ٦/٢٧٠

حدة التباغض والتحاسد بين طبقات هذا المجتمع، وذهاب الغل والطمع من نفوس الذين لا يملكون ما يكفيهم تجاه الذي يملكون ويتنعمون [١] .

وقد وصف الله تعالى علاقة المؤمنين ببعضهم البعض بأنها علاقة محبة وتراحم وتعاطف وتكافل فقال تعالى:(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ....)[التوبة:٧١]، قال ابن عباس:في الرحمة والمحبة[٢]، وقال القرطبي:أَيْ قُلُوبُهُمْ مُتَّحِدَةٌ فِي التَّوَادِّ وَالتَّحَابِّ وَالتَّعَاطُفِ[٣]، ثم وعدهم برحمته سبحانه فقال:(أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[التوبة :٧١]، ، قال صاحب الكشاف:(سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ)السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة[٤] .

ووصف النبي(صلى الله عليه وسلم) تلك العلاقة بقوله:(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى [٥]، أَي كَمَا ان الرجل اذا تألم بعض جسده سرى ذَلِك الالم الى جَمِيع بدنه فَكَذَا الْمُؤْمِنُونَ ليكونوا كَنَفس وَاحِدَة اذا أصَاب أحدهم مُصِيبَة يغتم جَمِيعهم ويقصدوا ازالتها[٦]، وقال النووي معلقا على هذا الحديث: فيه تعْظِيم حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّرَاحُمِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعَاضُدِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ[٧].وأثنى المولى سبحانه على أصحاب نبيه (ﷺ) بما كان بينهم من التراحم فقال تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ ..)[الفتح:٢٩]، قال القرطبي:أَيْ يَرْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا[٨]، ومدح في كتابه الكريم الأنصار بقوله عزوجل:(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى

---

(١) أنظر : الإنفاق العام فى الإسلام، إبراهيم فؤاد، ص١٧١ وما بعدها .(بتصرف)
(٢) الوسيط للواحدي، جـ٢/٥٠٩ .
(٣) القرطبي، جـ٨/٢٠٣ .
(٤) الكشاف، جـ٢/٢٨٩ .
(٥) صحيح مسلم، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، جـ٤/١٩٩٩ح ٢٥٨٦ .
(٦) التيسير بشرح الجامع الصغير، جـ٢/ ٣٧٣ .
(٧) شرح النووي على مسلم، جـ١٦/١٣٩ .
(٨) تفسير القرطبي، جـ١٦/٢٩٢ .

أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[الحشر:٩]، قال ابن كثير:أَيْ يُقَدِّمُونَ الْمَحَاوِيجَ عَلَى حَاجَةِ أنفسهم ويبدؤون بِالنَّاسِ قَبْلَهُمْ فِي حَالِ احْتِيَاجِهِمْ إِلَى ذَلِكَ (١).

والمؤمنون حقاً، هم أصحاب القلوب الرقيقة الرحيمة، الذين يشعرون بآلام الناس، فيرحمون ضعيفهم، ويواسون محرومهم، ويطعمون جائعهم، رغبة فيما عند الله تعالى، كما قال أخبر عنهم ربهم فى كتابه، فقال سبحانه:(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً*إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً)[الإنسان :٩].

أما الذين لا يعبأون بحاجات الناس، ولا يشعروف بآلامهم، فلا يرحمون ضعيفا، ولا يطعمون مسكينا، فهم على خطر عظيم، قال تعالى:(كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ*إِلاَّ أَصْحابَ الْيَمِينِ*فِي جَنَّاتٍ يَتَساءَلُونَ*عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) [المدّثر : ٣٨- ٤٤]، وقال في شأن من يأخذ كتابه بشماله:(إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ*وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ)[الحاقة :٣٤:٣٠]، قَالَ صَاحِبُ الْكَشَّافِ قَوْلُهُ: وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ فِيهِ دَلِيلَانِ قَوِيَّانِ عَلَى عِظَمِ الْجُرْمِ فِي حِرْمَانِ الْمَسَاكِينِ أَحَدُهُمَا: عَطَفَهُ عَلَى الْكُفْرِ وَجَعَلَهُ قَرِينَةً لَهُ وَالثَّانِي: ذَكَرَ الْحَضَّ دُونَ الْفِعْلِ لِيُعْلَمَ أَنَّ تَارِكَ الْحَضِّ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَتْرُكُ الْفِعْلَ!. (٢) **وقال سبحانه:(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ*فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ* فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ*الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ*الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ*وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ)[الماعون:١-٧]، فقررت السورة أن عدم المبالاة باليتيم والمسكين مِنْ دَلَائِلِ التكذيبِ بالدِّينِ وموجباتِ الذمِّ**

(١) تفسير القرطبي، جـ١٦/٢٩٢ .
(٢) الكشاف، جـ٤/٦٠٥ .

والتوبيخِ[1]، وانظر كيف جَعَلَ سبحانه دَعَّ الْيَتِيمِ – وَهُوَ دَفْعُهُ وَجَرُّهُ بِعُنْفٍ – أَوَّلَ آيَاتِ التَّكْذِيبِ بِالدِّينِ[2].

لقد جعل القرآن الكريم التراحم والتكافل المجتمعي والتواصي به من أقوى علامات ودلالات الإيمان فقال تعالى:(فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة، ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)[البلد:١١-١٧]، قال ابن عطية:المراد بالمرحمة: التراحمُ والتعاطُفُ بينَ الناسِ، وفي ذلك قِوَامُ الناس ولو لم يتراحموا جملة لهلكوا[3]، قال صاحب الظلال: والتواصي بالمرحمة، هو أمر زائد على المرحمة، إنه إشاعة الشعور بواجب التراحم في صفوف الجماعة عن طريق التواصي به، والتحاض عليه، واتخاذه واجبا جماعيا فرديا في الوقت ذاته، يتعارف عليه الجميع، ويتعاون عليه الجميع[4].

وأثنى رسول الله(صلى الله عليه وسلم)على الأشعريين لتراحمهم وتكافلهم فقال:(إن الأشعريين إذا أرملوا[5] فى الغزو أو قل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم) [6].

وحث أمته على التكافل والتراحم فقال(صلى الله عليه وسلم):(من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد .. ومن كان له فضل ظهر فليعد به على

---

(١) تفسير أبي السعود، جـ٩/ ٢٠٤ .
(٢) تفسير المنار جـ٢/٢٧٢
(٣) المحرر الوجيز، جـ٥/٤٨٦ .
(٤) الظلال، جـ٦/٣٩١٣ .
(٥) أي : فني طعامهم ونفد زادهم :(شرح النووي على مسلم، جـ١٦/٦٢ – فتح الباري، جـ١/١٢٥].
(٦) صحيح البخارى، كتاب الشركة، باب الشركة فى الطعام، ج٣/١٨١ ـ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين، ج٧/١٧١ ـ مسند أبى يعلى، ج١٣/٢٩٣، ح٧٣٧٩ .

من لا ظهر له.... قال أبو سعيد الخدرى: فذكر رسول الله(صلى الله عليه وسلم) من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل..)[١]**، كذلك قال(صلى الله عليه وسلم): (من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربع فخامس، أو سادس)**[٢] **وقال أيضًا:(ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم)** [٣] وقال **(صلى الله عليه وسلم):(أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله)** [٤] **وقال(صلى الله عليه وسلم :(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيام)** [٥]**.**

ذلك كله لما يترتب يدخله التكافل والتراحم من السكينة والطمأنينة على قلوب الفقراء والمحتاجين، ولما في التكافل والتراحم من التسرية عن المهمومين والمكروبين، ولما يترتب عليه – كذلك- من قوة أواصر الأخوة والألفة والمحبة بين أفراد المجتمع.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القطة، باب استحباب المواساة بفضول المال، ج١٣٨/٥، ١٣٩ ـ سنن أبى داود، كتاب الزكاة، باب فى حقوق المال، ج١٢٥/٢، ١٢٦، ح ١٦٦٣ ـ مسند أحمد، ج٣٤/٣ ـ سنن البيهقى، كتاب الزكاة، باب كراهية إمساك الفضل وغيره محتاج إليه، ج١٨٢/٤، كتاب الضحايا، باب صاحب المال لا يمنع المضطر فضلاً إن كان عنده، ج٣/١٠ ـ صحيح ابن حبان، كتاب اللباس وآدابه، ج٣٩٢/٧، ح٥٣٩٥ .

(٢) صحيح البخارى، كتاب الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل، ج١٥٦/١ ـ باب علامات النبوة قبل الإسلام، ج٢٣٦/٤ ـ مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، ج١٣٠/٦ ـ مسند أحمد، ج١٩٨/١ ـ فتح البارى، ابن حجر، ج٩٠/١.

(٣) المعجم الكبير، ج٢٥٩/١، ح ٧٥١، مصنف ابن أبى شيبة، كتاب الإيمان والرؤيا، ج٢١٨/٧.

(٤) مسند أحمد، ج٣٣/٢ ـ المعجم الأوسط، ج٢١٠/٢، ح٨٤٢٦ ـ مسند أبى يعلى، ج١١٥/١٠، ح٥٧٤٦ ـ المستدرك، كتاب البيوع، جح١٢/٢، وفيه سنده عمرو بن الحصين وأصبغ بن زيد قال الذهبى عمرو تركوه وأصبغ فيه لين ـ ضعفه الألبانى فى ضعيف الترغيب والترهيب، ج٢٧٥/١، ح١١٠٠ .

(٥)-صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، ح ٢٢٦٢ – صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، ح ٤٦٥٠ .

وليس التراحم والتكافل المجتمعي سببًا في ذهاب قلق ذوى الخلة والحاجة فقط، بل هو سبب في ذهاب قلق أهل العطاء والإحسان أيضًا، فإن الطمأنينة والأمن والسعادة كل السعادة إنما تكمن في إسعاد الآخرين في تفريج كروبهم وطمأنة قلوبهم .. فالنفس بطبيعتها – كما ذكرت ذلك سابقا – تهتز للكرم وتفرح للجود، وتجد الراحة والطمأنينة في مواساة الغير، وإدخال السرور عليه، فإذا كان آخذ الزكاة أو الصدقات يفرح بها ويسعد وينشرح صدره، ويذهب همه، فإن المعطي لا يقل عنه فرحا وسعادة وإنشراح صدر، فقد نفي القرآن الحزن والخوف عن أهل الإنفاق والعطاء فقال تعالى : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[البقرة: ٢٦٢]، وقال سبحانه: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة: ٢٧] ووعدهم ربنا في كتابه أن يسهل لهم أمورهم، ويصلح بالهم، ويرْشِدُهُم لِأَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وويسر لهم فعل الطاعات وعمل المعروف والمعروف[١]، فقال عز وجل:(فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى)[الليل:٧-٥]، قال أبو حيان:أَيْ نُهَيِّئُهُ لِلْحَالَةِ الَّتِي هِيَ أَيْسَرُ عَلَيْهِ وَأَهْوَنُ وَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[٢]، وقال الدكتور طنطاوي:أى: فسنهيئه للخصلة التي توصله إلى اليسر والراحة وصلاح البال، بأن نوفقه لأداء الأعمال الصالحة التي تؤدى إلى السعادة[٣].

وهذا أمر مجرب مشاهد فأن الإنسان إذا أنفق نفقة يبتغي بها وجه الله انشرح صدره، وسُرت نفسه، واطمأن قلبه، وصلح باله، وتيسرت أموره، وقد أوضح ذلك ابن القيم – رحمه الله – في زاد المعاد فقال:وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ

(١) انظر : تفسير ابن جزي، جـ٢/٤٨٨ - تفسير القرطبي، جـ٢٠/٨٣ – السراج المنير، جـ٤/٥٤٥ – تفسير السعدي، صـ٩٢٦ .

(٢) انظر : تفسير أبي حيان، جـ١٠/٤٩٣ .

(٣) انظر : التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي، جـ١٥/٤٢٠ .

الصَّدْرِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالنَّفْعِ بِالْبَدَنِ وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ فَإِنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَعْظَمُهُمْ همًّا وَغَمًّا. وَقَدْ "ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي الصَّحِيحِ مَثَلًا لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا هَمَّ الْمُتَصَدِّقُ بِصَدَقَةٍ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ حَتَّى يَجُرَّ ثِيَابَهُ وَيُعْفِيَ أَثَرَهُ، وَكُلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ لَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا وَلَمْ تَتَّسِعْ عَلَيْهِ[1]فَهَذَا مَثَلُ انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَصَدِّقِ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ، وَمَثَلُ ضِيقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ، وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ[2].

يقول السعدي في الوسائل المفيدة:ومن الأسباب التي تزيل الهم والغم والقلق، الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، وأنواع المعروف، وكلها خير وإحسان، وبها يدفع الله عن البر والفاجر الهموم والغموم بحسبها، ولكن للمؤمن منها أكمل الحظ والنصيب، ويتميز بأن إحسانه صادر عن إخلاص واحتساب لثوابه، فيهون الله عليه بذل المعروف لما يرجوه من الخير، ويدفع عنه المكاره بإخلاصه واحتسابه[3]

ويقول آخر:سعدت بمعرفة أكثر من صديق من رجال الأعمال من أصحاب الملايين، فيهم من رعى حق المال وأنفق في سبيل الله، فهؤلاء عرفت فيهم هدوء النفس وراحة الضمير وطمأنينة القلب، وفيهم من استعبدهم جمع المال وإنفاقه في غير الأوجه الصحيحة، فما وجدتهم إلا مرهقي النفس مثقلي الضمير حياتهم مضطربة والقلق يحيط بهم من كل جانب[4]

(١) صحيح مسلم، باب مثل المنفق والبخيل، جـ٢/٧٠٨ح ١٠٢١ .
(٢) زاد المعاد، جـ٢/ ٢٤ .
(٣) الوسائل المفيدة، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، صـ٩ .
(٤) القلق وكيف تتخلص منه، د :زهير السباعي، د: شيخ إدريس عبد الرحيم، صـ٨٣.

سادسا وأخيرا:سلامة الصدر:وهو من أخلاق الإسلام العظيمة، بل هو من أجل أخلاق الأبرار، ومن تحلى به فقد فاز بالحظ الأوفر من الطمأنينة والسكينة وراحة الفكر وصلاح البال، وصفاء الذهن، وهدوء النفس.

وسلامة الصدر– أو القلب – تعنى: نقاء القلب وخلوه من الشرك والغل والحقد والحسد والكراهية والبغضاء والضغينة، وقد عرف ابن القيم القلب السليم بقوله: هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ وَالْغِلِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالشُّحِّ وَالْكِبْرِ وَحُبِّ الدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ، فَسَلِمَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ تُبْعِدُهُ عَنِ اللَّهِ (١)

وكلما خلص قلب المرء من هذه الأدران، صفت نفسه، وطابت سريرته، وكان من الله أقرب – فأقرب القلوب من الله أنقاها وأصفاها – وأثمر ذلك طمأنينة في القلب وراحة في النفس وانشراحا في الصدر.

يقول ابن القيم:صاحب الْقَلْبُ السَّلِيمُ فِي جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ فِي الدُّنْيَا، وَفِي جَنَّةٍ فِي الْبَرْزَخِ، وَفِي جَنَّةِ يَوْمِ الْمَعَاد(٢) .

ويقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه خلق المسلم: ليس أروح للمرء، ولا أطرد لهُمومه، ولا أقرَّ لعينه من أن يعيش سليمَ القلب، مبرَّأً مِن وساوس الضَّغينة، وثوران الأحقاد(٣) .

ويقول ابن جزي(٤)عن خلق سلامة الصدر:إنه يُثمر طيب النَّفس وسماحة الْوَجْه وَإِرَادَة الْخَيْر لكل أحد والشفقة والمودة وَحسن الظَّن وَيذْهب الشحناء

(١) الجواب الكافي، صـ١٢٢.
(٢) السابق، صـ١٢٢.
(٣) خلق المسلم، محمد الغزالي، صـ٨٦، ط١، دار الريان، القاهرة، ١٩٨٧ .
(٤) محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي نسبة إلى قبيلة كلب بن وبرة إحدى القبائل اليمنية، ويعرف بابن جزيّ، ولد سنة ٦٩٣هـ في مدينة غرناطة، ، كان إماماً في الأصول والفقه والتفسير والحديث واللغة أديباً فاضلاً، رضي الخلق، عذب الشمائل.. أكرمه الله بالشهادة سنة ٧٤١هـ في موقعة طريف مع النصارى، [غاية النهاية، جـ٢/٨٣ - معجم المؤلفين، جـ٨/٢٨٥ – الإحاطة فى أخبار غرناطة، جـ٣/١٢)

والبغضاء[١]، ويقول المحاسبي[٢]:مَا رَأَيْت أنفى للوسواس من ترك الفضول وَلَا أنور للقلب من سَلامَة الصَّدْر[٣]

أما من ملأ قلبه بالضغائن، وعششت فيه الكراهية، وران عليه سواد الحقد والغل والحسد، فلا ينتظر إلا الهم والغم والكرب والشقاء، قال حذيفة المرعشي[٤]: إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: عَيْنَاكَ وَلِسَانُكَ وَهَوَاكَ وَقَلْبُكَ ، فَانْظُرْ عَيْنَيْكَ لَا تَنْظُرْ بِهِمَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ ، وَانْظُرْ لِسَانَكَ لَا تَقُلْ بِهِ شَيْئًا يَعْلَمُ اللَّهُ خِلَافَهُ مِنْ قَلْبِكَ،وَانْظُرْ قَلْبَكَ لَا يَكُنْ فِيهِ غِلٌّ وَلَا دَغَلٌ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَانْظُرْ هَوَاكَ لَا تَهْوَ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ،فَمَا دَامَ لَمْ تَكُنْ فِيكَ هَذِهِ الْأَرْبَعُ خِصَالٍ فَأَلْقِ الرَّمَادَ عَلَى رَأْسِكَ فَقَدْ شقيت[٥].

ولقد مدح الله تعالى في كتابه المجيد نبيه إبراهيم عليه السلام بسلامة قلبه فقال تعالى:(وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ *إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[الصَّافَّاتِ:٨٤:٨٣] أي سليم من الشِّرْكِ وَمن الشَّكِّ وَمن الْغِلِّ وَالْغِشِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ والغل والخديعة والرياء، قال ابْنِ عَبَّاسٍ:أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ[٦]، قال السعدي:(إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من الشرك والشبه،

---

(١) القوانين الفقهية لابن جزي، صـ٢٨٥ . .

(٢) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد العارف المشهور، صَاحب المصنّفات فِي أَحْوَال الْقَوْم، سمى المحاسبى لِكَثْرَة محاسبته لنَفسِهِ، توفي سنة٢٤٣هـ [وفيات الأعيان، جـ٢/٥٨ – تهذيب الكمال، جـ٥/٢٠٨ –الوافي بالوفيات، جـ١١/١٩٨- طبقات الشافعية للسبكي، جـ٢/٢٧٥]

(٣) رسالة المسترشدين للمحاسبي، صـ١٦٢ .

(٤) حُذَيْفَة بن قَتَادَة المرعشى من الْعباد المتواضعين، صحب سفيان الثوري وروى عنه، خدم إبراهيم الخواص رضي الله عنه وصحبه مدة، ، مِمَّن لَا يَأْكُل إِلَّا الْحَلَال الْمَحْض سكن أنطاكية، مَاتَ سنة ٢٠٧هـ [الثقات لابن حبان، جـ٨/٢١٥ – سير أعلام النبلاء، جـ٨/٥١ – بغية الطلب في تاريخ حلب، جـ٥/٢١٤٥- صفة الصفوة، جـ٢/ ٤١٢- المستطرف في كل فن مستطرف، جـ١/ ١٥٨]

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم، جـ١٢/١٦٨ – صفة الصفوة، جـ٢/٤١١

(٦) تفسير الرزي، جـ٢٦/ ٣٤١ –تفسير الخلزن، جـ٤/ ٢١ – الوسيط للدكتور طنطاوي، جـ١٢/٩٥ .

والشهوات المانعة من تصور الحق، والعمل به، وإذا كان قلب العبد سليما، سلم من كل شر، وحصل له كل خير، ومن سلامته أنه سليم من غش الخلق وحسدهم، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق(١)

وقطعا فإن سلامة الصدور كانت من أسباب تلك الطمأنينة التي عاشها الصحابة، وملأت قلوبهم ونفوسهم أمنا وراحة وسكينة، وقد مدح الله تعالى الأنصار بهذا الخلق النبيل فقال تعالى:(وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا)[الحشر:٩] أى لا يجدون في صدورهم حقدا ولا حسدا على إخوانهم المهاجرين لما فضلوا به عليهم من سبق الإيمان، وسبق الصحبة، وسبق المنزلة، وشرف القرابة، قال ابن كثير: أَيْ وَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَسَدًا لِلْمُهَاجِرِينَ فِيمَا فَضَّلَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ وَالشَّرَفِ، وَالتَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ وَالرُّتْبَةِ (٢)

وبشر الله صاحب القلب السليم بالفوز والنجاة في الآخرة فقال سبحانه: خص بالفوز والنعيم فقال سبحانه:(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ*إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [الشعراء: ٨٧ :٨٩]

ووعد الله أهل الصفح والعفو والتسامح، أصحاب القلوب السليمة، الذين انتصروا على شح نفوسهم المعنوي، بالفلاح في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه :(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر:٩] .

فشح النفس منه ما هو مادي كالشح بالمال والأكل والشرب وغيره، وما هو معنوى كالشح بالعفو والصفح والتسامح وغيره، وكلاهما مرض عضال، لا سيما المعنوي منه فإنه يذهب بسلامة الصدر، فينكد على صاحبه عيشه، ويذهب بأمنه وسكينته، فضلا عما يلحق به في الآخرة، أما من يوق شح نفسه، فيجود بالعفو والصفح والتسامح، ويحيا سليم الصدر من الأحقاد

(١) تفسير السعدي، صـ٧٠٥ .
(٢)، تفسير ابن كثير، جـ٦٩/٨ . .

والضغائن والغل والحسد، سكنت نفسه، وطاب عيشه، واطمأن قلبه، ونال الفلاح الذي وعده الله إياه في الدنيا والآخرة .

ومن دعاء أهل الإيمان:(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر:١٠].

ومما صح عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه أوصى شداد بن أوس فقال:(يا شداد بن أوسٍ! إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فأكثر هؤلاء الكلمات: اللهم! إني أسألك الثبات في الأمرِ، والعزيمة على الرُّشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتِك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً[(١)]، وصح عنه (صلى الله عليه وسلم) كذلك أنه كان يدعو يقول: رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قلبي[(٢)]، أَيْ غِشَّهُ وَغِلَّهُ وَحِقْدَهُ وَحَسَدَهُ وَنَحْوَهَ، مِمَّا يَنْشَأُ مِنَ الصَّدْرِ وَيَسْكُنُ فِي الْقَلْبِ مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ ....، وَسَلُّهَا إِخْرَاجُهَا وَتَنْقِيَةُ الصَّدْرِ مِنْهَا [(٣)]، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول فيما رواه عنه ابن مسعود:

(١) الدعاء للطبراني، صـ٢٠٢ح ٦٣١ – حلية الأولياء، جـ١/ ٢٦٥ - صححه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء، جـ١/٦٨٨ح ١٨٧٢ - وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ٧/٦٩٥ح ٣٢٢٨ .

(٢) سنن أبي داود، بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا سَلَّمَ ، جـ٢/٨٣ح ١٥١٠ - سنن ابن ماجة، بَابُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جـ٢/١٢٥٩ح ٣٨٣٠ - صححه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء، جـ١/٧٠١ح ١٩١٠ - والألباني في صحيح الجامع، جـ١/٦٥٦ح ٣٤٨٥ .

(٣) تحفة الأحوذي، جـ٩/٣٧٨ - مرقاة المفاتيح، جـ٥/١٧٢٤، عون المعبود، جـ٤/٢٦٤ .

لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإن أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر(١) .

وأخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن صاحب القلب السليم هو أفضل الناس حالا في الدنيا والآخرة، فعن عبد الله بن عمرو قال: قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ» قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ(٢)**، قال غير واحد: قوله(مَخْمُومِ الْقَلْبِ)أي سليم القلب، مِنْ خَمَمْتَ الْبَيْتَ إِذَا كَنَسْتَهُ** (٣) .

وعن أنسٍ أن النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) قال لأصحابِهِ ثلاثةَ أيامٍ: "يطلُعُ عليكم الآنَ رَجُل مِن أهلِ الجنةِ" فيطلُعُ رجل واحدٌ، فاستضافهُ عبدُ اللَّهِ بن عمرو، فنامَ عنده ثلاثاً لينظرَ عملَه، فلم ير له في بيته كبيرَ عملٍ، فأخبرَه بالحال، فقال له: هو ما ترى، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلًّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسُدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ (٤).

وهذا أبو دجانة رضي الله عنه فقد دخل عليه إخوانه وهو مريض فرأوا وجهه يتهلل، فقيل له:ما لوجهك يتهلل؟ فقال:ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، -والأخرى- وكان قلبي للمسلمين سليماً (٥)

---

(١) سنن أبي داود، بَابٌ فِي رَفْعِ الْحَدِيثِ مِنَ الْمَجْلِسِ، جـ٤/٢٦٥ح ٤٨٦٠ – جامع الترمذي، بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جـ٥/٧١٠ح ٣٨٩٦ – ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، صـ ٥٢٢ .

(٢) سنن ابن ماجة، بَابُ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، جـ٢/٤٢١٦ح٤٢١٦ – صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ٢/٦٣٢ح٩٤٨ .

(٣) مرقاة المفاتيح، جـ٨/٣٢٦٧ .

(٤) انظر : مسند أحمد، جـ٢٠/ ١٢٥ - السنن الكبرى للنسائي، جـ٩/٣١٨ح ١٠٦٣٣ جامع معمر بن راشد، جـ١١/٢٨٧ح ٢٠٥٥٩ – ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، جـ٢/١٣٢ح ١٧٢٨ .

(٥) انظر :الجامع لابن وهب، صـ٤٣٥ح ٣١٩ – الصمت لابن أبي الدنيا، صـ ٩٥ .

وكان أبو ضمضم إذا أصبح يقول:اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك، وكم أعجب رسول الله (ﷺ) بهذا الصنيع الجميل حتى إنه يقول لأصحابه : أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم الُوا: يارسول الله، ومَن أَبُو ضمضم؟ قال: كان رجلا قَبْلَنَا، كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك[1]، قال ابن القيم – رحمه الله– معلقا على هذا الحديث: وَفِي هَذَا الْجُودِ مِنْ سَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَرَاحَةِ الْقَلْبِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ مُعَادَاةِ الْخَلْقِ مَا فِيهِ[2].

ولما كان لسلامة الصدور أثر كبير في بث روح السكينة والطمأنينة في قلوب أفراد الأمة فضلاً عما يترتب عليها من زيادة أواصر الأخوة والمودة والألفة، نهى النبي(صلى الله عليه وسلم) عن كل ما يوغر الصدور، ويذهب بصفاءها، أو يُنقص من نقاءها، فقال (ﷺ): لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا، وكذلك قوله:لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ[3]، وأرشد النبي (ﷺ) المسلم إلى بعض من أفعال الخير التي تعينه على التخلص مما يجد في قلبه من ذلك فقال:أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ

(١) سنن أبي داود، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يُحِلُّ الرَّجُلَ قَدْ اغْتَابَهُ، جـ٤/٢٧٢ح ٤٨٨٦ – مصنف عبد الرزاق، جـ٩/٧٧ح ١٦٤٠٨ – مسند البزار، جـ١٣/٣٠٢ح ٦٨٩٢ – شعب الإيمان، جـ١٠/٤١٨ح ٧٧٢٧ – أورد الألباني في إرواء العليل، جـ٨/٣٤ح ٢٣٦٧، وقال : رجاله ثقات ، غير أن عبد الرحمن بن عجلان تابعى مجهول الحال ، فهو مرسل ضعيف .

(٢) مدارج السالكين، ج، ٢/ ٢٨١ .

(٣) صحيح مسلم، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، جـ٤/١٩٨٦ح ٢٥٦٤ .

مِنْ كُلِّ شَهْرٍ[1]، وقال تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ[2]، ووحر الصدر:هو ما فيه من الغل والغش والحقد والحسد والعداوة [3] .

إن سلامة الصدور سبب عزيز لتحصيل السكينة والأمن النفسي، ومن استطاع أن يتحلى بهذا الخلق، عاش في سعادة وطمأنينة وراحة بال، يعز على غيره نوالها، ويكفي صاحب القلب السليم نجاته من نار الحسد وجمر الحقد ومرارة الكراهية وشؤم البغضاء وهم العداوات وتلك نعمة – وأي نعمة – يقول ابن القيم وهو يتحدث عن سلامة الصدر ونعمة فراغه من الحقد والكراهية والرغبة في الثأر والانتقام: .... وَهَذَا مَشْهَدٌ شَرِيفٌ جِدًّا لِمَنْ عَرَفَهُ، وَذَاقَ حَلَاوَتَهُ. وَهُوَ أَنْ لَا يَشْتَغِلَ قَلْبُهُ وَسِرُّهُ بِمَا نَالَهُ مِنَ الْأَذَى، وَطَلَبِ الْوُصُولِ إِلَى دَرْكِ ثَأْرِهِ، وَشِفَاءِ نَفْسِهِ. بَلْ يُفَرِّغُ قَلْبَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَرَى أَنَّ سَلَامَتَهُ وَبَرْدَهُ وَخُلُوَّهُ مِنْهُ أَنْفَعُ لَهُ. وَأَلَذُّ وَأَطْيَبُ. وَأَعْوَنُ عَلَى مَصَالِحِهِ[4]

ورحم الله القائل :

"لَمَّا عَفَوْتُ، وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ..... أَرَحْتُ نَفْسِيَ مِنْ هَمِّ العَدَاوَات [5].

(١) سنن النسائي الصغرى، باب صَوْمُ ثُلُثَيِ الدَّهْرِ، جـ٤/٢٠٨ح٢٣٨٦ – مسند أحمد، جـ٣٤/٣٤٢ - المعجم الكبير للطبراني، جـ٩/٢٠١ح٨٩٨٤ - صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، صـ٢٥٠/١٠٣٦ .

(٢) سنن الترمذي، بَابٌ فِي حَثِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التَّهَادِي، جـ٤/٤٤١ح٢١٣٠ – ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، صـ٢٤٣

(٣) انظر : فيض القدير، جـ٣/ ٢٧٢ - شرح السنة للبغوي، جـ٦/١٤١ – حاشية السيوطي على سنن النسائي، جـ٤/٢٠٥ – مرقاة المفاتيح، جـ٥/ ٢٠١٣ - .

(٤) مدارج السالكين، جـ٢/٣٠٤

(٥) البصائر والذخائر، جـ٨/١٩٠- اللطائف والظرائف للثعالبي، صـ١٤٠

الخاتمة

الحمد لله، وصلاةً وسلامًا على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد..

فقد تم بحمد الله تعالى هذا البحث، بعد رحلة من التردد في كتابته استمرت لمدة عام تقريباً، خشية ألا يخرج على الوجه المطلوب، ثم رحلة أخرى من العمل والجمع والتدوين والترتيب، بعد أن شرح الله صدري لكتابته .

وقد أوردت فيه ما وفقني الله في الوصول إليه من أسباب – مدعومة بالأدلة – لتحقيق الأمن النفسي، الذي أصبح مطلبًا يعز تحقيقه، ويندر وجوده، وتتوق إليه الأفئدة، وتهفو إليه الأنفس والقلوب .

نسأل الله أن يمن علينا جميعًا بالأمن والطمأنينة والسلامة والسكينة في الدنيا والآخرة، وأن ينفع بهذه الصفحات من قرأها من المسلمين .

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالين)

قائمة المراجع

أولاً : كتب العقيدة والتفسير وعلوم القرآن ·

(١) الاقتصاد في الاعتقاد أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٤ م

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(٤) الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر، احمد البيانوني، ط٢، دار السلام، ١٩٨٥م .

(٥) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ .

(٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة (ت: ١٢٢٤هـ) ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٢م .

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .

(٨) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ .

(٩) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري (ت:١٣٩٢هـ)، ط٣، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ .

(١٠) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ١٤١٦ هـ

(١١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ .

(١٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(١٣) تفسير الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، ط١، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧ هـ .

(١٤) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ط، دار الحديث، القاهرة .

(١٥) التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، محمد عزة دروزة، ط١، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٣٨٣ هـ

(١٦) تفسير السمرقندى المسمى بحر العلوم، أبو الليث نصربن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى، (ت ٣٧٥هـ) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م .

(١٧) تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ

(١٨) (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م

(١٩) تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، المعروف بابن أبي زَمَنِين (ت: ٣٩٩هـ)، ط١، الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤٢٣هـ

(٢٠) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩

(٢١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت : بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة .

(٢٢) تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ٠

(٢٣) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م

(٢٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط١٠، دار الفكر، دمشق، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.

(٢٥) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت:٧١٠هـ)، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

(٢٦) التفسير الواضح ، محمد محمود حجازي، ط١٠، دار الجيل الجديد، بيروت، ، ١٤١٣ هـ .

(٢٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط١ .دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة .

(٢٨) تفسير آيات من القرآن الكريم، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ)، جمعية الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(٢٩) تفسير سورة البقرة، لأبي عبدالله محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، الناشر: ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٣هـ.

(٣٠) التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة

(٣١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت:

١٣٧٦هـ)، ط١ ، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .

(٣٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ط٣، دار المعارف، مصر

(٣٣) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١هـ)، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٩٦٤ م .

(٣٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)، ط٤، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٤١٨ هـ

(٣٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت : ٨٧٥هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، – ١٤١٨ هـ

(٣٦) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، دار صادر – بيروت

(٣٧) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت .

(٣٨) درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .

(٣٩) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي، (٦٦١هـ) ط١، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ٢٠٠٨م

(٤٠) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت .

(٤١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت : ١٢٧٠هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ .

(٤٢) الروح، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت

(٤٣) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت : ٥٩٧هـ)، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٢٢ هـ .

(٤٤) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت : ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥ هـ

(٤٥) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:

٩١١هـ)، ط١، دار المعرفة – لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

(٤٦) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت: ٧٩٢هـ)، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٨ هـ .

(٤٧) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (ت: ٧٩٣هـ)، ط١، دار المعارف النعمانية – باكستان، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

(٤٨) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، ط٤، دار الثريا للنشر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

(٤٩) الصارم المسلول على شاتم الرسول، : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، الحرس الوطني السعودي، السعودية .

(٥٠) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ١٩٩٧ م .

(٥١) طريق الهداية – مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، محمد يسري، ط٢، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

(٥٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ

(٥٣) فضائح الباطنية، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، طبعة دار الكتب الثقافية – الكويت

(٥٤) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ)، ط١، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

(٥٥) الفوز الأصغر، الإمام الحكيم أبو على أحمد المعروف بابن مسكويه، طبعة بيروت، ١٣١٩هـ

(٥٦) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، ط١٧، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ، ١٤١٢ هـ .

(٥٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت : ٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧ هـ .

(٥٨) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت : ٤٢٧هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م .

(٥٩) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ .

(٦٠) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت : ٧٧٥هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .

(٦١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت : ٤٦٥هـ)، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر .

(٦٢) لوامع الأنوار، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، ط٢، مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٤٠٢ هـ .

(٦٣) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت : ١٣٣٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٨ هـ ٠

(٦٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢ هـ

(٦٥) معارج القدس في مدراج معرفة النفس، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، ط٢، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٧٥

(٦٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م .

(٦٧) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

(٦٨) معجم تفاسير القرآن، د/ عبد القادر زمامة وآخرون، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، سنة ١٩٩٧.

(٦٩) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت : ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ .

(٧٠) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، ط١، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ١٤١٢ هـ ٠

(٧١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت : ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

(٧٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت : ٤٣٧هـ)، ط١، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ٠

(٧٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، ط١، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ١٤١٥ هـ

(٧٤) الوسطية في القرآن الكريم، الصلابي، مكتبة الصحابة الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة، ط١ن

٢٠٠١ م .

(٧٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

(٧٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

ثانيا : كتب الحديث وعلوم السنة

(١) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، ط٣، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ١٤٠٩ - ١٩٨٩

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، ، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي (ت : ١٠٣١هـ)، ط٣، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٩٨٨م .

(٥) الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (ت: ١٥٣هـ)، ط٢، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ١٤٠٣ هـ .

(٦) جامع العلوم والحكم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، ط٧، مؤسسة الرسالة – بيروت ن ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

(٧) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ .

(٨) الجامع في الحديث لابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت: ١٩٧هـ)، د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية أصول الدين – القاهرة، ط١، دار ابن الجوزي – الرياض، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

(٩) حاشية السندي على سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت: ١١٣٨هـ)، ط٢، دار الجيل – بيروت .

(١٠) حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع السنن)، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت: ١١٣٨هـ)، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦ -

١٩٨٦

(١١) الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، صـ ٣١٥، ط٥، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٥م

(١٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت : ٤٣٠هـ)، الناشر: مكتبة السعادة – مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م

(١٣) الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت

(١٤) الدعوات الكبير، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ط١، غراس للنشر والتوزيع – الكويت، ٢٠٠٩ م

(١٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت: ١٠٥٧هـ)، ط٤، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

(١٦) الزهد لأبي داود السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، ط١، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ١٩٩٣ م

(١٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة، : أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض .

(١٨) سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ) (ت: ١٤٢٠هـ)، ط١، دار المعارف، الرياض، الممكلة العربية السعودية، ١٤١٢هـ

(١٩) السنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ)، ط١، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤٠٠

(٢٠) سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

(٢١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

(٢٢) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

(٢٣) السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ٢٠٠١ م

(٢٤) سنن النسائي الصغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م .

(٢٥) شرح البخاري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (ت ٩٥٦هـ)، ، ط١،

دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

(٢٦) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ

(٢٧) شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي وغيره، طبعة قديمي كتب خانة – كراتشي

(٢٨) الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)، الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط٢، دار الوطن – الرياض، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

(٢٩) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

(٣٠) الشكر، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، ط٣، المكتب الإسلامي – الكويت، ١٤٠٠ – ١٩٨٠

(٣١) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

(٣٢) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، ط٤، دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م

(٣٣) صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، ط٥، مكتبة المعارف – الرياض .

(٣٤) صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي

(٣٥) صحيح سنن أبي داود، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت .

(٣٦) الصمت وآداب اللسان، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٠

(٣٧) ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، مكتبة المعارف، الرياض

(٣٨) ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، ط١، المكتب الاسلامي – بيروت، ٤١١ هـ - ١٩٩١ م

(٣٩) ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥م .

(٤٠) عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، ط٤، الجامعة الأسلامية المدينة المنورة، ١٤٢٢ هـ

(٤١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين

الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٤٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ

(٤٣) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)

(٤٤) غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، د. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني – بغداد، ١٣٩٧هـ .

(٤٥) الفائق في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

(٤٦) فتح البارى شرح صحيح البخاري، أحمد بن على بن محمد العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ .

(٤٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت : ١٠٣١هـ)، ط١، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ١٣٥٦.

(٤٨) قطر الولي على حديث الولي، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت : ١٢٥٠هـ)، دار الكتب الحديثة – مصر / القاهرة

(٤٩) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (ت ٩٥٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

(٥٠) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت : ٣٣٣هـ)، جمعية التربية الإسلامية (البحرين)، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، ١٤١٩هـ

(٥١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت: ١٤١٤هـ)، ط٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م

(٥٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م :

(٥٣) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١ – ١٩٩٠ .

(٥٤) مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، ط١، دار الوطن – الرياض، ١٩٩٧م

(٥٥) مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، ط١ن دار المأمون للتراث – دمشق، ١٤٠٤ - ١٩٨٤

(٥٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت : ٢٤١هـ)، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ٠

(٥٧) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)، ط١، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م

(٥٨) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت : ٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٠

(٥٩) مسند الموطأ للجوهري، أَبُو القَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ الغَافِقِيُّ، الجَوْهَرِيُّ المالكي (ت: ٣٨١هـ)، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧ م

(٦٠) المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣م .

(٦١) مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، ط١، مكتبة الرشد – الرياض، ١٤٠٩م .

(٦٢) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت : ٣٦٠هـ)، دار الحرمين – القاهرة .

(٦٣) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

(٦٤) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م

(٦٥) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، ١٤١٠ هـ .

(٦٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٦٧) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية .

ثالثاً : كتب الفقه

(١) أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، محمد حسين الذهبي ـ ط٢، مكتبة وهبة، ١٩٨٦م .

(٢) الفتاوى الفقهية الكبرى، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين

شيخ الإسلام، أبو العباس (ت: ٩٧٤هـ)، جمعها: تلميذ ابن حجر الهيتمي، الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي (ت: ٩٨٢ هـ)، المكتبة الإسلامية .

(٣) مجموع الفتاوى : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت : ٧٢٨هـ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٤) المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

(٥) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، طبعة دارالسلاسل – الكويت .

رابعا : كتب التراجم والسير والتاريخ والبلدان

(١) إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)، د نزار أباظه، محمد رياض المالح.دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م .

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ

(٣) الأزهر في ألف عام، د محمد عبد المنعم خفاجي، د / محمد علي صبح، ط٣، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة .

(٤) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م .

(٥) إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، ط١، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤٢٤ هـ.

(٦) بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (ت: ٦٦٠هـ)، دار الفكر

(٧) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، (ت: ٥٩٩هـ)، دار الكاتب العربي – القاهرة، ١٩٦٧ م .

(٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.

(٩) تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى (ت: ٢٦١هـ)، ط١، دار الباز، ١٩٨٤م

(١٠) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، ط١، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

(١١) تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

(١٢) تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

(١٣) تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ط٢، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ

(١٤) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م .

(١٥) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة، محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٩٣م

(١٦) الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ط١، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ١٩٧٣م .

(١٧) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، (ت : ٧٧٥هـ)، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

(١٨) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ٠

(١٩) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٩٩٣ م

(٢٠) السلوك في طبقات العلماء والملوك، حمد بن يوسف بن يعقوب، أبو عبد الله، بهاء الدين الجُنْدي اليمني (ت: ٧٣٢هـ)، ط٢، مكتبة الإرشاد – صنعاء – ١٩٩٥م

(٢١) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، طبعة دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

(٢٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، ط١، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

(٢٣) الشيخ محمد الغزالى حياته وعصره وأبرز من تأثر بهم، د/ رمضان خميس، ط١، دار الحرم للتراث، القاهرة، سنة ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٠م .

(٢٤) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ٠

(٢٥) طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت: ٥٢٦هـ)، دار المعرفة – بيروت

(٢٦) طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١هـ)، ط١ : عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٧ هـ .

(٢٧) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ .

(٢٨) طبقات الشافعيين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، ٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

(٢٩) طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ)، ط١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م .

(٣٠) طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ط١ ، مكتبة وهبة – القاهرة، هـ١٣٩٦

(٣١) طبقات النسابين، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت: ١٤٢٩هـ)، ط١، دار الرشد، الرياض، ١٩٨٧ م

(٣٢) غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية .

(٣٣) فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ)، ط١، دار صادر – بيروت .

(٣٤) كشف الظنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م .

(٣٥) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري (ت: ٧١١هـ)، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٤م

(٣٦) مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ٤١١ هـ – ١٩٩١ م

(٣٧) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ م

(٣٨) معجم الشيوخ الكبير للذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، ط١، مكتبة الصديق، الطائف – المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

(٣٩) معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقى (ت:

١٤٠٨هـ)، ط١، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت .

(٤٠) مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، انور الجندي، ط١، دار الإرشاد، بيروت .

(٤١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣ م

(٤٢) النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين، د/ محمد رجب البيومى، طبعة دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، سنة ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٠ م .

(٤٣) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م

(٤٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ) دار صادر، بيروت .

خامسا : كتب اللغة والمعاجم والبلاغة .

(١) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)،

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني (ت: ٧٣٩هـ)، ط٣، دار الجيل – بيروت .

(٣) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤٠٠هـ)، ط١، دار صادر – بيروت .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت : ١٢٠٥هـ)، دار الهداية

(٥) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ)، ط١، مكتبة السنة – القاهرة – مصر، ١٤١٥ – ١٩٩٥

(٦) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت:١٠٣١هـ)، ط١، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، ١٤١٠هـ–

(٨) دستور العلماء، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، ط١، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م

(٩) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، طبعة دار الطلائع .

(١٠) الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت:

٣٢٨هـ)، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.

(١١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م .

(١٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي/حسين بن محمد المهدي – عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

(١٣) الفائق في غريب الحديث، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان

(١٤) القاموس الفقهي، الدكتور سعدي أبو حبيب، ط٢، دار الفكر. دمشق – سورية، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

(١٥) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥ م.

(١٦) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

(١٧) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، دار ومكتبة الهلال .

(١٨) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت ٠

(١٩) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت : ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر – بيروت، – ١٤١٤ هـ .

(٢٠) اللطائف في اللغة، أحمد بن مصطفى اللَّبَابِيدي الدمشقي (ت: ١٣١٨هـ)، طبعة دار الفضيلة – القاهرة

(٢١) اللطائف والظرائف، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، دار المناهل، بيروت

(٢٢) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م

(٢٣) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، ط٥، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، ١٤٢٠هـ .

(٢٤) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

(٢٥) المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح

(ت: ٨٥٢هـ)، ط١، عالم الكتب – بيروت، ١٤١٩ هـ

(٢٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت

(٢٧) المعجم الاشتقاقي الموصل لألفاظ القرآن الكريم، أ .د / محمد حسن حسن جبل، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة – معجم الغني الزاهر، جـ١/١٩١٥، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م .

(٢٨) معجم الغني الزاهر، جـ١/١٩١٠، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م

(٢٩) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

(٣٠) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة .

(٣١) معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت: ٣٥٠هـ)، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣ م

(٣٢) معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، ((ت: ٣٥٠هـ)، أحمد مختار عمر، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣ م .

(٣٣) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ

(٣٤) المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (ت: ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي، بدون طبعة وبدون تاريخ

(٣٥) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ .

(٣٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، ١٩٧٩م .

(٣٧) وحي القلم، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

(٣٨) يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م

سادسا : **كتب أخرى** .

(١) أثر القرآن في الأمن النفسي، ناهد عبد العال الخراشي، دار الكتاب الحديث، بيروت .

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت .

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م .
(٤) إسلامنا، السيد سابق، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م .
(٥) الإسلام عقيدة وشريعة، الدكتور: محمود شلتوت، ط١٢، دار الشروق القاهرة، ١٩٨٣م .
(٦) الإسلام والأمن الاجتماعي، د : محمد عمارة، . ط١، دار الشروق القاهرة، ١٩٩٨م .
(٧) الاشارات والتنبيهات، الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس (ت: ٤٢٨هـ)، ط٣، دار المعارف – مصر.
(٨) بدائع السلك في طبائع الملك، محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (ت: ٨٩٦هـ)، ط١، وزارة الإعلام – العراق .
(٩) القلق وكيف تتخلص منه، د :زهير أحمد السباعي، د: شيخ إدريس عبد الرحيم، ط٢، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٦م .
(١٠) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م
(١١) الأمن النفسي، محمد موسى الشريف، ط٢، دار الأندلس الخضراء، جدة، ٢٠٠٣م .
(١٢) الأمن في الإسلام، أحمد هاشم، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦ م .
(١٣) الإنفاق العام فى الإسلام، إبراهيم فؤاد محمد، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣ م .
(١٤) الإيمان والحياة، د .يوسف القرضاوي، ط٨، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٨٢م
(١٥) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت
(١٦) التبصرة لابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
(١٧) تحفة العروس، محمود مهدي الاستانبولي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠١م
(١٨) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، ط١، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٥ هـ
(١٩) ثلاثون سببا للسعادة، عائض القرني، ، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٦م .
(٢٠) جدد حياتك، محمد الغزالي، ط٧، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م .
(٢١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط١، دار المعرفة – المغرب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
(٢٢) دع القلق وابدأ الحياة، صـ٢٢٥، ط١٦، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م .

(٢٣) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، د/يوسف القرضاوي ، ط١ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

(٢٤) رسالة ابن القيم إلى احد إخوانه، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط١، مطابع الشرق الأوسط – الرياض، ١٤٢٠هـ

(٢٥) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد– مكة المكرمة

(٢٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط٢٧ ، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .

(٢٧) الشخصية السوية بين الإسلام وعلم النفس، أحمد رمضان، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٩م

(٢٨) الشفا، الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس (ت: ٤٢٨هـ)، طبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت .

(٢٩) صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(٣٠) الطب النبوي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الهلال – بيروت .

(٣١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط٢، ط٢، دار السلفية، القاهرة، مصر، ١٣٩٤هـ

(٣٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط٣، دار السلفية، القاهرة، مصر، ١٣٩٤هـ

(٣٣) العبادة في الإسلام، د يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة القاهرة، ط ٢٤، ١٩٩٥ .

(٣٤) القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، طبعة ٧ دار الشروق، ٢٠٠١م

(٣٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م

(٣٦) مصارع العشاق، عائض بن عبد الله بن عائض آل مجدوع القرني، ، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م

(٣٧) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، سميح الزين، جـ٢/٢٩٩، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ١٩٩١ .

(٣٨) مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت

٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت

(٣٩) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، القاهرة

(٤٠) منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، حسن عبد الحميد، مطبعة الزمان، بغدادن ١٩٨٦م.

(٤١) موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، ط١، دار الرائد العربي– بيروت، ١٩٨٥م .

(٤٢) موسوعة علم النفس، أسعد زروق، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت، ، ١٩٧٧م

(٤٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط٣، دار الحديث – القاهرة، ١٩٩٩ م .

(٤٤) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، ط٢، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة مركز شئون الدعوة، ١٤٠٩هـ

(٤٥) الوقاية من كل داء، ابن مصدق العبدلي، ط٢، دار الكتاب والسنة، ٢٠١٣ .

سابعا: المجلات والدوريات والرسائل علمية.

(١) أصول الصحة النفسية، أحمد عبد الخالق، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م

(٢) ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، زين حسين أحمد ياسين، قدمت هذه الأطروحة استكمالًا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بكلية الوطنية لدراسات العليا في جامعة النجاح .فلسطين نابلس، . م٢٠٠٩

(٣) الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه، أحمد بن علي المجدوب.، بحث علمي منشور ضمن أوراق الندوة العلمية : نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية. طبعة المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الرياض، ١٤٠٨هـ.

(٤) خلق المسلم، محمد الغزالي، ط١، دار الريان، القاهرة، ١٩٨٧ .

(٥) دراسات في الصحة النفسية، محمد السيد عبد الرحمن، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨

(٦) كتاب الزهد الكبير، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ١٩٩٦م

(٧) مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، العدد ٨٦ .

(٨) مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامى، العدد٧٦، ذو الحجة ١٤١٤هـ .

(٩) مجلة المسلم المعاصر، العدد ٥٤، فبراير ١٩٨٩، بيروت .

(١٠) مقومات الأمن في القرآن، إبراهيم سليمان الهويمل، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المجلد الخامس عشر، العدد التاسع والعشرون. محرم ١٤٢١هـ.

(١١) ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، د بلقاسم محم الغالي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية، العدد الأول، المجلد الرابع، فبراير، ٢٠٠٧م

(١٢) الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي، وليم الخولي، ص(٤٠٥) ط١، دار المعارف– مصر، ١٩٧٦م.

(١٣) موقف الداعية الكبير محمد الغزالى من السنة النبوية، عرض ونقد، للباحث الدكتور / محمد سيد أحمد شحاتة، رسالة دكتوراه بقسم الحديث، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بأسيوط .

(١٤) موسوعة ويكيبيديا من على شبكة الانترنت http://ar.wikipedia.org

(١٥) هديتي إلى ابنتي عند زفافها، د : محمد بن رزق بن طرهوني، ١٤٢٦هـ. بدون ناشر .

(١٦) هكذا علمتني الحياة، مصطفى السباعي، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧/م.